باسمه تعالی

فهرستبرگه منابع چاپ سنگی - اداره مخطوطات

شماره ثبت: ۲۷۷۱۹

رده‌بندی دیویی: ۱۲۹۷ ر ۷۹۲ خ ۸۹۲/۷۶۳۴

سرشناسه: خوارزمی، محمد بن عباس، ۳۲۳-۳۸۳ ق.

عنوان قراردادی:

عنوان: رسائل ابی بکر خوارزمی [چاپ سربی]

کاتب: تاریخ کتابت:

محل نشر: [ترکیه] ناشر: مطبعة الجوائب تاریخ نشر: ۱۲۹۷ق

صفحه شمار: ۲۱۴، ۸ ص. مصور☐ درسی☐ گراور یا افست☐

زبان: عربی ابعاد: ۱۵/۵ x ۲۳ نوع خط: —

روش تهیه: وقفی☑ اهدایی☐ خریداری☐ ارسالی☐

توضیحات: حبیب الله ذوالقدر تاریخ ثبت: آذر ۱۳۷۰

یادداشتها: ۱. مفهرس به فهرست. ۲. چاپ سربی. ۳. چاپ اول.

موضوع(ها): ۱. خوارزمی، محمد بن عباس، ۳۲۳-۳۸۳ق. - نامه‌ها. ۲. نامه‌های عربی - قرن ۴ق. ۳. ادبیات عربی - تاریخ و نقد.

شناسه(های) افزوده: الف. ذوالقدر، حبیب الله، واقف. ب. عنوان.

فهرستنگار: اسدزاده تاریخ فهرستنگاری: خرداد ۹۰

رسائل

ابى بكر الخوارزمى

۱۳۳۴۲۶
کتابخانهٔ مرکزی آستان قدس رضوی
مجموعهٔ کتابخانهٔ مرحوم حبیب الله ذو القدر
متخاصریه نائینی که وقف کتابخانه آستان قدس رضوی
کتابخانه مرکزی آستان قدس رضوی
۱۶۴۳۷
تاریخ آذر ۷۰

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ طبعت بمطبعة الجوائب ﴾

فى

﴿ قسطنطينية ﴾

١٢٩٧

EMINE HINDIE CAIRE (EGYPT)

فهرسة رسائل ابى بكر الخوارزمى

صحيفة

٠٠٢ كتب بها الى الحاجب ابى اسحاق لما نكبه الوزير ابن عباد رحمه الله
٠٠٨ وكتب الى كثير بن احمد لما هرب من الامير ابى الحسن
٠٠٩ وكتب الى محمد العلوى من الرى فى هذه المحنة
٠١٠ وكتب الى تلميذ له فوض اليه اشغاله
٠١٢ وكتب الى تلميذ له قطع فى مجلس وكابر و اختلط
» وكتب الى ابى عمر المكندرى وزير صاحب جرجان
٠١٣ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة و قد طولب ابوبكر بحضور الديوان فانفعل
٠١٥ وكتب الى رئيس طوس يعزيه عن شقيق له
٠١٦ وكتب الى ابى الحسن الطرحودى بدار طوس
٠١٧ وكتب الى وزير قابوس بن وشمكير
٠١٨ وكتب الى رئيس بهراه يعزيه بابن اخته و بنته
٠٢١ وكتب الى صديق له جواب كتابه
٠٢٢ وكتب الى حاكم
» وكتب الى نائب الوزير ابن عباد باصفهان
٠٢٣ وكتب الى ابى الحسن الحكمى
» وكتب الى صاحب ديوان الخراج بالحضرة
٠٢٤ وكتب الى ابى الحسن على بن دايه
٠٢٦ وكتب الى ابى الحسن الحكمى
» وكتب الى ابى الفرج لما قلده خلافة البندار بطوس
٠٢٧ وكتب الى وزير خوارزم شاه لما نكب وكان خريجة هرجة
٠٣٠ وكتب الى ابى على البلعمى لما فارق الحضرة و ورد نيسابور

وكتب

صحيفة

٠٣٢ وكتب الى ابى محمد العلوى
٠٣٧ وكتب الى تلميذ له قصيدة يسأله نسخة قصيدة مما احدثه
٠٣٨ وكتب الى حاجب الوزير ابن عباد وقد وردت عليه كتبه ثم انقطعت
٠٤٠ وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم
٠٤١ وكتب الى كاتب الرئيس بنيسابور
٠٤٣ وكتب الى ابى الحسن الحاكم بن ابى حاتم لما هرب من نيسابور الى بخارى بعد ان ارادوا القبض بها عليه و بعث خلفه فلم يجده
٠٤٥ وكتب الى وكيل الوزير ابن عباد باصفهان و قد ولى سوق الطعام بعناية و هو امى
٠٤٧ وكتب الى ابى القاسم الدوادى اول ما افتتح بمكاتبته
٠٥٠ و له الى تلميذ له وكتب اليه رسالة و قصيدة
٠٥١ وكتب الى رئيس سرخس و قد ورد عليه ابنه يعتذر من تقصيره اليه
٠٥٣ وكتب الى صاحب البريد بالرى كتبها من اصفهان
٠٥٥ وكتب الى اردهل و قد ورد عليه خبر علته
٠٥٦ وكتب الى يزيد صاحب سمرقند
٠٥٧ وكتب الى الوزير ابن عباد لما ورد باب جرجان لقتال الامير قابوس بن وشمكير
٠٦٠ وكتب الى كثير بن احمد يعزيه عن ابنة له
٠٦١ وكتب الى ابى محمد العلوى جوابا عن كتابه
٠٦٤ وكتب الى كاتب
» وكتب الى صاحب الديوان بالحضرة
٠٦٧ وكتب الى وزير صاحب خوارزم
٠٦٩ وكتب الى ابن سهل سعيد بن عبد الله الكاتب
٠٧١ وكتب الى ابى القسم وقد انهدمت داره عليه وسلم
» وكتب الى ابى احمد الرازى بيندر نيسابور

صحيفة

٠٧٣ وكتب الى صاحب الديوان يوم المهرجان
» وكتب الى ابى سعد احمد بن شبيب
٠٧٥ وكتب الى تلميذ ورد له كتاب ترتفع الفاظه عن كتابه مثله وطلب نسخة شعره
٠٧٦ وكتب اليه ايضا
» وكتب الى حاجب ركن الدولة بالرى
٠٧٧ وكتب الى ابى عبدالله النحوى الخطيب بالرى
٠٧٩ وكتب الى قاضى الرى ابى الحسن بن شادان
٠٨٠ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة
٠٨٢ وكتب الى الوزير ابن عباد لما فارقه ومر باصفهان وتوفيت اخت الوزير
٠٨٥ وكتب ايضا الى بندار نيسابور من الرى لما رجعت الوزارة الى الوزير ابن عباد وعفا عن ندماء ابن العميد
٠٨٩ وله الى بعض حكام الرساتيق لما رجع الى نيسابور
٠٩٠ وكتب اليه ايضا
٠٩١ وله الى فقيه بلاد قومس وقد ورد عليه ابنه للقراءة
٠٩٢ وله الى خلف بن احمد
٠٩٣ وكتب الى ابى قاسم بن ابى الفرج كاتب ركن الدولة لما عزل
٠٩٤ وكتب الى ابى على البلعمى بعد ابيات استبطأ جوابها
» وكتب الى تلميذ له من فقهاء نيسابور لما هرب من محمد بن ابراهيم
٠٩٥ وكتب الى ابى على البلعمى لما بلغ منه عتبه وخرج توقيعه بالتقريع و اللوم
٠٩٦ وكتب اليه لما طال عتابه وكثرت رقاعه اليه
٠٩٧ وكتب الى ابن سمكة القمى وقد اهدى اليه مع كتابه هديه
٠٩٨ وكتب الى تلميذ له لما تخلص من يد محمد بن ابراهيم
» وكتب الى احمد بن شبيب
٠٩٩ وكتب اليه لما خرج من حبس محمد بن ابراهيم

وكتب

صحيفة

١٠١ وكتب الى كاتب خوارزم شاه وقد تخلص من المصادرة يشتكى اليه وزير صاحبه
١٠٢ وله الى وزير خوارزم شاه لما نكب
١٠٣ وكتب الى ابى محمد العلوى
١٠٥ وكتب الى ابى العباس كاتب محمد بن ابراهيم وقد طلب منه نسخة رسائله
١٠٦ وكتب الى ابى الحسن عبد العزيز صاحب ديوان الرسائل
١٠٧ وكتب الى ابى سعيد المتوفى بناحية محمد بن ابراهيم من هراة
» وله اليه
١٠٨ وكتب الى فقيه هراة بعد ان خرج منها عليلا
١٠٩ وكتب الى تلميذ له ورد عليه كتابه بانه عليل
» وكتب اليه وقد ورد كتابه بافاقته وحمل اليه تفاحا
١١٠ وكتب الى كاتب من كتاب الحضرة
١١١ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة
١١٢ وكتب الى ابى الوفا صاحب جيش عضد الدولة
١١٣ وله الى ابى الحارث من ولد هاشم بن ماسجور وهو ملك الجبل وقد ارسله يستدعى كتابه
١١٤ وكتب الى حسين صاحب ديوان الحضرة
١١٥ وله الى كاتب بعض الامرآء وقد ورد عليه كتابه يشكو فيه الجرب
١١٨ وله الى قاضى الرى ابى الحسن الهمدانى
» وله الى ابى المعالى وزير صاحب الجبل
» وله الى سعيد بن سمكة
١١٩ وله الى ابى نصر الميكالى يشكره على اصطناعه فقيها من تلامذته
١٢١ وكتب الى حاكم سرخس وقد اهدى اليه كتابا طلبه منه
١٢٢ وكتب الى ابى بكر بن سمرد

صحيفة

١٢٤ وكتب الى تلميذ له عن كتاب وقصيدة

١٢٥ وكتب الى ابى الفرج خليفة الوزير بنيسابور

١٢٦ وكتب الى كثير بن احمد لما هرب الى الرى

١٢٨ وكتب الى رئيس قم

« وكتب الى مؤدب امير خوزستان

١٢٩ وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى

١٣٠ وكتب الى جماعة الشيعة بنيسابور لما قصدهم محمد بن ابراهيم واليها

١٤٠ وكتب الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته

١٤١ وكتب الى رئيس سمرقند

١٤٢ وكتب الى ابى سعيد احمد بن شبيب جوابا عن كتاب له ورد عليه يبشره فيه بخلاص وزير خوارزم شاه من المحنة

١٤٤ وكتب الى خوارزم شاه

« وكتب الى العامل على البريد بالاهواز

١٤٥ وكتب الى ابى حامد بن روزبه اديب قومس

« وكتب الى ابى زيد جوابا عن كتابه

١٤٦ وكتب الى ابى حامد ايضا الاديب بقومس

« وكتب اليه ايضا

١٤٧ وكتب تعزية الى ابى بكر

١٤٨ وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى

١٤٩ وكتب الى ابن العميد الحاكم

١٥٠ وكتب الى ابى القاسم الابى البندار

« وكتب الى ابى سمكة بقم

١٥١ وكتب الى ابى بكر النحوى اديب الجبل و اصبهان

١٥٢ وكتب الى ابى بكر بن شيرد

وكتب

صحيفة

١٥٣ وكتب الى الوزير بالحضرة

١٥٥ وكتب الى تلميذ له

« وكتب الى حاكم نيسابور من اصفهان

١٥٦ وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم

١٥٧ وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى

« وكتب الى الوزير ابى القاسم اسماعيل بن عباد رحمه الله

١٥٨ وكتب الى ابى الحسن الحكمى

« وكتب الى تلميذ له وقد ظهر عليه الجدرى

١٥٩ وكتب الى فقيه من تلامذته

١٦٠ وكتب الى الملك لما اصيب بابنه عن خوارزم شاه

١٦١ وكتب الى ابى منصور ملك الصغانيان يعزيه فى عمه ابى سعيد

١٦٢ وكتب الى ابى القاسم بن على صاحب جيش الصغانيان

« وكتب الى فقيه فى تعهد مسجد

١٦٣ وكتب الى ابى شجاع بن محمد كاتب ابن قراتكين

١٦٤ وكتب الى رئيس نيسابور

« وكتب الى على بن كامه

١٦٥ وكتب اليه لما ولى قومس

١٦٦ وكتب الى ابى طاهر وزير ابى على بن الياس بكرمان

١٦٧ وكتب الى حاجب الوزير ابى القاسم بن عباد حين ورد خراسان وحمل اليه نزلا

« و كتب الى ابى محمد العلوى

١٦٩ وكتب الى قاضى القضاة

١٧١ وكتب الى قاضى سجستان حين نكبه اميرها

١٧٣ وكتب الى مسكويه و قد تزوجت امه

« وكتب الى صديق له على ديوان الخراج

صحيفة

١٧٤ وكتب الى ابى محمد العلوى
١٨٠ وكتب الى تلميذ له و قد استعار نسخة رسائله ينسخها فتمادى
« وكتب الى خوارزم شاه
١٨١ وكتب الى كاتب صاحب الجيش جوابا عن رسالة مدحه و عاتبه فيها
١٨٥ وكتب الى رئيس دامغان
١٨٦ وكتب الى خوارزم شاه
١٨٧ وكتب الى ابى سعيد احمد بن شبيب لما شارف نيسابور
١٨٩ وكتب الى صاحب جيش خوارزم و ورد عليه كتابه بخبر علته يعتذر اليه من ترك العيادة و يتوجع له من العلة
١٩١ وكتب الى ابى الحسن المعروف بالبديهى الشاعر زعم يعبث به
٢٠٥ وكتب فى نكبة نيسابور و واليها حسام الدولة ابى بكر بن عبدوس بعض عدول نيسابور
٢٠٦ وكتب الى ابى الحسن بن عبد العزيز قاضى جرجان و قد خرج منها
٢٠٧ وكتب الى بعض اصدقائه
٢٠٨ وكتب بعد محنته و رجوعه الى خراسان الى كاتب خوارزم شاه و قد نكب
٢٠٩ وكتب الى ابى محمد عبد الرحمن بن احمد من نيسابور
٢١٠ وكتب الى ابى منصور كثير بن احمد
« وكتب الى ابى القاسم المزنى وقد صالح اخاه
٢١١ وكتب رحمه الله
« وكتب ايضا
٢١٢ وكتب ايضا
« وكتب الى ابى القاسم الحسن بن على

***

رسائل

ابى بكر الخوارزمى

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ طبعت بمطبعة الجوائب ﴾

﴿ فى قسطنطينية ﴾

١٢٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل ابى بكر الخوارزمى

الحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين * هذه رسائل الاستاذ ابى بكر الخوارزمى رحمه الله تعالى

كتب بها الى الحاجب ابى اسحاق لما نكبه الوزير ابن عباد رحمه الله

وفقك الله فى مراجعة الحق لما تستحق به انتهاء محنتك * والهمك فى استيفاء شرائط التوبة ما يطرق لك النهوض من صرعتك * ولاخلصك الله مما انت فيه من جناية غيرك عليك * حتى يخلصك مما كنت فيه من اساءة نفسك اليك * فان نفسك اعظم خصميك * وان كانت اصغرهما لديك * وقد مثلت ايدك الله بين ان احرش لك كلامى * وافوق نحوك سهامى * واقضى بذلك حق عظتك * واخرج من عهدة مايلزمنى فى هدايتك * وبين ان الين مس قولى لك * فتبقى فى نفسى حاجة من نصيحتك * فرأيت الاول على اوجب * والى الصواب اقرب * هذا وانا اقول

اخوك الّذى ان اجرضتك ملمّة * من الّدهر لم يبرح لها الدهر واجما

ولا اقول

وليس اخوك بالذى ان تشعبت * عليك امور ظل يلحاك لائما

اصاب

اصاب المرقش ايدك الله فى بيت الواجم * ولم يصب فى بيت اللائم * وكيف يهدى الطريق لرشده فى غده * دون ان يلام على غيه فى امسه * وكيف يتوصل الى تحسين الصواب الآنف * الا بتقبيح الخطأ السالف * وكيف لا يلام المسيئ والنهى عما بعد يقتضى اللوم على قبل * وكما لا بد فى الكلام من الاثبات والنفى * كذلك لا بد فى العظة والنصيحة من الامر والنهى * فاللوم اذا على هذه القضية اجدر * اذ كانت النصيحة التى عليها قامت * وبها استقامت * وهل يلوم المرء الا اخوانه الاقارب * وهل يرخى له عنان العذل ويتجوز معه فى اللوم الا معارفة الاجانب * واذا فرغت للحق زاوية من قلبك * وحكمت على هواك لعقلك * علمت ان ما تكره فيما تحب * خير لك مما تحب فيما تكره * وان دواء تستبشعه وفيه شفاؤك * خير من غذاء تستلذه وفيه داؤك * ولئن كان ظاهر كلامى يلدغك * فان باطنه لينفعك * وانت ايدك الله تعلم انك كنت من الذل فى مكان يتخطاك فيه الناظر * ويدوسك الخف والحافر * لا يشرفك نسب * ولا يرفعك ادب * ولا يرجوك صديقك * ولا يخافك عدوك * عن يمينك الخمول * وعن يسارك الذبول * وبينهما الفقر الذى لو قسم على الاغنياء * لصاروا فقراء * والضعف الذى لو فرق على الاقوياء لعادوا ضعفاء * تصبح فى قُلّ * وتُمسى فى ذُلّ * وتروح الى انثى وتغدو الى طفل * فانصفك الدهر الظالم * وانتبه لك البخت النائم * واراد الله تعالى ان يرفع من حكمتك * ويقوم من قنبور حدبتك * فينظر كيف تعملون * والله يعلم ماتبدون وماتكتمون * فاتصلت من ولى نعمتك برجل لو اتصل به الادبار * لتقدم الاقبال * ولو خدمه النقص لفضل الكمال * ولو تعرف اليه الجماد لنطق بجده * ولو استجار به امس الدابر لرجع بسعده * فما هو الا ان نسبت اليه * وحسبت فى آثار يديه * حتى قاتلت الايام بسلاحه * وطرت الى المنى والمطالب بجناحه * وحتى طمحت الى امور كنت عنها مطروفا * وخطوت الى اشياء كنت عنها قطوفا *

ومثل الذى نلته حافيا * يؤثر فى قدم الناعل

وَحتى زارك قوم لو زرتهم فيما قبل لطال وقوفك بين الدار و الباب * وكثر ترددك بين الآذن و الحجاب * و خدمك اناس ما منهم احد الا وقد لاحظته بعين هائب * ونقلت اليه قدم راغب او راهب * هذا الى استسلابه لك من الردى * بيد الهدى * واخراجه اياك من ظلمة العمى والتقليد * الى نور العدل و التوحيد * فلزمك ولاؤه مرتين * و احاطت برقبتك نعمته من جهتين * لانه انقذك من النار * كما انقذك من العار * و اعتق رقبتك من اسار الضلال * كما اعتقها من ذل السؤال * فكانت نعمته عليك مضاعفة * وصنيعته اليك مداخلة * وكل ذلك بعين احسان الله تعالى يمد نفيس احسانه اليك لتؤدى زكاة الاحسان * و ترتهن الصنيعة باليد و اللسان * و يريك يقظان ما لم تحتلم به وسنان * ويزف اليك من ابكار الصنع ما لم تخطبه بهمتك * و لم تستوجبه بقيمتك * الى ان اصلح عليك الدهر الطالح * و ملكك عنان البخت الجامح * وانت سكران من خمر اليسار و الغنى * غريق فى لجج المطالب و المنى * لو طلبت النجم لرقيت اليه بسلم معك * او طرت نحوه بجناح لك * والاقبال يستر عيوبك * والامهال يغفر ذنوبك * ولا ستر اكثف من اقبال * و لا شفيع انجح من اهمال * والدولة تجعل البعيد قريبا * والجد يرى المخطئ مصيبا * والمجدود يمس بيديه * ما لا يراه المحدود بعينيه * ويتناول قاعدا ما لا يتناوله غيره قائما * و لا رسول اسرع من دهر * و لا مستحث اوحى من يسر بلا عسر * فلما جازيت النعمة بالكفران * و نسيت هل جزاء الاحسان الا الاحسان * نظرت الايام اليك شزرا * و ابدلتك باليسر عسرا * فاصبحت تلك البوارق * وهى صواعق * و استحالت تلك المواهب وهى مصائب * وتقاضاك دهرك ما اسلف * و استأنف بك خلاف ما سلف * والدهر غريم لا يماطل اذا اقتضى * وحاكم لا يراجع اذا قضى * ومعير اذا لم تحفظ عاريته ارتجع * و معط اذا لم تشكر عطيته منع * ومؤدب اذا لم يتعلم منه عاقب * و اذا تعلم منه ادب وهذب * على انى ما رأيت معلما احسن تعليما من الزمان * ولا متعلما اسوأ تعلما من الانسان * فها انت قد ذمك حامدك * ورحمك حاسدك

حاسدك * واحتقبت اوزار الندامة * و رضيت من الغنيمة بالسلامة * و كانت الايام تعدنا بك * فاوعدتنا فيك * وخلف ليل الشك نهار * و وراء سكر النعمة خمار * فانت الآن عليل دواؤه التوبة * وجريح شفاؤه الرجعة و الفيئة * فان قبلت توبتك فقد انقطعت مدة الدآء * وظهرت بركة الدواء * وان تكن الاخرى فربما قد اخلف الدواء شاربه * وخان الرجاء صاحبه * فياطبيب نفسه ارفق بها * ويا مداوى جراحته الطف لها * واعلم انه قد كان شكر الرخاء * اهون من مصابرة البلاء * وكان حفظ الصحة * ايسر من معالجة العلة * ولو وجدتك العافية من اكفائها لما طلقتك * ولو رأتك النعمة من رفقائها لما فارقتك * واقل ما كان يجب لصاحبك عليك ان لا تستعين بنعمته * على كفران نعمته * ولا تكتب حسنته فى جريدة سيئته * ولا تسل عليه من لسانك سيفا يده صقلته * ولا تشرع اليه من كلامك رمحا كفه قومته

لقد جازيت بالاحسان سوءا * اذا وصبغت عرضك بالسواد
ورحت تسوق عير الكفر حتى * انخت الشرك فى دار الجهاد

فيا ايها الرجل * وكلكم ذلك الرجل * كم تهتكون حجب العوارف بيد الكفران * وكم تصافحون النعم بالبغى و العدوان * وكم تفضون ختام العافية بالغدر * وكم تسترون الخيرات بقلة الشكر * وكم لا تبرزون الصنائع فى معرض من حسن الذكر * ولا تقلدونها حلية من طيب النشر * وكم تتبعون الوفاء بالملق * وتنادون على الامانة كما ينادى على الثوب الخلق * وكم تقبحون فى النعم * وتحسنون فى النقم * وكم تجهلون ما عرفه الحطيئة مع خبث مذهبه * ولؤم مركبه * حيث يقول

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

اعلم ان كفران النعمة لو احله الشرع * لحرمه الطبع * ولو جاز من طريق الملة و الديانة * لحظر من طريق المروءة و الصيانة * فان للمحسن من الله عينا كالئة لا تنام * وان وراءه من واقية الاحسان ركنا منيعا لا يرام * ومن تقلد نعمة الله من انسان فقد ضمن له عهده * وصار فى حكم الاحسان عبده * واذا خدم غيره وهو حى فقد خان الاول فى نعمته * وغش الثانى بخدمته * وهل يبرأ العليل بين طبيبين * وهل يسع الغمد سيفين *

وهل ينطق لسان واحد بشكرين * او يتسع قلب واحد لمحبة اثنين * و لهذا الشان طلقت النـاس ثلاثا * وفارقت المدح بتاتا * لما وردت من الوزير على من خدمة غيره تعد كبيرة ليس لهـا غفران * و سيئة لا يمحوها احسـان * فلما رأيتـه علمت ان الايام قد خبأته لى ذخرا * واعدته لى عذرا * و اراد الله تعالى ان اعاشر النـاس حرا و نذلا * * واجوب البـلاد حزنا وسهلا * حتى اذا جبت الآفاق * و قلبت الاخلاق * و صارت الارض فى عينى دارا * هجم بى السعد على حسنة الايام * وغريبة الانام * ونصفة الدهر الظلوم * و مكرمة العالم اللئيم * فاذا هو ضالة رجائى الحائم * و بغيـة قلبى الهائم * فختمت به جريدة المدح والثناء * و اغلقت باسمه باب الاستماحة والرجاء * وفتحت له مغاليق فكرى * و دفعت اليه مقاليد نظمى و نثرى * واقطعته لسـانى غير منقطع * و وهبت له قلبى غـير مرتجع * و نظرت الى ابى الطيب والى تناقض حكمته * و تفاوت طرفى فعلته * حيث قال فى سيف الدولة

لا تطلبن كريما بعد رؤيتـه * ان الكرام باسخاهم يدا ختموا

﴿ وقال فى كافور الاخشيدى ﴾

قواصـد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فلقد باع من الوفاء علقا خطيرا * واعتاض من الطمع ثمنا يسيرا * وحال ضباب الحرص والرجاء * بينه وبين العهد والوفاء * وكان يضايق نفسه فى اختبار المتاع * ويسامحها فى اختيار المبتاع * ويخلع خلعة من نظمه تساوى بدره * على عرض من لا يساوى بعره * ويزف كريمة من كرائم شعره * الى من لم تقم عنده كريمـه * ولم تعرف له قيمه * او رأى الطمع فى جحر فارة لدخله * ولو اتاه الدرهم من است كلب لما غسله * فلا جرم ان الناس كما استحسنوا قوله * استقبحوا فعله * وكما اعجبوا بشعره * تعجبوا من غدره * يشـكر ثم يشكو * ويمدح ثم يهجو * ويشهد ثم يجرح شهادته * ويعطى ثم يسترجع عطيته * فكم من حر فضله ثم ثلبه * وكم من عرض كساه ثم سلبه * وكم من صفحة اكل منها ثم بصق فيهـا * ولكن فى قيص ابى بكر رجلا اذا اعطى لم يرتجع * واذا طلق لم يراجع

يراجع * واذا بنى لم يعد على بنائه بالهدم * واذا مدح لم يطأ على عقب مديحه بالذم * واذا طيب فكيه بالمدح للكريم * لم يلطخهما بمدح للئيم * واذا زوج كرائمه كفؤا حجبهن ان يتبرجن الا لديه * ويجتليهن غير عينيه * وانما الغدر من اخلاق النساء فمن تعلق بطرف منه فقد رغب بنفسه عن كمال الذكران * وجذبها الى شق النسوان * وهو اذاً مخنث من حيث الخلق * غير مخنث من حيث الخلق * وقد يصلح الانسان خلقه * ولا يمكنه ان يغير خلقه * فالغدر اذا على هذه القضية هو التخنيث الاكبر * والتأنيث الاعم الاكثر * والوفاء حمية القلب * كما ان التوقى من الطعام والشراب حمية الجسم * وثبات الحمية * من قوة الحمية * وحفظ العهد من شرائط الرجولية * وانى لاعجب ممن يعادى المقبل والله معه * والايام مدد له * وداعية الجد خلفه وقدامه * وقد رأيت ما صار اليه مصارع اعداء هذه الدولة * وختمت به احوال حساد هذه النعمة * فقد غمزوا قناتها وقرعوا صفاتها * فاخترموا واصطلموا * فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا * طافت الايام على الوزير بمناياهم * فابقاه الله تعالى وافناهم * ولم يزل نقصهم يحارب كماله * وادبارهم يزاحف اقباله * حتى اجلت معركة العواقب عنه راضيا وعنهم ساخطين * واقشعت غبرة الايام والليالى عنه قائما وعنهم مصروعين *

فلو لم تبق لم تعش البقايا * وفى الماضى لمن يبقى اعتبار

* عافاك الله امش مع الدهر كما يمشى * واجر مع الفلك كما يجرى * وارفق بمن رفقت الايام به * وارع لمن رعت السعادة له * ولا تزاحم الفلك الدوار * ولا تناطح الاقسام والاقدار * ولا تصغر الكبار * ولا تتحكم على الدهر فان الدهر حاكم لا يحكم عليه * ومسلط لا يؤخذ ما فى يديه * وانزل حيث انزلك الاستحقاق * وخذ ما سمحت به لك الارزاق * ولا تجلس على طريق السيل الراعب * ولا تطعن فى بحر القضاء الغالب * ولا تحارب جيش السعد * ولا تطاعن حد الجد * ولا تستسلف اجلك * ولا تتناول ما لم يوضع لك * واحذر قوس الخذلان * فانها نافذة الرمية * صريعة الرمية * قد والله اوجعت بهذا العتاب قلبك * وجاوزت بالعقاب ذنبك * ولكنى عاتبتك لك * وحاربتك عنك *

رجاء ان يستخشن مس هذا الكلام لك * ويستحسن تألم وقع هذه السهام بك * ولو لا ذلك * لم اذقك مرارته * ولم اعرض لطيف ما بينى و بينك له * وما اغتم لك من الحبس وروعته * ولا من الهوان ولذعته * كما اغتم من نظر ولى نعمتك اليك * ووقوع بصره عليك * وقد قعدت تحت اعباء بره * وقابلت احسانه بكفره * وزرعت منك النعمة فى بقعة لم تزد ريعا * ولم تجلب نفعا * فانا ابكى لك من يوم اطلاقك لا من يوم حبسك * واتفكر فى ساعة سعدك * لا فى ساعة نحسك * فقد شغلنى الخجل * عن الوجل * و نسيت لقبح الموقف الثانى هول الموقف الاول * فلا غضاضة عليك * من امتداد يد الدهر اليك * فان امير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار ما صنع الدهر

﴿ وكتب الى كثير بن احمد لماهرب من الامير ابى الحسن ﴾

كتابى الى الشيخ وانا فى خمار شربتى من يد الدهر * فقد كانت بشعة الخمر * طويلة السكر * قليلة النفع كثيرة الضر * والحمد لله تعالى على حفظه على الدين وان ذهبت الدنيا * وعلى ان صودرت على المال لا على العرض والتقوى * وصلى الله على محمد خير الورى * خرجت ايها الشيخ من نيسابور وانا زاملة شكر وثنا * وحمال مدح ودعا * وقتيل خجل وحيا * اذا تفكرت فى كثرة اعدائى وقلة شفعائى * وفى ضعف اعوانى وقوة خصمائى * ثم نظرت الى وقد خرجت من تلك الغمة * وشققت رداء تلك الظلمة * موفر الحال والمال * صحيح العرض والجمال * لم تنشب فى اظافر الفقر * ولم ينفذ فى حكم الدهر * علمت ان الشيخ قصر عنى يد المحنة وهى طويلة * وصرف عنى ولاية النحوس وهى بسيطة * ولو بلغه غاية مراده امكانه * وساعده على نيته فى زمانه * لحجب صروف الدهر عن فنائى * ولقام بين الحوادث وبين لقائى * عرف الله تعالى له نيته * وبلغه فى الدنيا والآخرة امنيته * ولا زالت نعم الله تعالى عليه ضافيه * وايامه من الغير صافيه * ولا زال كما لم يزل عليه رقيب من عدله * ومعه

وزير

وزير من عقله * وله مادح من فضله * وطوله * ووراءه واق من قوله وفعله * فلعمرى لئن كنت اشكر لمن وهب لى مالا انى لمن وهب لى روحى اشكر * ولئن توفر على افضال من اغنانى فان افضال من استبقانى ولو شاء افنانى اوفر * فقد جاد على الملوك بالصلات * وجاد على ذلك الامير بالحياة * فهناه الله بهذا الشكر الغريب * وهذا الثناء العجيب * وذلك انى اشكر الملوك على انهم اغنونى * واشكره على انه لم يفقرنى * وامدحهم لانهم احيونى * وامدحه على انه لم يقتلنى * واعتد لغيره * ان بذل لى كل خيره * واعتد له بان كف عنى بعض شره * والشكر على قدر الاحسان * والسلع بازاء الاثمان * والسلام

﴿ وكتب الى محمد العلوى من الرى فى هذه المحنة ﴾

اطال الله بقاء سيدنا من بعض مطارح الغربة * ومساقط النكبة * فانا فل من فلول هذا الزمان * لا بل فل من فلول هذا السلطان * والحمد لله على سلامة الروح والمهجة * وان كانت سلامة ضعيف المنة * رقيقة الكسوة * ثقيلة الحركة * قليلة البركة * ليس بينها وبين الهلاك الا اقرب من خطوة * واسرع من لحظة * ذكر الشوق فما بينه وبين السيد رجيع من القول * وكلفة من كلف النقل والفصل * على انى والله مشتاق اليه * شوقه الى ابتناء العلا * ومشته للقائه شهوته لبذل الندى * اذكره وان كنت لا انساه * والقاه بقلبى وان كنت لا القاه * واسأل الله تعالى ان يرينا سلامة سليمة * واستقامة احوال مستقيمة * فلا شى احوج من السلامة الى السلامة * ولا الى الاستقامة من الاستقامة * وان يجعل اقسام صنعه لديه * واحسانه اليه * متناصرة مترادفة * ومتلاقحة متوالدة * قد رأى السيد ما كان من العلانية حين فوقت نحوى سهامها * ونشرت طربى اعلامها * وتسلحت على بالسعاية وهى سلاحها الذى به تقاتل * ويدها التى بها تطاول * والسعاية سلاح من لا سلاح له * والنميمة كيد من لا كيد عنده * وشر من الساعى من انصت له *

وشر من متاع السوء من قبله * فلما رأيت بيني و بين الموت حجابا رقيقا * وحجزا دقيقا * و رأيت نفسي وقد اكتنفها اربعة اشياء ما منها شئ الا وهو يقرب عليها مسافة الممات * ويقطع عنها علائق الحياة * خصم فاجر * وسلطان جائر * وبخت عاثر * و زمان غادر * آثرت الغربة على وطن معه اذى * واخترت الظمأ على شراب فيه قذى * وفارقت دار الهوان والحمية تتبعني * وعزة النفس تشيعني * ولي من الصيانة رفيق و زميل * ومعي من العزم هاد ودليل * وليست تبعد على العزم مسافة * ولا تصعب مع الارادة شقة ولا مشقة * وما علمت اني اعيش حتى اصادر على اللسان * واسلف الشكر قبل الاحسان * وقد كنت رأيت حاكما يحجر على يتيم او معتوه في وفره * ولم ار اميرا يحجر على كاتب في كتابته او على شاعر في شعره * وانما الشكر ايد الله السيد فرس جامح * ان منع عن سننه قطع ارسانه * واستلب عنانه * فشق به سائسه * وهلك معه فارسه * والشعر ينقلب مع الجود حيث كان * ويرتاد المعروف والاحسان * وانما هو ماء سارب * بل سيل زاعب * اذا سد عليه طريقه خرق في الارض خرقا * وجعل لنفسه طريقا بل طرقا * وما اشبه من اكره الالسن على مدحته * الا بمن اكره القلوب على محبته * يحب المديح ابو خالد ويضجر من صلة المادح * كبكر تحب لذيذ النكاح وتفرق من صولة الناكح *

﴿ وكتب الى تلميذ له فوض اليه اشغاله ﴾

كتابي ولو استقبلت من امري ما استدبرت * وقدمت من رأيي ما اخرت * لما امضى الفراق فينا حكمه * ولا انفذ فينا سهمه * ولاقتنا جميعا * او رحلنا معا * واني لاظلم الفراق اذ شكوته * واتعنف الدهر اذ هجوته * وبيدي ضرباني * ومن سهمي رمياني * فانا كالقاطع يده بيده * والفاجع نفسه بنفسه * ومطرق الفراق الى قلب اطوى المنازل عن حبيبي دائما * واظل ابكيه بدمع ساجم هلا اقت ولو على جمر الغضا * قلبت اوحد الحسام الصارم * ما

تذكرت

تذكرت تلك الايام التي سلبنيها الدهر بل سرقنيها * وغبنني بل داس على فيها * وكانت ادق من حاشية البرد * واحسن من طلوع السعد * واحلى من انجاز الوعد * واعذب من القند * بل من النقد * واعبق من الورد * وما اردت الا ورد الخد * بل من المسك والند * واطيب من القرب بعد البعد * ومن الوصل في اثر الصد * بل كانت ارق من نسيم الزهر في السحر * ومن قضاء الوطر على الخطر * بل كانت اقصر من ليل السكارى * او نهار الحيارى * الا اكلت الوجع * وشربت الجزع * وانثنيت على كبدي خشية ان تتقطع * ولو انني اعطيت من دهري المنى * وما كل من اعطى المنى بمسدد * لقلت لايام مضين الا ارجعي * وقلت لايام اتين الا ابعدي * البستان قد وعدتني ياسيدي اقامة وظيفته بالشجر * وبالنور والزهر * وانت ياسيدي بالانجاز قمين * ووفاؤك به ضمين * وذلك المكان مرتع ناظري * ومتنفس خاطري * ومجال بصري * ومراد فكري * ونقلي اذا شربت * ومحدثي اذا خلوت * وتسليتي اذا اغتممت * وشمامتي اذا شممت * وما ظنك بمكان لبست فيه زاوية الا وقد صب على فيها طاس * بل كاس * وشرب عليها انسان بل اناس * وقام في حافتها وجه صبيح * وتقلب في اطرافها قد مليح * وكاني بك وقد عرضت هذا الفصل على الناس فظنوا اني اصف بستان الزاهر * او دار ابن طاهر * او اذكر الجعفرية * او البركة المتوكلية * او اعني صعد خراسان * او شعب بوان * او انعت نهر الابلة * او متنزه الغوطه * او شعب انطاكيه * ولا يعلمون اني انما اذكر بقيعة طولها باع * وعرضها ذراع * اعني باع البقة * وذراع الذرة * واقل من لا * واصغر من الجزء الذي لا يتجزا * لو طارت عليه ذبابة لغطته * او دخلته نملة لسدته * تسقى بالمسعط صباحا * وتكنس بالطلال مساء * اشجاره مائة الا تسعة وتسعين * وانهاره خمسون الا تسعة واربعين * واني شاعر اذا احس من لسانه بسطه * ووجد في خاطره فضله واصاب من القول جريانا * ووجد ميدانا * وقال ما وجد بيانا * وما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم * والكذب مذموم الا فيهم * اذا ذموا ثلبوا واذا مدحوا سلبوا * واذا رضوا رفعوا الوضيع * واذا غضبوا وضعوا

الرفيع * واذا اقروا على انفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد * ولم يمد اليهم بالعقوبة يد * غنيهم لا يصادر * وفقيرهم لا يحتقر * وشيخهم يوقر * وحديثهم لا يستصغر * وسهامهم تنفذ فى الاعراض * اذا نبت السهام عن الاغراض * وتصل الى البعيد كما تصل الى القريب * وشهاداتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل * ولم يشهد بها عدل * وسرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار * ولو بلغت الف قنطار * ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم * وان صارموا الصديق لم يستوحش منهم * بل ما ظنك بقوم هم صيارفة اخلاق الرجال * وسماسرة النقص والكمال * بل ما ظنك بقوم هم امراء الكلام يقصرون طويله ويخففون ثقيله * ويقصرون ممدوده ولم لا اقول ما ظنك بقوم يتبعهم الغاوون * وفى كل واد يهيمون * ويقولون ما لا يفعلون *

﴿ وكتب الى تلميذ له قطع فى مجلس وكابر واختلط ﴾

بلغنى انك ناظرت * فلما توجهت عليك الحجة كابرت * ولما وضع نير الحق على عنقك ضجرت وتضاجرت * وقد كنت احسب انك اعرف بالحق من ان تعقه * واهيب لحجاب الانصاف والعدل من ان تشقه * كأنك لم تعلم ان لسان الضجر ناطق بالعجز * وان وجه الظلم مبرقع بالقبح * وانك اذا استدركت على نقد الصيارفة * وتتبعت خطاء الحكماء والفلاسفة * فقد طرقت الى عيبك لعائبك * ونصرت عدوك على صاحبك * وقد عجبت من حسن ظنك بك * وانت انسان والله المستعان *

﴿ وكتب الى ابى عمر المكندرى وزير صاحب جرجان ﴾

وعد الشيخ يكتب على الجلمد * اذا كتب وعد غيره على الجمد * ولكن صاحب الحاجة سيئ النظر بالايام * مريض الثقة بالانام * لكثرة من يلقاه من

من اللئام * وقلة من يسمع من الكرام * وفلان نغض عندى غرار شكره * واستعان بى على تحمل ما اثقله من اعباء بره * فاعلمته اننى اثقل منه بنعمة الشيخ ظهرا * واضيق منه بما لزمنى اداؤه صدرا *

﴿ وانشدته شعرا ﴾

اعنين هلا اذ كلفت بها * كنت استعنت بضارع العقل
اقبلت ترجو العون من قبلى * والمستعان به لفى شغل

ثم انى تذممت فى ان ارد اخوانى * فى ماعون طلبوه من لسانى * فاصحبته هذه الاحرف * والشيخ يلمظه بالزيادة حلاوة الشكر * ويعرفه فعلا لا قولا حميد عاقبته وما افاض فيه من جميل النشر * فمثله عرف الشاكرين الصنعة * ونفق بينهم هذه السلعة *

﴿ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة وقد طولب ابو بكر بحضور الديوان فانفعل ﴾

هذا اطال الله تعالى بقاء الشيخ الرئيس حال نيسابور واهلها * بل حالى وحال الاحرار فيها * واصبح اقوام يقولون ما اشتهوا وغاب ابو عمرو وغابت رواحله * وقد كنت آوى من الشيخ ايام مقامه بهذه الجنبة الى كنف رحيب وجناب خصيب * وباع واسع * ونائل شائع * ووجه اذا نظرت اليه * قرأت نسخة الكرم فى وجنتيه * تلمع آثار الكرم بنور اساريره * وتعرف بشرى النجاح فى تباشيره * وثم يبشرنى بابتسامه * قبل ان يبشرنى بكلامه * ويحيينى بالنجح باشارته * قبل ان يترجم بعبارته * واذا رأيته رأيت بختى قد اقبل الى فى معرض الكمال * وطالعت سعدى وقد طلع على بنيل الآمال * عن يمينى الجمال * وعن يسارى الكمال * فاغدو الى بابه يقدمنى الامل والرجا * واروح عنه فيشيعنى الشكر والدعاء * واحمل حوائجى منه على جبل الجود الذى لا تحركه المطالب * ولا تثقل عليه الرغبات والرغائب * بل على بحره الذى لا ينزفه الاستقاء * ولا تكدره الدلاء * ولا يرى قعره *

ولايدرك غوره * وانما يصبر على حوائج الناس * ويلتذ باستماع صوت رجاة الاضراس * من ولد فى طالع السخاء * وغذى فى حجور الكرماء * وقرع سمعه منذ صباه باصوات الادباء والشعراء * ومرن على البذل والعطاء والثقل ليس مضاعفا لمطية * الا اذا ما كان وهما بازلا * حتى اذا كادت غصون آمالى تزف بعدما يبست * ووجوه مطالبى تضحك بعدما عبست * رمتنى الايام بفراق الشيخ فاخدج رجائى الحائل * وجف ضرع املى الحافل * وسكت لسانى القائل * وفترت فتور التاجر بار متاعه * وعاب مبتاعه * ونجلت نجل ابى البنت زهد فيه اختانه * وضحك منه جيرانه * وردت عليه بكرة * وسيق اليه مهره * وقلت لو اراد الله بالادب خيرا لماغاب من كان يجمع شمله * ويكرم اهله * ويعرف فضلهم وفضله * ولو انصفت الادب بعد الشيخ لرثيته مرثية الاموات * ولاقت عليه ماتم الممات * ومحوت اسمه من جريدة الحياة * هذا وقد ورد على عمل الخراج من لا اطريه بحرمه * ولا اتناوله بطرف ذريعة او وسيلة وكأنى به وقد حسدنى فى جملة العامة * وادخلنى فى غمار سائر الرعية * ووقفنى على جسر قدامه الخسران * وخلفه الهوان * وفجعنى بدريهمات جمعت بتقحم المهالك * واختراق المسالك والممالك * ودنانير قطعت القفار * وخاضت البحار * وناطحت الحوادث والاقدار * فان بذلتها ابرزت وفرا طال ما كان مخزونا * وان منعتها ابتذلت عرضا لم يزل مصونا * على اننى احمل الجمال على التجمل * واوثر البذل على التبذل * وانشد شعرا * حنانيك بعض الشر اهون من بعض * وما ايسر دواء هذا الداء لوطاوعتنى نفسى العاصية * وتابعتنى رجلى الآبية * فدخلت الديوان * وصانعت الزمان * وفتحت جراب النفاق والريا * واغلقت باب الحفاظ والوفا * ولكن النظر الى عين الشمس ايسر على واهون على عينى من ان انظر الى هذا الصدر * وقد جلس فيه غير ذلك البدر * وانى لاغار على الكرم * كما يغار على الحرم * وابخل بالمراتب كما يبخل غيرى بالمكاسب * واستحيى لعينى ان اقحها على الصغير * وقد جلس مجلس الكبير * لاابتلانى الله بمجالس الغيرة * ولا اقامنى فى مقامات الغم

و

والحيرة * فانه ان ابتلانى بذلك وجدنى ضيق ساحة الصدر * قريب غور الصبر * كثير المباراة * قليل المداراة * هذه اطال الله بقاء الشيخ حالى * فهل لى عنده فرج ارتجيه * او نظر انجمع فيه * وهل يحرك لفظة من الفاظه * او لحظة من الحاظه * يرد بها على وجهى ماء نضب من مائه * وعلى عرضى ماذهب من بهائه * ولعمرى ان حاجتى الى الشيخ فى هذا الخراج صغيرة ولكنى لا استصغر منه يسيرا * كما لا استعظم منه كبيرا * واعلم ان الحر يسع الصديق بفطنته * والخليل بهمته * وان ابطأ عنى كتابه بالفرج خشيت ان يسرى فى السم الوحى * الى ان يصل الى الترياق البطى * اعوذ بالله من ان يكون دائى نقدا * ودوائى وعدا *

﴿ وكتب الى رئيس طوس يعزيه عن شقيق له ﴾

كتابى عن سلامة * وما سلامة من يرى كل يوم ركنا مهدودا * ولحدا ملحودا * واخا مفقودا * وحوضا من المنية مورودا * ويعلم ان ايامه مكتوبة * وانفاسه محسوبة * وان شباك المنايا له منصوبة * اف لهذه الدنيا ما اكدر صافيها * واخيب راجيها * واغدر ايامها ولياليها * وانغص لذاتها وملاهيها * تفرق بين الاحباء والاحباب بالفوات وبين الاحياء والاموات بالرفات * ورد على خبر وفاة فلان * فدارت بى الارض حيرة * واظلمت فى عينى الدنيا حسرة * وملك الوله والوهل قلبى وساوس وفكره * وتذكرت ما كان يجمعنى واياه من سكرى الشباب والشراب * فعلمت انه شرب بكاس انا شارب من شرابها * ورمى بسهم سوف أرمى بها * فبكيت عليه بكاء لى نصفه * وحزنت عليه حزنا لنفسى شطره * وسألت الله تعالى فانه اكرم مسئول * واعظم مأمول * ان يفيض عليه من رحمته * ما يتم به سهمه من نعمته * وان يتغمد كل زلة ارتكبها برحمته * ويضاعف له كل حسنة اكتسبها بمنته * وان يذكر له تلك الاخلاق الكريمة * وتلك المروءة الواسعة العظيمة * فان الله تعالى ليحب السخاء فى المجد * فكيف فى الموحد * وان سخاء النفس ونصب المائدة خلق من

اخلاق الصديقين * وشعبة من شعب النبيين * ثم تذكرت ما نزل بسيدى من الوحشة لفقده * والغمة من بعده * و التحسر على قربه ببعــده * فخلص الى قلبي وجع ثان انسانى الماضى * وثالث انسانى الثــانى * حتى استفرغ ذلك ما فى صــبرى * بل ما فى صدرى * و حتى صار الوجع وجعــين * و المصاب اثنين * ثم رجعت الى ادب الله تعالى فقلت انا لله و انا اليه راجعون اللهم لا شكاية لقضائك * و لا استبطاء لجزائك * و لا كفران لنعمتك * و لا مناصبة لقدرتك * اللهم ارحم الماضى رحمة تحبب اليه مماته * و ابق الحى بقاء يهنيه حياته * واطبع على قلبه حتى لا يطيع داعية الجزع * ولا يضع عنانه بيد الهلع * ولا يثلم جانب الاجر و الذخر * بالاثم و الوزر * و لا يجــد عدوه الشيطان سبيلا اليه * ولا سلطانا عليه * اقتصرت من تعزية سيدى على هذا المقدار * لاجريا على مذهبى فى الاقتصار و الاختصار * ولكنى لم اجد من لسانى بسطه * و لا فى قريحتى فضله * و يحق لهذه الفادحة الحادثه ان تدع اللسان محصورا * و البيان مقصورا * او ان تحدث فى العقل خللا * وفى البيان شللا * و ليعرفنى ســيدى خير ما هداه الله اليــه من جميل العزا الذى لم يعدم جميل الجزا * ليــكون سكوتى الى ما اعرفه من سلوته * اضعاف قلق كان بما ظننته من حرقتــه * و ان كنت اعلم انه لا يخلى ســاحة الحلم و العلم * و لا يخل بالواجب من التمسك بالحزم * و لا يحل عقدة صبره * و لا تتداعى اركان صدره * و لا يعمى الرشــد فى جميع امره * وهذه شريطة الكمال * وسجية الرجال *

﴿ وكتب الى ابى الحسن الطرحودى بدار طوس ﴾

فلا ترتفع عنا لشغل وليته * كما لم يصغر عنــدنا شانك العزل * ليت شعرى ما الذى رآه فى الكبر حتى اعتقد ملته * واستقبل قبلته * وفى العجب حتى تبوأ ساحته * و استوطن راحته * وفى الجفا حتى علق اسبابه * ولبس جلبابه * وما الذى ارتكبته من بين اخوانه * حتى افردهم عنى * وكاتبهم دونى *
حتى

حتى كأنى قطعته و وصلوه * ونسيته وذكروه * وجفوته و بروه * كأنه عرض جريدتهم فوجد اسمى ملحقا بحواشيها * ومثبتا فى اخريات اساميها * فهلا اذ لم يوهلنى لمرتبــة الخاصة * جعلنى اسوة بالعامة * وهلا اذا لم استحق منه فضلا * رزقت منه عدلا * وهلا تصدق على * بكتابه الى * فالزمنى على المســاكين صدقه * و للفتح هدية * فكنت اجعل يوم وصول كتابه الى عيدا * و نيروزا جديدا * واتصدق بمالى فيه طريفا وتليدا * واطوف بكتابه فى اخوانه واخوانى * واباهيهم به مباهاة الاخ باخيه * الذى مساعيه مساعيه * ومساويه مساويه * وكل شئ من فضيلة و رذيلة فهو شريكه فيه * صفحت ايد الله ســيدى عن هــذا الذنب الفظيع * و الجرم الشــنيع * فهل لســيدى ان يستأنف ما احاله آخرا * ويأخذ بنــا فى طريقه غير الاول * فان الاســتقالة تأتى على العثرات * وان الحســنات يذهبن السيئات * وان قليل الاستغفار * ينسى قليــل الخطأ والاوزار * خرج الى ناحية ســيدى فلان وهو جوهرة من جواهر الشرف * لا من جواهر الصــدف * وياقوتة من يواقيت الافكار * لا من يواقيت الاحجار * واذا نظرت اليه من مرآة الحيرة * و قلبــه بيد العشيرة * استدل به على حسن انتقادى * و صائب ارتيــادى * و علم انى لا اختــار غير الخيار * ولا اجنى غير خير الثمار * ولا اصــادف غير الاحرار * فلينطق سيدى لسانه بشكره * وليكفه الدقيق والجليل من امره * و ليمش على عقبى لا بل مقدمتى الى الطــافه وبره * عرض ســيدى هدايا تلك الناحية * و كيف اطمع فى هدية من يبخل برد السلام * ويحاسب اصدقاءه على الرسالة والكلام * وكــيف يسمح بالجوهر الحاصــل * من يبخل بالعرض الحائل * و كيف يتوسع فى النافلة من تضايق بالفريضة * انصفنا الله تعــالى من اصدقائنا * فانا بحوله وقوته ننتصف من اعدائنا *

﴿ وكتب الى وزير قابوس بن وشمكير ﴾

و كل ولاية لابد يوما * مغيرة الصديق على الصديق

کتابخانه مرکزی آستان قدس رضوی
١٦٤٣٧
مو
٢٧٧١٩
ح

قد كنت انتظر مصداق هذا البيت من سيدى حتى حقق الله تعالى ظنى * ولو اكذبه كان احب الى * واوقع لدى * فسبحان من جعل حصتى من وفاء الاخوان منحوسة * وتجارتى فيما اعاملهم به ويعاملونى مركوسة * فان كان سيدى عم بهذا الجفا اخوانه فخلطنى بهم * وجعلنى واحدا منهم * لقد اخلف ثقتى بانفرادى عن صحبه * وخلف ظنى بناحيتى عن قلبه * وكنت احسب انه يخصنى من بينهم بفضل المقة * كما خصصته من بينهم بفضل الثقة * وان كان وصلهم وقطعنى دونهم * لقد عكس حكم الرجا * وغرس الجفا فى منبت الوفاء * واساء الترتيب بين الاصدقاء * وما ادرى له فى واحد الفعلين عذرا * وان كان احدهما اثقل وزرا * واسوأ برا * واقبح ذكرا * وقد كنت طويت بيد اليأس بساط العتاب * واغلقت باب المراجعة وضيعت مفتاح الباب * ثم استظهرت بهذه الاحرف وستردّ على من سيدى اذن من العتاب صماء * وعين من الوفاء عمياء * ونفس تبغض الوفاء * كما يبغض الناس الاعداء * وتعشق الجفاء كما يعشق الرجل المرأة الحسناء * وتشتهيه كما يشتهى الظمآن الماء * وانتظارى الجواب عنها اكذوبة من اكاذيب الامانى * واغلوطة من اغاليط زمانى * ومناقضة لحكم القياس * وارجاف من اراجيف الوسواس * ولكنها سخرة من سخر الفراغ تكلفتها * وحاجة فى نفسى قضيتها

﴿ وكتب الى رئيس بهراه يعزيه بابن اخته وبنته ﴾

كتابى ايد الله الشيخ الرئيس * وانا سليم المهجة * سقيم القلب والمنة والنية * صحيح العرض والجسد * عليل الخاطر والجلد * للمصيبة فى فلان رحمه الله * فانها مصيبة خرجت من كمين الدهر * قبل ان يستعد لها بعدد الصبر * وجاءت مجىء البغية * ووثبت وثبة المسارقة * وغلبت الايام على ذلك الحر اطرأ ما كان غصنا * واتم ما كان حسنا * وابعد ما كان املا * واظهر ما كان جزلا * حتى كأن المنون اخذته خلسة * وانتهزت فيه فرصة

فرصة وفقد الشباب الطرى اكثر جزعا * وكسر العود الرطب اشد وجعا

ان الفجيعة بالرياض نواضرا * لاشد منها بالرياض ذوابلا

ولو كان الدهر يجيب من خاطبه * ويعتب من عاتبه * لاستدركت هذه الفعلة عليه * ولفوقت سهام اللوم اليه * لكنه اصم عن الكلام * صبور على وقع سهام الملام * يختصر العيدان * ويهتصر الاغصان * ويخترم الشبان * ويبكى الانام والابدان * ويلحق من يكون بمن كان * والشيخ جدير بان يتدرع لهذه الفجيعة درعا من كرم التسلى * وجميل التعزى * لا تخرقها يد التذكر * ولا تهب عليها ريح الغم والتحسر * ولا تطمح نحوها عين التغير والتنكر * وان يلقى هذا الخطب الكبير * والغم الكثير * بصبر منهما اكبر * وتجلد هو منهما اكثر * فان الكبير فى قلب الكبير صغير * وان العظيم على العظيم صبور *

و الثقل ليس مضاعفا لمطية * الا اذا ما كان وهما بازلا *

وليحذر ان يجمع على نفسه ذل الغربة * وثقل الكربة * وان كان لا غربة على عاقل * ولا وحدة لفاضل * فان الداء اذا قابل دآء لم يقبل دواء * ولم يرج لصاحبه شفاء * وليعلم ان الله تعالى قد اخذ منه اليسير * وابقى له الكثير * وسلبه الصغير * ومنحه الكبير * سلبه اخا كان يعتضد باخوته * ومنحه ابا يجمع خير الدارين بابوته * وابقى له اخوة هم قوة اليد والعضد * وغاية الايد والمدد * وزينة العدد والعدد * وجمال الدهر والابد * فسبحان من اذا سلبنا من هو املك به منا آجرنا * واذا صبرنا على ما لا بد من الصبر عليه شكرنا * واذا امتحن كانت محنته خيره * واذا منح كانت منحته نعمة كبيرة * ورحم الله فلانا ذا الخلق المعسول * والكنف المأهول * والطعام المبذول * صاحب المرعى الخصيب * والقلب الرحيب * والوجه الطلق * والجناب الغدق * الشاب سنا وجلادا * والشيخ حلما وسدادا * الذى كان زينا اذا دنا * وذخرا اذا نأى * وعدة للآخرة والاولى * والذى كان يهين ماله * ليكرم نزاله * ويبذل ديناره وداره * ليصون زواره * ويضحك فى وجه النازل عليه * عند نظره اليه * كأن الموت ينتقد

الافاضل * ويبهج الاراذل * وكأن الآخرة تختار الاخيار * وتترك على الدنيا الاشرار * وكأن اعمار الكرام مناهرة * و اعمار اللئام مداهرة * قال الطائى

عليك سلام الله وقفا فاننى * رأيت الكريم الحر ليس له عمر

فاما البنت رحمها الله تعالى فقد كانت حياتها عفافا وسترا * ووفاتها ثوابا وذخرا * ولقد كانت فى زمان النجابة فى رجاله غريبه * وفى نسائه عجيبه * والعفاف فى ذكرانه معوز * وفى اناثه معجز * والعقل فى شيوخه نادرة تفقد * وفى شبانه ضالة لاتوجد * فالحمد لله الذى سترها بالحياء فى حياتها * وبالثواب بعد وفاتها * فاسبل الله تعالى على سيدنا سترين * واستوجب منا ومنه له شكرين * ولقد ثكلنها ثكل الرجل لاخص اخواته * بل لاكرم بناته * فقد كانت لى من جهة ميلادها والحال بينى وبين والدها بنتا * ومن جهة تربيتها اختا * والمستور عزيز فى كل مكان * ومحبب الى كل انسان * وممدوح بكل لسان * فان تكن خلقت انثى لقد خلقت كريمة غير انثى العقل والحسب فرحمها الله تعالى رحمة تلحقها بمريم وآسية فى الاولين * وبخديجة وفاطمة فى الآخرين * وبام الدرداء ورابعة فى نساء الصحابة رحمهم الله تعالى اجمعين * ولولا ما ذكرته من سترها * ووقفت عليه من غرائب امرها * لكنت الى التهنئة * اقرب من التعزية * فان ستر العورات من الحسنات * ودفن البنات من المكرمات * ونحن فى زمان اذا قدم احدنا فيه الحرمة * فقد استكمل النعمة * واذا زف كريمة الى القبر * فقد بلغ امنيته من الصهر *

وقال الاول

ولم ار نعمة شملت كريما * كنعمة عورة سترت بقبر

وقال الثانى

تهوى حياتى واهوى موتها شفقا * والموت اكرم نزال على الحرم

وقال الثالث

ودت

وددت بنيتى ووددت انى * وضعت بنيتى فى لحد قبر

وقال الرابع

ومن غاية المجد والمكرمات * بقاء البنين وموت البنات

وقال الخامس

سميتها اذ ولدت تموت * والقبر صهر ضامن وبيت

وقد كنت على ان افرد فى معناها كتابا الى الشيخ ثم تطيرت له من تناسق التعزيتين * كما توجعت له من تواتر المصيبتين * وارجو ان تكون هاتان الحادثتان خاتمة الكروب * وقافية الخطوب * ثم تجئ النعم بعدها مترادفة * بل مترافدة * ثم متظاهرة * بل متواترة * ومتناسقة * بل متطابقة * فان المحن اذا تناهت انتهت * والرزايا اذا توالت تولت * ولكل غمرة محنة معبر * ولكل مورد غمة مصدر * وسيجعل الله بعد عسر يسرا * ولعل الله يحدث بعد ذلك امرا * على انها تعفو الكلوم * وانما توكل بالادنى * وان جل ما يمضى اسأل الشيخ ان يكتب لى حصر ما وجده من برد السلوة * لاشركه فيه كما شركته فى حرارة اللدغة والفجعة * والسلام

وكتب الى صديق له جواب كتابه

ما تأخر جواب كتاب سيدى وشيخى جهلا بحقه اللازم الواجب * ولا انكارا لافضاله المتراكم المتراكب * ولكنى تحريت وقتا ينشط فيه اللسان للبيان * والبنان للجريان * ويوما يحسن فيه الدهر * وينشرح فيه الصدر * ويقل فيه الفكر * فلا والله ما وجدته وقد كنت اشتاق الى غدى * فانا الآن الهف على امسى * وما من وقت كرهته الا وانا احن اليه * ولا من يوم بكيت منه الا بكيت عليه *

﴿ وكتب الى حاكم ﴾

ورد كتاب الحاكم بما ملأني سرورا وحبورا * وصار في رجائي الميت حركة وفتورا * وشكرته على ما بذله شكرا * لا ارضاه مهرا * لاساءته لو انتهت الى * فكيف لاحسانه المتظاهر على * ولكن لن تتجاوز الطاقة ذرعها * ولن يكلف الله نفسا الا وسعها * وما عندنا غير خلق لا يشترى بثمن * ولا يعارض بايعه بقبيح ولا حسن * وهو الدعاء استجاب الله في الحاكم صالحه واسبغ عليه منايحه * واعطاه من كل خير مقاليده ومفاتحه *

﴿ وكتب الى نائب الوزير ابن عباد باصفهان ﴾

كتبت الى الاستاذ معاتبا مرة * ومستعتبا كرة * فما وجدت للعتاب اعتابا ولا قرأت عن الكتاب جوابا * وليت شعري ما الذي منعه عن صلة لا تضره وتنفعني * وعن تواضع لا يضعه ويرفعني *

وربما بخل الجواد وما به * بخل ولكن سوء حظ الطالب

فالان قد عنيت بجواب كتبه * وعرفت بين عتابه وعتبه * يكفيني ان اورد على الاستاذ خبر شكره * وان اجعله بعض ودائعي عند احسانه وبره ومذ اخبرته اني قد ركبت من التقصير في شكر الاستاذ عن خاصيتي * مركبا سقطت معه شهادتي * واخفقت بعده شفاعتي * وان شكري له عن غيري * بعدما ضيعت الواجب منه على نفسي * نافلة اقيمها بعدما ضيعت الفريضة * وتفصيل اصلحه بعد ما افسدت الجملة * ولن تقبل النافلة او تؤدى الفريضة فلم تقابل حجتي الا بالجحد * وعذري الا بالرد * وما زادني على كتبه العريضة الطويلة * ومعاتباته الثقيلة * فذكرته الآن الاستاذ فان كنت اسأت فالاساءة بيني وبينه * وان كنت احسنت فالاحسان لي دونه * ويا عجبا مني اعجز عن تحمل نعمة ثم اخطب نعمتين * ولا اقوم تحت عارفة ثم اطلب عارفتين

عارفتين * ولا ارضى البر الا مداخلا * ولا اقبل الاحسان الا مضاعفا * وما يستبدع منه بذل الرغيبة بعد الرغيبة * ولا مني اقتراح الغريبة بعد الغريبة * فانه ايده الله اوحد في النوال * كما اني اوحد في السؤال *

﴿ وكتب الى ابي الحسن الحكمي ﴾

خرج الشيخ من هاهنا على حالة ان كان الذنب فيها له فقد غفرت وعذرت * وان كان لي فقد استغفرت واستعذرت * والدهر يوزع بافساد الاحوال * وتكدير ماء الوصال * وقطع قرائن الرجا * ثم يعود العاقل لما يرفو به الخرق ويرتق به الفتق * فيقبل الزلة ويراجع الوصلة وينشد

اذا نزعات الحب اورثن بيننا * عتابا تراجعنا وعاد العواطف

فاما الجاهل فانه اذا هجر لم يبق في القوس منزعا * ولم يترك للصلح موضعا * والحمد لله الذي وفقني في اثناء هذه الحال حتى كبحت فرس الغرامة * وغمدت سيف الشكوى والملامة * وايقنت الحال في صوانها * ولم اتعد منها حكم زمانها * فهجرت هجر منازل كريم المقاطعة * ووصلت وصل مراجع حميد المراجعة * لتكون الاولى بدرة مغفورة * والثانية كفارة مشكورة * والعتبى عروس ليس لها غير الصلح مهر * والاعتذار سعي ماله غير القبول اجر * وقد كنت قلمت عن عرض الشيخ بنانا حديد المخالب * وفللت عن جانبه سيفا مرهب المضارب * وانما سلطان الغضب ساعة تورث ندامة الابد * ويوما يثمر حياء الغد * الامن اعين بالعصمة * واطاع راعية العقل والحكمة * والسلام

﴿ وكتب الى صاحب ديوان الخراج بالحضرة ﴾

قد كنت ارجو ان تعلق بالشيخ يأسو خراج الايام لي * وينزع نصالها الواقعة

بجنبي * فطالما تعلق المدبر بذيل المقبل فاقبل باقباله * وصارت حاله قطعة من حاله *

وكم صاحب قدجل عن قدر صاحب * فالقى له الاسباب فارتفعا معا

ويا عجبا كيف لا يغار الشيخ على جانبي منه * وكيف لا يخاف على تخطي فيه * وكيف يرضى بان يرى مصون قولي فيه وقد ابتذلته * وكيف يستحسن ان اسأل غيره بعد ما سألته * فوالله تعالى ان لسانا جرى بمدح سواه بعد مدحه لاهل ان ينزع * وان كلاما كان فيه ثم صار في سواه لجدير بان لا يسمع * وقد كنت زففت الى الشيخ عروسا من كلامي عانيته فيها * فان كانت حسناء فاين حق الزوجية * وان كانت قبيحة فاين حق النية * ولا اقل من ان يرضى بالمجان * ان لم يشتر بالاثمان * وان يمسك بالمعروف او يسرح باحسان * وان درهما يؤخذ مني لدرهم ثقيل الوضع على السلطان * قبيح الاحدوثة في البلدان * ولئن كان يعمر به بيت المال * فان يخرب بيت الجمال * ولئن كان يزيد به عدد الدراهم * انه لينقص من عدة المكارم * ولئن كان يسمى في العامة جباية * انه يسمى في الخاصة خراية * ولنبش اكفان الموتى * وسرق ادوية المرض * وقطع الطريق على حجاج بيت الله الحرام * وزوار قبر النبي عليه السلام * احسن في الاحدوثة وابعد من العار و النقيصة من الزام مثلي خراجا * وسومه غرامة واستخراجا * وانما يحاسب نفسه في مثل هذا من وزن افعاله بمعيار الحرية * واخذ نفسه بشرائط الانسانية وغار على نفسه * كما يغار على عرسه * وضن بقدره * كما يضن بوفره * وهذه خصائص لا يؤاخذ بها الاحرار * والشيخ بحمد الله صدرهم وبدرهم * وعليه مدار امرهم وهو اولى من غضب للادب * وحافظ على الاقدار و الرتب

وكتب الى ابي الحسن علي بن دايه

لم ينقطع عن كتاب سيدي مع ضني به * وعشقي له * الا انه يبخل علي بان احفظه

احفظه وارويه * ويخشى على ان انتحله وادعيه * فهبني به لا يبخل على الفقراء * ولا يرضى لاسمه ان يكتب في جريدة البخلاء * ام لانه يكره ان يصير نظيرا اذا كاتب دونه كثيرا * فهذا ظن غير صائب * ورأي غير ثاقب * فقد يكاتب الكبير الصغير * فلا الكبير يصغر * ولا الصغير يكبر * ام لانه يخاف ان لا يعرف حقيقة خطابه * ولا يبلغ غور كتابه * فقد علم ان الله تعالى خاطب العامة بوحيه كما يخاطب به الخاصة * ام انه يأنف لكتابه اللطيف * من جوابي الكثيف * فما زال الخطأ منبها على مقدار الصواب * وما زال توسط المجيب دليلا على تقدم المجاب * ام لان اخوانه الذين استطرفهم من بعدي واعتاضهم مني * قد شغلوا يده عني * فما كنت اظن انه يحفظ لكل جديد لذة * وينسى لكل عتيق حرمة * ام لان الايام اعدته فما حسبته يقبل عدواها * ويتحلى بحلاها * ويرضى لنفسه ان يسمى مسعاها * ام لان سمرقند بعدت عليه * والكاغذ عز لديه * فانا اجهز اليه قوافل تحمل من الكاغذ اوقارا * ويتصل مني اليه قطارا قطارا * ام لانه يتكاسل عن مكاتبتي فانا اكتب عنه الي * وارضى قلبي بيدي * هذا اذا تواضع وقبلني كاتبا * فاما انا فقد رضيت به صاحبا * على انني منتظر منه ان تعطفه على العواطف * وان تعود الى نعمه السوالف * فلربما غلط الدهر المسيء الى بالاحسان * وعاد على الهدم بالبنيان * هذا والكتاب ملق * لا موق * تسرع اليه اليد الحاملة * وتعرض له الآفات السانحة * فالماء يغرقه * والنار تحرقه * والريح تطيره * كما ان الايام تغيره * والدخان يسود بياضه * كما ان الحك يبيض سواده * والرطوبة تضره * كما ان اليبوسة لا تنفعه * فآفاته اكثر من آفات الزجاج الذي يسرع اليه الكسر * ويبطئ عنه الجبر * وحوادثه اكبر من حوادث الغنم التي هي لكل يد غنيمة * ولكل سبع فريسة * واقل آفاته خيانة الحامل * ووقوع الشاغل * وعوائق الفتوح و القوافل * وهذا التطويل كله ارتياد لعذر اجده لسيدي * وان رجلا اعتذر عنه الى قلبي * وابرز ذنبه في معرض ذنبي * لاعظم في عيني من كل عظيم * واكرم على قلبي من كل كريم * وكأنه في وفيه قيل

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

وكتب الى ابى الحسن الحكمى

طالت ايام الشيخ بتلك الناحية * حتى ظننت ان الدهر فطن لايامنا فى ظله * ولرتعنا فى فضله * فزاحمنا عليه * وسابقنا اليه * وسلبنا النعم به * لاسلبنا الله نعمته * فانها نعمة متجاوزة الى كل من قدح بزنده * واستظل بظل احسانه ورفده * وانما يريد الناس النوال للمال * وهو يريد المال للنوال * فالنعمة عليه نعمة على من سواه * والنعمة على غيره نعمة لا تتعداه * على انى عارف بان الله تعالى لن يختم للشيخ الا باحمد العواقب * ولا يعدل بحاله الا الى الين الجوانب * وعلى الكريم واقية من فعله * وله حصن حصين من فضله * فاذا زلت به النعل زلة * او صال عليه الدهر صوله * اقامته يد احسانه * وانتزعته من مخالب زمانه * فليمد الشيخ عنان رجائه * وليتوقع الفرج فى صبحه ومسائه * وليعلم ان وراءه ربا لا يخذله * وسريرة صالحة لا تسلمه * وسلطانا عادلا لا يظلمه * اراه الله تعالى وارانى فى حساده * مايصيرهم نكالا بين عباده وبلاده * واراهم فيه من رغائب النعم * وغرائب القسم * مايتمنون العمى قبل رؤيته * والصمم قبل روايته * واطال رغمهم ببقاه * وجعلهم فدائى ثم جعلنى فداه *

وكتب الى ابى الفرج لما قلده خلافة البندار بطوس

وردت كتب ولدى على يد جماعة اصدقائه * وكافة اوليائه * وطلبت حصتى منها فلم اجد فيها * فليت شعرى كيف قصدنى من بينهم الزمان * وكيف خصنى منه بالحرمان * وكيف صرت المستثنى * وقعدت على طريق الا * وكيف عدنى ولدى فى الاجانب * وكنت اعد نفسى فى الاقارب * وهلا اذ لم يدخلنى

يدخلنى فى جملة اخوانه واصفيائه * ادخلنى فى جملة شيعته واوليائه * وقد اغتفرت هذه الواحدة * وساؤاخذه ان عاد اليها ثانية * فما يسع عفوى الا كثر من مرة * ولا تنال اقالتى اكثر من عثرة * هذا العمل اول ماجرى ولدى فى ميدانه * وسابق اهل زمانه * فان طلب الغاية * وبذل الجهد والطاقة * لحق السابق * وفات اللاحق * وان قصرفاته المراد * وسبقته الجياد * وهو ابن رجل ان سبق ابنه فلم يشكر * وان سبق لم يعذر * فليتعب نفسه * فلا راحة مع الهمة * وليسهر عينه فلا نوم مع طلب الغاية وليحذر فلتات اليد واللسان * وسكرات الشبان * فان سكر الشباب * اشد من سكر الشراب * وليكتب فى قلبه بيد عقله قول الاول * خدمة السلطان والكاسات من ايدى الملاح * ليس يلتئمان فاختر رفعة اوشراب راح * وانى لاعلم ان لولدى عرقا سيرخى عنانه * ويخلف اقرانه * وانه لن يستقبل الا قبلة حسبه وان يفعل الا ما يليق به * ولكن احزم الحزمة لا يستغنى عن عظة الاخوان * كما ان اعتق الجياد لا يستغنى عن ركض الفرسان * كنت كتبت كتابا قبل هذا ارخيت فيه عنان لسانى * واتعبت فى تطويله قلبى وبنانى * والتطويل فى شكر الجميل اختصار * والاطناب فى قضاء الواجب تقصير واقتصار * فلان قد الف طوس حتى عشقها * وهجر نيسابور حتى طلقها * وتعدى طلاقه الى طلاق اخوانه بها * وانا احسد ولدى على ماخص به من قربه * واود لو شركته فيه كما شركته فى حبه * والحسد على مثل هذا سنة متبعة * وفى غير هذا بدعة مبتدعة * وقد كنت اشكو الايام وهى تفارقنى باخوانى فرادى * وهى اليوم تفارقنى بهم مثنى * فتكلفنى ان اقيم للشوق نوبتين * واوجه قلبى اليهم من طريقين *

وكتب الى وزير خوارزمشاه لما نكب وكان خريجة هرجة

اصبحت ايد الله الشيخ وامسيت شبعان من كل بغية * ريان من كل مراد ومنية * غير خبر انقشاع هذه الضبابة * وانجلاء هذه السحابة *

فانى يعلم الله تعالى ظمآن الى خبر * يذيل فرحى على غمى * ويهزم بسرورى عساكر همى * فما اسرع خبر السوء حتى كأنه يخب * وما ابطأ خبر السرور حتى كأنه يدب * وما اولع الدهر بهدم ركن الفضل * وثلم جانب العقل * وما اسرع الايام على الكريم فيما يضره * والى اللئيم فيما يسره * وما ابين مجانسة الدهر لاهله * واكثر مناسبة الجاهل فى جهله * وما اشد غيظى على فلتات الايام فى الكرام * وعلى نفحات الارزاق فى اللئام * وما اشوقنى ان استمع من اخبار تلك النفس النفيسة ما ابكى له طربا * كما ضحكت من ضده تعجبا * والى الله اشكو حالا ضحكها سخرية * ومجاز وعارية * وبكاؤها حق وحقيقة واياه اسأل ان يفنى مدة النقص فقد طالت * ويضع من غرة الجهالة فقد استطالت* ويعيد للفضل الكرة * ويزيل عنه الفتور والفترة * ويصب فى سمعى من خبر انحسام دواعى هذه المحنة ما يعيد شبابى الذى ولى * ويطرد شيبى الذى تجلى* فحق لمن شاب عن سماع ما يسوءه * ان يشب من سماع ما يسره * وحق لجسم هدمه الغم الامسى * ان يبنيه الفرح اليومى * وحق الدهر ان يكف فقد بالغ فى العقاب * وتناهى فى العتاب * وحق لصروفه ان تنصرف فقد اشفت وشفت * واكتفت وكفت * وزادت على ما فى الامكان واوفت * وحق لها ان تخاطبها بقول ابن المعتز

يامحنة الدهر كفى * ان لم تكفى فخفى
قد آن ان ترحمينا * من طول هذا التشفى

على انى ارجو ان يكون فى طى هذه المحنة من المصالح ما يغمض مسلكه * ويخفى مذهبه * وان يكون اقل ما يكسبه الشيخ فيها * ويستفيده منها * تمييز معارفيه من اخوانه * والوقوف على من لا يصادقه الا بصداقة زمانه * واذابة المغشوش من الدعوى * بنار الاختبار والسلوى * كما قال البحترى وصدق فى المقال

لئن ثنى الدهر عن عزى فلم يصل * وكف من يدى الطولى فلم تطل
لقد جلت صروفا منه حيرنى * مذمومها غضبا مما على ولى

و

ومما سرنى والشيخ ان المحنة لم تثلم جوانب جلادته * وان طول مدة الذلة والقلة لم تعتصرا احتماله وصلابته * وان الوحدة والوحشة لم تقدحا فى اسانه وقلبه ولم يظهر اثرهما على صفحات ثباته وعزمه * وان لم تصغر على تلون الزمان نفسه * ولم يلن على اكف اعدائه مسه * وانهم كبتهم الله وان توصلوا الى تغيير نعمته وقد عجزوا عن تغيير همته * وان تطرقوا الى كيده باطنا فقد اضطروا الى تبجيله ظاهرا * وقد قيل فى ذلك لعلى بن الجهم

وما المكر الا للنساء وانما * عدوك من اشجاك حين تصارعه

حتى اجتلت عنه غبرة العواقب والعرض نقى * والقلب بالله تعالى قوى * والفعل بحمده تعالى مرضى * والنفس تلك النفس الا ما نقص من مال * وتضعضع من حال * والجملة فلك الجملة لا الرخاء اكسبها بطرا * ولا البلاء اورثها ضجرا * ولا اساء مجاورة النعمة فتطاول * ولا محاورة المحنة فتضاءل والحمد لله الذى كشف عن مقداره فى ميزان الاختبار والابتلاء * واظهر عن حقيقة كيفيته فى مرائى الرخاء والبلاء * والايام مرآة الرجال * والاطوار معيار النقص فيهم والكمال * والعثرة بعد الدولة تخرج خبث الاخلاق * وتكشف عن مقادير الاصول والاعراق * ثم الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال * وعافى فى الكبير وهو الصيانة والجمال * وقد قيل ما يليق بهذا الحال * من حسن المقال *

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا ان يزول التجمل

المال ايدك الله تعالى حطام ينقص ثم يزيد * وظل ينحسر ثم يعود * والشيخ يقضيه قول امير المؤمنين رضى الله تعالى عنه «قيمة كل امرئ ما يحسنه» انت ايدك الله تعالى اغنى اهل خوارزم يوم تصير افقرهم * واكبرهم ساعة تظن اصغرهم * وهو الوزير يوم يعزل * والمصون ساعة يتبذل * والكبير بنفسه * وان انفرد عن غيره * والمستأنس بفضله * وان استوحش من دهره

ان الامير هو الذى * يضحى اميرا يوم عزله
ان زال سلطان الولا * ية كان فى سلطان فضله

﴿ وكتب الى ابى على البلعمى لما فارق الحضرة و ورد نيسابور ﴾

كتابى الى الشيخ وقد امضت الايام فى حكمها * وانفذت فى صبرى وتجلدى سهمها * والحمد لله تعالى على كل شئ الا غيبتى عن الشيخ فانى اخشى ان ازداد منها * اذا حمدت الله لها * انتهت بى المحنة بعد فراق الشيخ الى غاية ليس بينها وبين الموت مجاز * ولا وراءها للبلاء مجاز * حتى لقد ركبت غير دابتى * واكلت غير نفقتى * ونزلت بيتا بكرا * واكلت خبزا بسرا * وحرمت العنبى * وشربت الزبيبى * ولبست الصوف فى المصيف * والبردى فى الخريف * وكوتبت مواجهة * وخوطبت بالكاف مشافهة * واجلست فى صف النعال * اعنى اخريات الرجال * وناظرنى من كان يدوس على * وخالفنى من كان يختلف الى * وحتى لقد نشزت على جاريتى * وحرنت على دابتى * وتقدمنى فى المسير رفيقى * الذى جمعنى واياه طريقى * وحتى انى اخذت الدرهم الجيد فصار فى يدى ستوقا * وقطعت الثوب المشترى فصار على بدنى مسروقا * وغسلت ثيابى فى تموز فغابت الشمس وطلع السحاب * وسافرت فى حزيران فعصفت الريح وسد الافق الضباب * وفقدت كل شئ ملكته غير عرضى الذى عهده الشيخ معى * وصبرى الذى عرفه منى * ومن لم يكن على المحنة صبورا * لم يوجد للنعمة شكورا * ومن لم يحقر سوء ما يبلى * لم يحمد حسن ما يولى * انكر الشيخ عزوف نفسى عن مواقف البذلة * وصعوبة جانبى على من جرنى الى مظنة الهوان والذلة والادب سلطان ينسى هيبة السلطان * واطول العشرة دالة تقيم الملوك مقام النظراء والاخوان * ولا ذنب الا وله فى العفو ساحة عريضة * كما انه لا ذنب الا وله من العذر مسافة قصيرة * وانما المدار على الرضى فانه يقرب البعيد * وعلى الغضب فانه يبعد القريب * الهم الله رؤسانا عنا الرضى *

واتم لنا باحسانهم اليها الحسنى * قد علم الشيخ انى مذ كنت لم يسم خدى عذار الهوان * ولم يوضع على رقبتى نير التبذل والامتهان * ولم تطرق الايام جريم عرضى فتنهكه * ولا نالت ستر صيانتى فتهتكه * ولا ماء وجهى فتسفكه * ولقد اخترقت البدو والحضر * ودخلت ديار ربيعة ومضر * فما رأيتنى بحمد الله تعالى اوخر عن رتبه * ولا خلف عن الغاية فى موطنى رغبة او رهبه * ومعى اذ ذاك سكر الشباب * وذل الاغتراب * والقوم قد باينونى بالنسبه * وفارقونى بالتربة * وان عرضا صنته فى غير مظنة الصيانة * لجدير ان لا اهينه فى غير موضع الاهانة * فقد يبتذل الشاب ويقول اتصون اذا شبت * ويمتحن الغريب ويقول اتعزز اذا ابت * فما عذر من يحتمل الذل وقد رجع الى الوطن من الغربة * وخرج من حد الشبيبة الى الشيبة * وهل وراء الغاية منزلة * ام هل بعد الشيب الا الموت مرحلة * ورد على كتاب سيدى يدعونى * ومثلى لا يجيب داعى القول * دون ان يصدقه داعى الفعل * وبالجملة انا قد تفارقنا على حالة فان كنا عليها والتقينا فيها فآخر التلاق * اول الفراق * ولا يربح من هذا اللقا غير تخريج فراق جديد وتولد حزن جديد * والمرة من الفراق مرة فكيف المرتان * والسهم منه نافذ فكيف السهمان * وان كنا تغيرنا عن ذلك الخلق * ومشينا فى غير تلك الطرق * فيجب ان ندل على ذلك بالاحوال * لا بالاقوال * والشيخ خليق ان لا يفل سيفا شحذه * ولا يضيع علقا اتخذه * ولا يعطش زرعا سقاه * ولا يميت خاطرا احياه * ولقد ارخيت عنان خطابه * ووسعت ذرع عتابه ولكن لا خير للشيخ فيمن لا يحمى عرضه * ولا يسخو عن بعضه الا اذا افسد بعضه * ويد الشيخ اطول من لسانى * وامره امضى من قلمى وبنانى * فلينلنى لين مسها وانا بعيد * كما نالتنى خشونتها وانا قريب * وليعلم انه متى ارادنى خيرا ارجف به الناس * وحملته الى الانفاس * وكان اول رسله الى عزمى المتذبذب * وقلبى المتقلب * وفى الارض متحول * وعلى الله المعول *

* *
*

وكتب الى ابى محمد العلوى

بكتب الانام كتاب ورد * فدت يد كاتبه كل يد
يخبر عن حاله عندنا * ويذكر من شوقه ما نجد

ورد كتاب السيد اطال الله بقاه * واجزل من كل خير قسمه * و وفر منه سهمه وجعل امسه يحسد يومه * ويومه يحسده غده * فرتع الطرف منه بروضة ممطورة * وحلة منشورة * ولآلى فرائد منثورة * وجال منه الخاطر فى حكم لا تعرف و لا تجهل * وفقر لا تترك و لا تستعمل * وفصول يحسد عليها الخاطر الناظر عند الرؤية * ثم يحسدعليها الناظر الخاطر عند الروية * وجعلت انافس فيه البياض الذى يحتوى عليه * واغبط به المداد الذى جرى فى طرفيه * و اتمنى لو كانت اعضائى كلها نواظر تبصره * وخواطر تتذكره * والسنة تكرره * على شريطة ان يكون الناظر لا يمل لحظا * و الخاطر لا يكل حفظا * واللسان لا يزل لفظا * فسبحان الله كيف جعل محاسن القول والفعل الى السيد محشورة * و عليه دون الانام مقصورة * و كيف لم يرض له بان يسود العالم شرفا ونسبا * حتى سادهم علما و ادبا * و كنت اعتقد ان الكتابة سوادية ونبطية * فانا الآن اعتقد انها خراسانية وعلوية * وكنت ارى ان المحاسن فى الناس متفرقة * وانا الان اراها فى واحد مجتمعة * وكنت احسب قول الحكمى

وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

كلام مسهب * وملق متكسب * حتى علمت انه قال ما لا يمتنع امكانه * ولا يتعذر وجدانه * وليت شعرى ما ذا اقول فى هذا الكتاب وقد سد على مسالك الصفات * وحمى على قلبى ولسانى موارد التشبيهات * فانى ان وقفت وقد اجريت لسانى * وتوسطت ميدانى * دللت على عرقى فى الكوادن * وانسلخت عما سربلنيه السيد بشهادته لى من المحاسن * وان جريت وقد سد على توسعة انفاس بيانى * وافترع دونى ابكار الالفاظ والمعانى * ناديت على

على نفسى بانه السابق و انا اللاحق * وشهدت له على بانه المسروق وانا السارق ولكن الحازم يختار خير الشرين * ويرجح بين المتمثلين * و انا استخير الله تعالى * واعدل عن الاولى الى الاخرى * واقول هذا الكتاب احسن من كل حسن * الا من وجه كاتبه * و من خلق صاحبه * واغرب من كل غريب * الا من السيد فى زمان لايسع فضله * ولايقتضى مثله * واعجب من كل عجيب * الا من قيامى اعزنى الله مقام المجيب * عن كتاب اقصى غايتى ان اذريه واوسع خطى همى ان ارويه * و انور من كل نير الا من اوقاتى بلقاء السيد فانها اوقات ايامهن قصيرة وسرورهن طويل * و سعودهن طوالع ونحوسهن افول واجل من كل جليل * الا من مقدار اوبة السيد الى بلد هو حال باوبته * عاطل بغيبته * عامر به وان خلا من سواه خراب منه * وان جمع العالم الا اياه * وتعرفت فيه من خبر سلامته ادامها الله له * ولى به * ما اوجب صيام ايام دهرى * وقيام ليالى عمرى * على ان تكون الايام فى طول يوم يزيد بن الطثرية * والليالى فى وزن ليالى النابغة الذبيانى اردت بقول ابن الطثرية

ويوم كظل الرمح قصر طوله

وبقول النابغة

وليل اقاسيه بطى الكواكب

کتابخانه آستان قدس رضوی

لا بل على شريطة ان تكون شمس النهار كشمس ذى الرمة التميمى * ونجم الليل كنجم العباس بن الاحنف الحنفى اردت بقول ذى الرمة * والشمس حيرى لها فى الجو تدويم * وبقول العباس بن الاحنف الحنفى *

والنجم فى جو السماء كأنه * اعمى تحير ما لديه قائد

لا بل على شريطة ان تكون صفة الليل كما قال خالد الكاتب * وليل المحب بلا آخر * و صفة النهار كما قال الآخر

ويوم كأن المصطلين بحره * وان لم يكن جمر قعود على جمر

ولئن اصبحت كل ايام الزمان صائما * وكل لياليه قائما * شكرا الله تعالى على

سلامته * ثم تصدقت بعد ذلك بعدد نخيل البصرة * وآجر الكوفة بل بعدد رمل الدهناء * ونجوم السماء * بل بعدد العالمين * وعدد نبات الارضين * بل بعدد قطر كل بحر * وتربة كل بر * وسراب كل قفر * و حوادث كل دهر وخواطر كل صدر * بل بعدد فضائل على بن الرضى * ومحن محمد بن العباس الطبرى * فانها اكثر من الكثير * واكبر من الكبير * لم اكن وفيت النعمة على مهرها * ولا قدرتها حق قدرها * ولا بلغت غورها * ولا اديت شكرها ولاوفيتها بعض قيمتها ولا عشرها * الا انى لما عرفت قصورى عن قضاء الحق ووقوفى دون ادنى مسافاة المجهود والطوق * قلت كلمة جعلها الله ثمنا لجنته ورضى بها ثوابا من نعمته * وهى الحمد لله رب العالمين * وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله الطيبين * وعدنى السيد من سرعة رجوعه عدة اخشى ان يحمله لؤم دهره على الرجوع فيها * وان يعلمه تنغيص ايام السرور بها * فان الدهر بئس المعلم ابنيه * وبئس المثال لمن يحتذيه * وعهدى بالسيد لا يرجع فى هبة ولا ينظر فى اعقاب صلة * ولا يندم على حسنة * اللهم الا ان اكون اصبت كرمه * بعينى حبى له * وعجبى به * فان عين الاستحسان * آفة من آفات الاحسان * وفرط عجب العاشق بالمعشوق باب من ابواب التغير والتنكر * وسبب من اسباب التنقل والتحول * وانا والله اتهم على السيد عينى * وان كنت لا اتهم قلبى * وارضى لمودته نيتى * وان كنت لا ارضى لها طاقتى

لى لسان كأنه لى معادى * ليس ينبى عن كنه ما فى فؤادى
حكم الله لى عليه فلو انصف * قلبى عرفت قدر ودادى

قرأت الفصل المسجع فشغلنى الاقتباس منه * عن الجواب عنه * ولقد عمد السيد الى كل سجعة منتخبة فى زاوية * ملقاة فى ناحية * فالجمها بلجام * وقادها بزمام * وغبر بها فى وجه سجعى الملترق * وكلامى الملفق * وضربنى ضربا آلم الخاطر * وان لم يجرح الظاهر * وينكأ فى الفهم * وان لم يؤثر فى الجسم * واوجع الضرب ما لم يكن معه البكاء * واشد الشكوى ما لم يخففه الاشتكاء * ومن بلغ من البلاغة مقداره * واقتدر على التصرف اقتداره * واحسن ان يسئ فى معرض الاحسان * وان يعطى فى اثناء

الحرمان

الحرمان * وان يمدح مدحا حقيقته هجاء * ويظهر رضى باطنه استبطاء * فها انا ايد الله السيد وقيذ العى والفدامة * وجريح الخبل والندامة * اذا اشتهيت لقاءه اشوقى اليه * وتلهفى عليه * آثرت غيبته لحيائى منه وقصورى عنه * فويلى من فراقه اذا نأى * وويلى من لقائه اذا وفى * وكما قيل يا عبرى مقبلة * ويا سهرى مدبرة * ولكن

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

عجل الله تعالى اوبة هذا السيد على حالة تحكى وجهه ضياء * وخلقه سناء * ومجالسه بهاء * وقدره علاء * وعقله صفاء * وقلبى له نقاء * وودى له بقاء * ونيتى فيه استواء * وتراب تشيعى له ولاهل بيت هو فيه زكاء ونماء * واراني الله تعالى فيه من الصنع الجميل ما يستغرق نثر كل ناثر * ونظم كل ناظم شاعر * ويقع وراء ذكر كل ذاكر * وشكر كل شاكر * ولا زالت ايامه تصبحه بكل فتح * وتمسيه بكل نجح * وتلاقيه بسعد * وتصافحه بجد * وتزوره بمجد * وتودعه بحمد * لياليها اسحار * وظلماتها انوار * وطول اوقاتها قصار

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتبسط بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وما ارضى للسيد دعائى بان يخرج على مقدار همتى * وينزل على حكم قدرى وقيمتى * ولكنى اقول جعل الله تعالى رزق سيدى فى سعة همته * وماله فى كبر قيمته * وعيشته فى حسن شيمته * ونعمته فى كثرة نعمته * ليكون دعائى مداخلا * ومدحى له مقابلا * وذكرى له بالجميل من كل جانب معما ومخولا * ولتكون اقسام وصفه متعادله * واجناس فضله متماثله * ذكر السيد انه كتب جواب كتابى من الظهر الى العصر * ولقد استبطأته مع ما اعرفه من بعد غوره * وغزارة بحره * ولكنى اغلقت لهذا الجواب بابى * وارخيت له حجابى * وضممت الى نشر كتب آدابى * وجلست من الدواوين بين آل الخراج وآل بويه * ومن بنى الخصيب وبنى مقلة *

ونشرت من المقابر آل زداد * وآل شداد * وحشرت من الآخرة ابن المقفع البصرى * وسهل بن هرون الفارسى * وابن عبدان المصرى * والحسن بن وهب الحارثى * واحمد بن يوسف المأمونى * ووضعت عن يمينى عهد ازدشير بن بابكان * وعن يسارى كتاب التبيين والبيان * وبين يدى فصول بزرجمهر بن البختكان * وقبل ذلك رسائل مولانا الصاحب عين الزمان * وزين الشيب والشبان * فما زلت اسرق من هذا كلمة * وانظر من ذاك فقرة * واستعير من هناك نادرة وثيقة * اغصب الاحياء على بيانهم * وانبش الموتى من اكفانهم * وانا فى اثناء ذلك رطب اللسان بالدعاء * رطب العين بالبكاء * ادعو الله بالتوفيق والتسديد * وبالعصمة والتأييد * واسأله ان يحفظنى من نفسى * فانها اعدى الاعداء * ومن عجبى فانه ادوأ الادواء * ثم قمت فصليت ركعتين * ختمت فى كل ركعة منها ختمتين * واستعذت بالله من الشيطان الرجيم * وقلت بسم الله الرحمن الرحيم * وابتدأت فسودت هذا الكتاب كله * ثم نظرت فاذا انا قد تعبت وحبط العمل * وانفقت مالى وحج الجمل * السيد ابو الحسن اكثر الله فى ابى طالب مثله * ولا سلبهم جماله وفضله * فان كون مثله فى ابى طالب * رغم لانوف النواصب * وهيهات لقد اعظمت غلطا * وسألت الله شططا * فنحن معاشر الشيعة انحس * وحظنا من الاقبال اخس * من ان يفلح فى الدنيا طالبى * او يسق فيها ناصبى * ومن حصل مثل السيد والدا * فقد حصل المجد تالدا * وحق لمن كان السيد اباه * ان يكون من الكرم اخاه * فيستويا بالانتماء اليه فى الميلاد * وان اختلفا فى الولاد * فهذا بضعة من خلقه * وهذا شعبة من خلقه * ومن استقى عرقه من منبع النبوة * ورضع من ثدى الرسالة * وتهدلت اغصانه على نبعة الامامة * وتبجحت اطرافه فى عرصة الشرف والسيادة * وتفقأت بيضته عن سلالة الطهارة * وتناول المعالى بيد طويله * وجرى اليها عن غاية قريبه * لم تستكبر منه حسنة وان كبرت * ولا تستصغر منه سيئة وان صغرت * فامتع الله هذا السيد بهذا الولد * الذى لو لم ينتم اليه قولا * لانتمى اليه فعلا * ولو لم نعلم ولادته من طريق الضرورة * لعلمناها من طريق القياس

القياس والفكرة * فان لسان الشبه ناطق * وشاهد النجابة عدل صادق * وقد تكرم الاعراق فتخونها الاغصان * وقد تسبق الشيوخ فتخلف عن مضمارهم الشبان * ولكن بنو طاهر زينوا طاهرا * كما زان اباه طاهر * فكم من اناس لهم اول * وليس لاولهم آخر * طوات على السيد بكلام اسفيدباجى قليل العظم * منحل النظم * داعية الى التكرار والاختصار * يمشى فى طريق الاقتدار * فان راى السيد ان يعير هذا الهذيان اذنا واسعة * ونفسا صابرة * ويتضاحك له تضاحك المعجب به ليغلط به العامة * وان عرفته الخاصة فعل

﴿ وكتب الى تلميذ له قصيدة يسأله نسخة قصيدة مما احدثه ﴾

وصلت القصيدة الغراء الزهراء * فكانت ارق من الماء * بل من الهواء * والذ من الصهباء * واسر من اللقاء بين الاحباء * ومن هجوم السراء * غب الضراء * واعذب من مغازلة النساء * ومن مجالسة الندماء * ومن مساعدة القضاء * ومن معاقرة الشراب على الغناء * ومن استماع فوائد الحكماء * وخطب البلغاء وقلائد الشعراء * ومن اخذ جوائز الامراء * وتحصيل مراتب الخلفاء * فكانت معانيها ابدع من الوفاء * واعز من السخاء * واغرب من النصفة فى الاصدقاء * ومن الامانة فى الشركاء * بل اغرب من المغرب العنقاء * والفاظها احسن من البدر فى الظلماء * واطيب من وصال الحسناء * ومن افتراع العذراء * ومن الشماتة فى الاعداء * بل كما قالت الست سكينة بنت امير المؤمنين الحسين رضى الله تعالى عنهما * كنت احسن من السماء * واعذب من الماء * لا بل كانت اهنأ من الشفاء * بعد الداء * ومن الرضا عقيب البلاء * ومن النعماء فى اثر البأساء * ومن استجابة الدعاء * وتحقيق الرجاء وفتحتها عن الوشى الوشاء * وعن الروضة الغناء * لا بل نشرتها عن الزهرة الزهراء * وعن الغرة الغراء * وعن الدرة العذراء * ورأيتك نطقت بها وعن يمينك التأييد * وعن يسارك التسديد * ومن ورائك الجد السعيد *

واانما صنعتها صنع من طب لمن حب * فانى اشهد انك اطب من كل طبيب * وانى اليك احب من كل حبيب * واذا صدر الكلام عن صفاء ود * ونقاء عهد * وخرج من متفضل الى مستأهل حضره من التوفيق اذن واعية * وهمة كالية * وصحبه من التسديد عين راعية * وقوى مراعية * ولم يكن للخطأ طريق اليه * ولا للخطل مجاز عليه * وانما يز القول يحسنه القائل على مقدار حصة من يهديه اليه * ورغبته فيه * وموضعه منه * وانت ايدك الله تتحفنى بما لا استأهله الا على قدر حصتى من قلبك * وموضعى من حبك * ولو عاملتنى على طريق المجازاة * لا على طريق المحاباة * لخرج لك على غلط كثير * وحاصل كبير * وقد حملت اليك نسخة كلمة قلتها * فرضيت بها عن شيطانى * وصالحت لها قلبى ولسانى * ولعمرى لقد اكلتها من جراب الدق * وورثتها من كيس اللب * وعبأتها من رزمة الخاصة * ونسجتها على منوال النصيحة * وقلبت لها جريدة التصفح والتخير * ونشرت فيها صحيفة التدبر * ونطقت طرفها من اللفظ المستبرد * ومن المعنى المردد * وصقلتها بمدوس النظر * وجلوتها بكف الفكر * ووكلت بها من التمييز جفنا ساهرا * ولحا باصرا * حتى دارت فى كوكب النظافة * وخرجت فى معرض الظرف واللطافة * وحتى بدت عروسا تفتن الناظر * وتغطى المناظر * وحتى حذيت حذاء الحضرمية ارهفت * واجادها التحسين والتلسين *

وكتب الى حاجب الوزير ابن عباد وقد وردت عليه كتبه ثم انقطعت

اما قصور اجوبة كتبى فانى لا اعاتب الحاجب عليها * ولا اوجه الشكاية عنه اليها * فانا ولا كفران لله تعالى فى زمان يجب ان يجرى الجفاء فيه مجرى العادة والسجية * ونضعه موضع السنة بل الفريضة * ونقيمه مقام الجبلة والشيمة * فننظر الى حفظ العهد بعين الشمامة والطرفة * وننزله منزلة الغريبة والنادرة * ونحكم عليه بنقض العادة وخلاف الجملة * على انى مذ كنت استثنى الحاجب من غيره * واميزه بالفضل وسائر خصال الخير عن ابناء دهره * واعتقد انى
قد

قد ضمت يدى منه على ذخيرة ليس للزمان فيها عمل * ولا عليها للحوادث والغير مدخل * فان صدق ظنى فقد غرست فى ارض كريمة * وبنيت مسألتى على علة صحيحة غير سقيمة * وان تكن الاخرى فعادة من عادات الايام * وغلطة من غلطات الاوهام * وعين عائنة من عيون المجد * وعارضة من عوارض الوفاء وصحة العقد * وما خلوت منذ تفارقنا من نفس تتقد فيه الاضلع * وذكر تفيد له الادمع * ولا انسى تلك الايام الطويلة القصيرة بصحبته * والليالى المظلمة المقمرة بطلعته * ولا اتفكر فى صغر حجم المقام * وتقارب خطو تلك الايام * الا انشدت

لم استتم عناقه للقائه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه

واذا كان فى قصة الشعراء * وفى شريطة الوصافين والبلغاء * ان الوقت الطيب قصير وان لم يقصر * كما ان غيره كبير وان لم يكبر * فعلى هذا القياس ان ايامنا كانت قصيرة مرتين * وقليلة من جهتين * اما الاولى فقصر الامد * وقلة العدد * واما الثانية فصفاء الوقت من الكدر * ونقاؤه من وضر الحوادث والغير * فسبحان من جعل محنتى زائدة على محن الناس * وفاضلة عن معاسير العادة والقياس * حتى ان نقصان اوقاتى المسعودة * وايامى المحمودة * حصل مثنى مثنى * ورجحانها يحصل فرادى فرادى * كما ان نحوسى لا يجب ان يجيئنى الا غريبة عجيبة * ولا يمكنها ان تسلك طريقها الى حتى تقود حبيبه * وصلت الرسالة والقصيدة * وكانت الاولى ماء زلالا * والاخرى سحرا حلالا * وما منهما الا قريب شاسع * ومطمع مانع * كالشمس تقرب سنا * وتبعد سناء * وتنال ضياء * وتبعد علاء * وكالماء يرخص موجودا * ويغلو مفقودا * ورأيت فيهما من غرائب الرجحان ما نقض عادة الزمان * حتى لقد قامت الحيرة منهما فى وجه علمى * وحتى لقد توقفت بين فهمى ووهمى * والآداب كلها زين * وهى اذا تكافأت ازين * والمعارف كلها حسنة * وهى اذا تقابلت اجمل واحسن * والكتابة آلة عجيبة * وهى من الشاعر اعجب * كما ان الشعر صناعة غريبة * وهو من الكاتب اغرب * واذا ورد على من الحاجب كلام فضلته على ماقبله *

واستثنيت فى التفضيل ما بعده * لعلمى انه قد امتطى من الاقبال مطية ان تقف به الا على الغاية * وسلك من السعادة طريقا يؤديه الى الزيادة * وابتدأ فى وظيفة من الجمال * لن تختم له الا باقصى غاية الكمال * وانا اسأل الله تعالى ان يجعله فى هذه الصناعة نجما يهتدى باثره * ودليلا يورد بورده * ويصدر بصدره * وان يقيم لكلامه علما يرمقه البعيد * ويستذرى به القريب * انه قريب مجيب * والحمد لله الذى جعل الحاجب يضرب فى المحاسن بالقدح المعلى * ويسمو فيها الى الشرف الاعلى * ولم يجعل فيه موضعا للولا * ولا مجالا لالا * فان الاستثناء اذا عرض فى الكلام نضب ماؤه * وكدر نقاؤه وصفاؤه * ونطق فيه حساده واعداؤه * ولذلك قالوا ما املح الظبى لولا خنس انفه * وما احسن البدر لولا كلف لونه * وما اطيب الخمر لولا الخمار * وما اشرف الجود لولا الاقتار * وما احمد مغبة الصبر لولا فناء العمر * وما اطيب الدنيا لو دامت واستقامت *

ما اعلم الناس ان الجود مكسبة * للمجد لكنه يأتى على النشب

﴿ وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم ﴾

ورد كتاب الشيخ فاورد من السرور * اضعاف ما كان فيه من السطور * بل اعداد ما كان فيه من الحروف * بل اضعاف ذلك بالف بل الوف * وفهمته اما ما ذكره الشيخ من انثيال الناس عليه * يستعيرونه نسخ كتبى اليه * فانما حملهم على ذلك عجبه بى * وصار سببا لعجبه بكتبى * وصار ذلك داعية الناس الى عجبهم بها * وحاملا لهم على انتساخهم لها * وهم فى ذلك رجلان * اما احدهما فانه يتبرك باتباع رأيه * والسير تحت لوائه * واما الآخر فانه يتقرب اليه بمجانسته * ويتشرف بين الناس بمناسبته * والا فهذه الكتب ايبس متونا * واقل عيونا * من ان يفخر بها ملى * او يرغب فيها مستملى * او تشغل بها الاقلام والدفاتر * او يوقف عليها ناظر او خاطر * او يحرص عليها كاتب او شاعر * ومما يحملنى على التجوز فيها * وينهانى عن الاحتشاد

والتكلف لها * انى اصدرتها الى حضرة من اذا رأى سيئة ستر وغفر * وعذر واعذر * وان رأى حسنة نشر واظهر * وقرر وكرر * وفكر وصور * وجعل الخمسة عشرة * والعشرة خمسة عشر * وسيرد كتابى بعد هذه الكرة الى الشيخ مشبع الفصول * ضافى الذيول * وافى القسم من العرض والطول فقد وافق منى هذه الكرة ساعد فصاد اوهن الآلة * واورث الكلالة والملالة وعاجلنى الفيج ملازما بالباب * مطالبا بالجواب * مجاوزا باب المسألة الى باب العتاب * فكتبت وسرح البديهة عازب * وماء القريحة ناضب

﴿ وكتب الى كاتب الرئيس بنيسابور ﴾

ليت شعرى ما صنع بعد العهد * بقلب سيدى هل غيره عما عهدته عليه من اقامة رسوم الود * وتوثيق اطناب العقد * ام هب عليه رياح التنقل والتحول ومد اليه يد التغير والتبدل * فان ذلك صنع الايام بالقلوب وتقلبها يمينا وشمالا وتلونها حالا فحالا * بل ليت شعرى هل نسى سيدى من لاينساه * وسلى من لايسلاه * واستبدل بمن لايريد الا اياه * ولا يعتاض من لقياه غير ذكراه * وهو صديقنا ابو بكر الخوارزمى الطبرى اعزه الله تعالى * ام هو على رغم ظنى به وكذب وهمى عليه * ثابت ركن الصفاء * صافى شرب الاخاء * حافظ على الغيب ماكان يحفظه على اللقاء * فقد علم الله انه تقاسم قلبى هذان الظنان ونازعنى فى علمى به هذان الطريقان * فان ملت الى اولهما وهو اغلبهما على واقربهما الى * ذهبت فى القياس بالناس على الناس مذهبا شديدا * ووقف بى سوء الظن بالزمان واهله موقفا قريبا بعيدا * وان ملت الى الثانى فسيدى ايده الله تعالى يستحق ان يستثنى من غيره * وان يحكم له بحكم يباين به اهل عصره وان يكذب فيه الظن اذا نسبه الى مجانسة الدهر * ويرد له القياس اذا قضى عليه بمعاونة التلون والغدر * وانا الآن فى هذه الجملة واقف وعهده بى لا اتواضع لمذهب الواقفية * ومزجى وما كانت تطمع فى مثلى شباك المرجية * فكيف اعاتب سيدى بل كيف اعاقبه * بل كيف اخاصمه واواثبه * بل كيف اطاعنه

واضاربه * واقل ما جناه على غيبته انى كنت معتزليا * فصرت مرجيا وقاطعا على صحة مذهبي فعدت به واقفيا * هذه اصغر جنايات فراقه على * واقل صنيع وداعه الى * ثم انى بعد هذا كله طويل الليل منذ فارقته بل قصيره وقليل الانس بعده بل كثيره * اما طول ليلى فلتذكرى طول غيبته * واما قصره فلقطعى له بتمنى اوبته * واما قلة انسى فلبعده عنى الآن واما كثرته فلتمثلى قربه الدان ولتصورى طلعته فى قلبى وعينى * ونظرى اليه عن مرآة من هاجسى وظنى على اننى ارجو ان خطو ايام الفراق قد قصر * وان حجمها قد صغر * وان سيدى وارد قبل ان يبرنى بالجواب عن هذا الكتاب * ولعمرى لئن ورد على قبل ان يكتب الجواب الى * لقد بر الكاتب * وان عق الكتاب * فيكون قد بر بالكبير الكبير * وعق فى الصغير الصغير * ولان يونس عينى بلحظه * احب الى من ان يؤنس سمعى بلفظه * وان كان كلامه فى نفسى ماء زلالا * وفى اذنى سحرا حلالا * وكلام الحبيب حبيب * وكل شئ من القريب قريب *

قال جرير

ان البلية من يمل كلامه * فانقع فؤادك من حديث الوامق

﴿ وقال غيره ﴾

واذا كرهت فتى كرهت كلامه * واذا سمعت غناءه لم تطرب

اردت مكاتبة الرئيس ثم اشفقت على سمعه ان املأه بالكلام الغث * وعلى ناظره ان اشغله بالخط الرث * ورأيت رثاء بلاغتى اقصر * وقيمة الفاظى التى فيها اقل واحقر * من ان اعرضها لنظره * وامرها على سمعه وبصره * واتعرض بها لحطة اسلم طرقها طريق العذر * وآمن مسالكها مسلك التغافل والستر * ومن فطن لعيبه فقد استتر * ومن عرف ذنبه فقد اعتذر * ومن مد يدا قصيرة ليتناول بها غاية بعيدة فقد استهدف لسهام التوقيف * وقعد على قارعة التقريع والتعنيف * وسيدى يعتذر عنى اليه * ويقرأ سلامي عليه * ويعرفه عنى انى اعد نيسابور رستاقا اذا غاب عنها واعد الرساتيق قصبه اذا اقام فيها * وانى لا آنس بشئ اذا غبت عنه * كما لا استوحش من

من شئ اذا قربت منه * والله تعالى اسأل ان يرد على نيسابور بهاها * ويعيد اليها بطلعته سناها وضياها * ويجلى بشمسه ظلماها * وان يجعل نعمته عليه الوفا لا عزوفا * فان النعمة اذا الفت قرت * واذا غرفت فرت * لانها لا تألف الا مكانا تتزين بنزوله * ولا تقيم الا على باب لا تأنف من دخوله * ولا يطول مكثها الا فى بيت للشرف فيه مجال * وللمادح فيه مقال * وللادب فيه ممرح * ولعصا الامل فيه مطرح * فان اصابت مثل هذا المكان نفضت غبار الترحال * ونسيت حديث الزوال والانتقال * وخالطت خلطة الشركاء * وواصلت وصلة الاقرباء * وصارت من الاجداد الى الآباء * ومن الآباء الى الابناء * واذا كان نزولها فى مكان هى فيه غريبة احتشمت حشمة الغرباء * وانقبضت انقباض الاجانب البعداء * او تقلبت الى الارتحال * واقامت بين الدلال والادلال * ولم يكن مقامها الا عدد ايام * واضغاث احلام * وانما النعمة انثى اذا اصابت كفوا ناكحت * واذا صادفت غير كفو سافحت * فهى تقيم مع اكفائها الشهر والدهر * وترحل عن غير اكفائها الظهر والعصر * واين يقع مقام الحليلة خليلها * وان ما اسسه الحق وبنته الشريعة * خير مما اسسه الباطل وبنته البدعة * والله تعالى يطيل بقاه * ويجعل من يحسده فداه *

﴿ وكتب الى ابى الحسن الحاكم بن ابى حاتم لما هرب من نيسابور الى بخارا بعد ان ارادوا القبض بها عليه وبعث خلفه فلم يجده ﴾

مما زلت انشد ايد الله الحاكم قول الاول

رب امر تتقيه * جر نفعا ترتجيه
خفى المحبوب منه * وبدا المكروه فيه

فانظر الى تنزيله * ولا اقف على حقيقة تأويله * وارى ظاهره * ولا استشف باطنه * حتى خرج من خروج الحاكم ما جرى * ووقى الله من المكروه

فى ذلك ما وقى * فعلمت حينئذ ان الطاف الله تعالى تسير الى عباده فى طرق خفية المذاهب * دقيقة الجوانب * وان السلامة ربما نشأت فى معرض الخطر * وان الامن ربما ظهر فى قالب الخوف والحذر * وانا اشئ ما امرنا ان نستعيذ من شر ما ندرى وما لا ندرى * وما كنت اشعر ان فراق الصديق يسر * وان الاجتماع معه يضر * ولا كنت اصدق ان الداء يستحيل دوآء * ولا ان الدواء يجلب دآء * ولو رأيت فى المنام انى فارقت الحاكم ولم يتفطر عليه كبدى حرقات * ولم تذهب نفسى فى اثره حسرات * لتعوذت بالله من شر منامى * وسألت العافية من طوارق احلامى * واظننت ان تلك الرؤيا نتيجة فكر ردى * و بخار خلط سوداوى * وانى انما دفعت فى منامى الى مثل هذا التخليط * لاكل الباذنجان والقنبيط * فانهما منابع السودآء * على مذهب الاطباء * والآن فقد فارقت الحاكم وانا ضاحك السن قرير العين * قليل الحزن جلد على وقع سهام البين * لانى رأيت العافية وهى متعلقة بذنب رحيله عنا * والى البلايا وهى مشتملة على قربه منا * فاخترت على مقامه رحيله * وآثرت اغتمامى له * وقلت يا عين * لان ترى فراق ما تحبين * خير من ان ترى فى من تحبين ما تكرهين * فالحمد لله الذى اقصى بى من المكروه الى اخفه وقعا * واقله لذعا * وانتهى بى من المحنة الى غاية لم تستغرق اقصى امكان الدهر * ولم تستوعب ابعد غايات التجلد والصبر * وما نقص من الشر * فهو زائد فى اقسام الخير * وما وقع من المكروه فهو محبوب وان كره ظاهره * ومحمود وان ذم عاجله * وما كنت احسبنى اعيش حتى احمد الله على فراق الاصدقاء * واتكلم فى مواقف الضراء * بما يتكلم به فى مواقف السراء * ولقد اغرب على الدهر وما كنت اظن يغرب على * ويزيد من بوادره على ما لدى * هذا ايد الله الحاكم وقد بث الاعداء شباك الغدر * ونصبوا حبائل المكر * واستفرغوا فى السعاية جهدهم * واخرجوا اقص ما عندهم * فابى الله تعالى وله الحمد الا ان يقع فى البئر من حفر * وان لا يحيق المكر السيئ الا بمن مكر * وخرج الحاكم من غيابة تلك الاهوال * خروج المشرفى من الصقال * وقد فديت عنه عين الزمان * وقصرت

دونه خطوة الحدثان * اذا اذن الله فى حاجة * اتاك النجاح بها يركض * اذا الله سنى عقد شئ تيسرا * والحمد لله الذى لم يرنى وجه الحق اسود * ولا ناظر العدل والتوحيد ارمد * ولم يشمت الناقص بالفاضل * ولم يضحك الحق سن الباطل * ثم الحمد لله الذى جلى تلك الضبابة * وقشع تلك السحابة * وغسل عن وجهى وعن وجه اهل الحق تلك الكآبة * ثم الحمد لله الذى ختم للحاكم بالمصير الى حضرة تترفرف عليها الرجال * وعليها تحوم الهمم والآمال * واليها تنتهى الرغبة والسؤال * فلا مجاز لهمة خلفها * كما لا منتهى لها دونها * ولا غاية لطالب قبلها * كما لا نهاية له بعدها * وارجو ان الدهر المحارب قد سالم * وان البخت المعاند قد سلم * وان مدة الفترة قد تناهت * وان غاية المحنة قد انتهت * وان عسكر النحوس قد عزم على القفول * وان نجم الهم قد اذن بالافول * وانا بعد هذا كله اتعجب من كثرة قولى الحمد لله ثم الحمد لله * واقول هذا حمدى على فراق الاصدقاء * فكيف حمدى على اللقاء * وهذا شكرى على المحنة * فكيف به على المنحة * وقد كان مات لعبد الملك بن مروان ابن فقال الحمد لله يقتل اولادنا ونحبه * وانا اقول الحمد لله الذى فرق عنا اخواننا ونحمده *

﴿ وكتب الى وكيل الوزير ابن عباد باصفهان وقد ولى سوق الطعام ﴾

﴿ بعناية وهو امى ﴾

كتابى وقد علم الله تعالى ان امرك مستول على افكارى * وشاغلى عن ساعات ليلى ونهارى * فانك بصدد شغل ان كفيته لم تشكر * وان عجزت عنه لم تعذر اذ كان الاحسان فى شرطك * والاساءة غير مظنونة بك * والذى اراه لك ان تقسم لكل ساعة حقا من نفسك * وتصرف الى كل وقت طائفة من شغلك * ولا تبيت ليلة الا وقد اقت وظيفة يومها * ولا تمر بك ساعة الا وقد توفرت عليها بقسمها * ولا تؤخر عمل اليوم الى الغد * ولا تهمل نفسك فى شغل السبت الى الاحد * فان الاشغال اذا تزاحمت اعمت الناظر * وشغلت القلب والخاطر

وبلدت الكافى و الماهر * و كيف مثلك و انت اعزل اليد من سلاح الكتابة * مصروف عن اعظم حظوظ الكفاية * فاياك و تعريض مائى عند و لى نعمتى للنضوب * ووجهى للشحوب * و على بن سعيد ذو القلمين * والفضل بن سهل ذو الرئاستين * و اسحق بن كنداح ذو السيفين * وصاعد بن مخلد ذو الوزارتين و فى المتقدمين خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين * وقيس بن مسعود ذو الجدين و ابن الشريد ذو السهمين * و النعمان بن المنذر بن ماء السماء ذوالقرنين * وكعب بن مانع ذو الكتابتين * وجعفر ذو الجناحين * وعثمان ذوالنورين * وفلان ذو اليدين * و فلان ذو الشمالين * وفلان ذو البردين * و عبدالله ذو النجادين و ابوبكر الخوارزمى ذوالغرامتين * وذلك انى ثقلت على ولى نعمتى مرة فى حوايجى ثم انقل عليه اخرى فى حوايجك ثانية * على انه ايده الله تعالى واسع الحكمة طويل الخطوة * كثير التوسع و المسامحة فى باب الاموال مع الكمال * يسامح فى بدرة سائلا * و يضايق فى حبة عاملا * وكذلك الكريم يتسع من حيث السخاء ويضيق من حيث الوفاء * و يبتذل ماله تخرجا * ويحمى دينه تحرجا * فلا يحملنى معه على خطة ان اجابنى منها الى مرادى استوحش * وان منعنى اوحش ولا تأمن السم باصفهان * اذا كان درياقه بخراسان * وفى هذا القدر ذكر لمن كان له قلب * واغاثة على من له لب * الاستاذ فلان ايده الله تعالى * قد كثرت كتبى اليه * وطال وعرض صداعى عليه * و الذلك لم اكاتبه فى هذه العلة التى عظم موقعها منى * وجل خطرها فى قلبى وعينى * ولقد اعتل بعلته الكرم * وشكا شكاية السيف و القلم * وكسفت به شمس الادب * وتزعزع له عرش العرب * فانما علة مثله تغير عالم * وفساد امم * وخراب مسالك * واضطراب ممالك * وكرة النقص على الفضل * ودولة الجهل على العقل * ووهن على العلم واهله * وفترة فى الكرم وحزبه * فالله تعالى يعيد بصحته الى الدنيا ضياءها * و يرد على السحب ماءها * و يجعل ما يستأنفه من عمره * وبقتبله من عيشه * مصفى من الغير * منقى من الوضر * و خالصا من كل خوف و خطر * و صافيا من كل شوب و كدر * ليكون ما مضى كفارة * وما بقى نعمة * سيدى فلان قد فطمنى عن عادته الجميلة * وارتجع ما كان

عندی

عندى من عطيته الجزيلة * و قطع عنى كتبه التى اذا وردت الى حسدت على لمسها يدى * وعلى لحظها عينى * واحتسب على ما زاده الله تعالى جلاله قدر * و كمل كمال بدر * ولكن تلك الزيادة تحاسب عليها الاعداء لا الاصدقاء * فاما من هو شريك فيها وآخذ بقسم منها فلا بل زيادة النعمة توجب زيادة الصدقة * وفضل المال يقتضى فضل النوال * والتواضع فى الرئاسة * احدى شبائك السياسة * فاقرأ اعزك الله تعالى سلامى عليه * وعرفه انى قد كنت رويت ابياتا والقلب غير مقسم الافكار * والحفظ غير كليل الفرار * فلما سلبنى الدهر ثوب الشباب * ومزق على رداء الجمال و الكمال نسيتها * فلما عاملنى سيدى فلان بما ذكرته ذكرتها ولقد احسن الى * من حيث رد روايتى على * وان كان اساء بى من حيث ارتجع منى بره * وجانس فى دهره * وفديت من له اثناء كل مساءة منه مسرة * وفى ضمن كل جفوة منه مبرة * ومن اذا احسن كان احسانه خالصا من كل شوب * وصافيا من كل عيب و ريب * وان اساء كانت اساءته بالاحسان مشوبة * والى غير جهتها مقلوبة

﴿ والابيات ﴾

كفى حزنا ان لا صديق ولا اخ * يفيد غناء لا يداخله كبر
والا التوى او ظن انك دونه * وتلك التى جلت فما عندها صبر
فلا نال فوق القوت مثقال ذرة * صديق ولا اوفى على غيره اليسر
وما ذاك الا رغبة فى وصاله * والا حذارا ان يميل به الدهر

﴿ وكتب الى ابى القاسم الدوادى اول ما افتتح بمكاتبته ﴾

كتابى وعزيز على ان يجمعنى والفقيه بقعة * او تشتمل علينا جملة * والكتابة فيما بيننا دارسة الاثر * مهملة الورد والصدر * واشد على من هذا ان افتتح ذلك بسؤال حاجة * او امزج ماءه وبهاءه بتكلف كلفة * ولقد حاسبت على هذا نفسى * وعاتبت فيه قلبى * فرأيت ان جفاء يؤدى الى البر * وان ذنبا ينتسب الى العذر عذر * وان حاجة حملت على طى بساط الحشمة *

وعمارة طريق المكاتبة والمباسطة * حاجة عظيمة البركة * محمودة التفصيل والجملة * فعذرت نفسى اعزنى الله تعالى قبل ان تعتذر * وغفرت لها قبل ان تستغفر * ونسيت قول الاول

وما حسن ان يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

حتى كان هذا البيت لم يجر بين قلبي وكتبي * ولم يسافر بين جنبي وقلبي * وحتى كأنى لم ادرسه صغيرا * ولم ادرسه الناس كبيرا * وحتى كأنى لم ار الديوان الذى هو فيه * والشعر الذى هو بعض قوافيه * والعجب انى فى هذا الفصل بينما انا اعتذر * اذ صرت افتخر * وبينما انا اضع من نفسى لجنايتها * اذ صرت اعدلها لحفظها وروايتها * وهكذا من جمع به قلبه وبنانه * واستنزله تبيينه وبيانه * بل هكذا يكون من جرى فى ميدان الكتابة وهو راجل * ورمى فى هدف البلاغة وسهمه افوق ناصل * ثم نرجع الى حديث المكاتبة * والله لو كان من الورق اعز من الوفاء * واغرب من السخاء * والقلم اغلى من الماء * فى وسط الدهناه * واقل من المغرب العنقاء * واعوز من الكمال فى النساء * ومن الصدق فى الشعراء * ومن ترك الريا فى القراء * والحبر والمداد اضيق من الانصاف فى الاصدقاء * وحسن العشرة فى الندماء * بل اضيق من امانة الشركاء * بل اضيق من خاطر ابى تمام حيث قال * قدك اتئب افرطت فى الغلواء * حتى كأنه لو لم يقع على احلى من هذا الابتداء لما كان لى عذر فى ترك مكاتبة الفقيه * وبينى وبينه ثلث الخريطة * ومسيرة سبع للقافلة * هذا فى الظاهر فاما فى الحقيقة فبيننا الف فرسخ بذراع الميل * وخطوة الفيل * فان الخطوة بين المتحابين * فراسخ كثيرة * ومراحل طويلة عريضة * ما زلت ايد الله الفقيه اورد على قول عمر بن ابى ربيعة المخزومى *

يا اهل بابل ما نفست عليكم * من عيشكم الا ثلاث خصال
ماء الفرات وطيب ظل بارد * وسماع محسنتين لابن هلال

فاقول

فاقول هلا حسد اهل العراق على المتصرفين * او الرافدين * او على الرطب السابرى * والتين الوزيرى * والعنب الرازقى * او على فرضتهم من ماء الساج والعاج * وطرازهم بنوع الخز والديباج * لا بل هلا حسدهم على ان فيما بينهم مشهد امير المؤمنين سيد الاوصياء * ومشهد الحسين سيد الشهداء * وهلا حسدهم على ان ارضهم واسطة العمارة فى خط الاعتدال * بين الجنوب والشمال * وهلا حسدهم على ان الرأى كوفى * والاعتزال بصرى * والخط انبارى * والحساب سوادى * والتشيع عراقى * وهلا حسدهم على قراء الكوفة * وعباد البصرة * وابدال الابلة وعلى من هاجر اليهم من الصحابة * ونبغ فيهم من التابعين وابدال الامة * وما الذى خالف به الى ان حسدهم على ظل هو مشترك بين سائر البلدان * وعلى قينتين كسائر القيان * بكل مكان * فى كل زمان * حتى حدثت نفسى بمناقضته * وحملت خاطرى ولسانى على معارضته * فاذا انا جالس تحت قول الطائى

نقضنا للحطيئة الف بيت * كذاك الحى يغلب الف ميت
اذا ما الحى هاجى حشو قبر * فذلكم ابن زانية بزيت

وتذممت من ان اعارض بلسان خوارزمى * وعقل طبرى * وخاطر اعجمى * من لسانه عربى * وعقله قرشى * ونشوءه مكى * وظرفه مخزومى * فعدلت عن المعارضة الى المناقلة * فقلت يا اهل هراة ما حسدتكم الا على ثلاث مشهد عبد الله بن معاوية الجعفرى فيكم * وكون ابى القاسم الدوادى منكم * وحصول شراب الكشمش لكم * وان بقعة خصت بالفقيه لوافرة القسم من الاقسام * معلاة السهم من بين السهام * غير عاتبة على الحظوظ والايام * فلا زالت البقاع ببقائه تضئ وتزهر * والايام بجماله تتباهى وتفخر * ولا زالت الفصاحة من لسانه فى مسكن لا تريد منه بدلا * ولا تبغى عنه حولا * ولا زال العلم يأوى منه الى ركن منيع * وجناب مريع * واطال الله تعالى للمحاسن بقاه ولا سلبه زينه وبهاه * وجعل من يحسده فداه

⁂

﴿ وله الى تلميذ له وكتب اليه رسالة وقصيدة ﴾

وصل كتابك المبشر بخبر افاقتك عن علتك * بشارة لو تصدقت لها بمالى وذبحت لها على وجه القربان اطفالى * لكان ذلك صغيرا جللا * ومباحا مبتذلا * وفى ضمنها القصيدة التى كبرت بل صغرت * وقلت بل كثرت * اما كبرها وكثرها فلجلالة قدرها * وعظم امرها * واما صغرها وقلتها * فلانها فى جريدة الشعر وحدها * لامثل لها قبلها ولا بعدها * وفهمتها وتعجبت من اعتذارك بالعلة * وما ارى هذه العلة الا زادتك رجحانا * ولا نقصتك الا نقصانا * ونقصان النقصان اول الرجحان * كثر مدحى ايدك الله تعالى لما يرد على من نثرك وشعرك * بل درك وبحرك * حتى خشيت ان يحسب انى ازف مدحى الى كل خاطب * وابذل شهادتى لكل طالب * وان يظن انى اقارضك الثنا * واصارفك الجزا * ولا والله ما لى للدنيا استحسان * الا والى جنبه احسان * وانى لضيق ذرع التزكية والثناء * قصير خطى المدح والاطراء * محاسب لقلبى اذا مال * وللسانى اذا قال * لا امدح الا ممدوحا بكل لسان * ولا ارضى الا مرتضى بكل مكان * ولا اقبل مدلس الفضل * ولا اتبع مغشوش القول والفعل * ولا يستفزنى رعد كل سحاب * ولا يستخفنى طنين كل ذباب * وسرعة الشهادة طريق من طرق الخفة * وابتذال المدح والتزكية باب من ابواب الزلة والملق * والمجازفة بحساب المقال * اقبح من المجازفة بحساب المال * لان الغلط فى المال سماحة وندى * والغلط فى المقال حماقة وعيا * واقصى غايات فوات المال ان يكون من صاحبه فقيرا * وادنى غايات فوات الصواب ان يكون صاحبه سخيفا حقيرا * وبين الخسرانين نفس مديد * وبون بعيد * ومن لم يعرف صرف ما بين النقصانين * لم يعرف صرف ما بين الخسرانين * ومن لم يحس بنقص ما عليه * لم يحس بفضل ما له * ومن لم يحاسب نفسه سرا * حاسبه غيره جهرا * ومن لم يكبح عنان لسانه وقلمه بيد التأمل ولسان التبين * جمحا به الى غاية اولها ندامة * وآخرها ملامة * جعلنا الله تعالى ممن اذا تكلم لم يضع زمام كلامه فى يد هواه * واذا شهد

شهد لم يلق رق شهادته فى عنق سخطه ورضاه * وحشرنا فى زمرة من اذا تكلموا كانوا غانمين * واذا سكتوا كانوا سالمين * انه ارحم الراحمين * رجعنا الى حديث الرسالة والقصيدة * نظمك ايدك الله تعالى احسن من نثرك * ونثرك احسن من شعرك * فكل واحد منهما عيار على صاحبه حسنا وجمالا * ومثال له تماما وكمالا * فالحمد لله الذى جعل بيانك متكافئ الشرف * متعادل الطرف والطرف * وجعل سماء محاسنك مقابلة لارضها * وبعض مناقبك منعوتة ببعضها * ولو انصفتك لاحييتك بقلبين * ومدحتك بلسانين * كما انك تحسن الى من جانبين * وتبرنى من لونين * ولكن الى غايته ينتهى المدد * وعند طاقته يقف المجتهد * فاما اعتذارك بالعلة * من وقوفك دون الغاية * وجريك فى بعض الحلبة * فاحسن من الحسن استزادتك منه * واجل من الجميل اعتذارك عنه * والكتاب مذ ورد يدور فى العيون والافهام * ويسافر دون الدوى والاقلام * وفهمت الفصل فى حديث المصيبة * وانما كانت نازلة طرقت ثم مرت * وشقشقة هدرت ثم قرت * واذا قابلنا بين حسنات الدهر وسيئاته * ووازنا بين طرفى ارتجاعه وهباته * خرج له علينا حاصل كثير * ولكن الانسان الى الشكاية اعجل * وطريقها عليه اسهل * ولقد اعطتنى الايام حتى صرت لا احمدها اذا وهبت * واخذت منى حتى صرت لا اذمها اذا اخذت وسلبت *

وفارقت حتى ما ابالى من انتوى * وان بان جيران على كرام
فقد جعلت نفسى على النأى تنطوى * وعينى على فقد الصديق تنام

﴿ وكتب الى رئيس سرخس وقد ورد عليه ابنه يعتذر من تقصيره اليه ﴾

كتابى وقد كنت اخرج الى اخوانى من عهدة تقصيرى * واقر لهم بما فى من عيب تفريطى وتعذيرى * واعرفهم انى فى تعدهم دون مقتضى حقوقهم * واخرج مما اريده فى برهم الى عقوقهم * حتى اتفق الآن من ورود فلان * ما كشف عن غبى * وابرز من عيبى * ونادى على بانى صديق مقال *

لا صديق فعال * و ان مودتى مجازية لا حقيقية * و اسانية لا قلبية * واقل ما يجب على وقد حضر مثله فى دارى * ان انثر عليه صك عقارى * ثم اعتذر اليه من قلة نثارى * وان اعبق على وجهد كل نسمة احتويها * واحل له كل عقدة اتصرف فيها * و اصبح صائما * و ابيت قائما * ثم اعتد ذلك كله فى جنب الواجب هباء منثورا * وقليلا محقورا * ولقد كنت تذكرت وروده على حتى رجوته وتمنيته * ثم خفته و اتقيته * اما رجائى له فحياء للقياه * واما خوفى له فعلما بقصورى عن بلوغ رضاه * وضعفى عن اقامة شريطة ما يقتضيه حبى اياه *

وكنت كبكر تحب النكاح و تفرق من صولة الناكح

* واما ولدى فلان فقد كشفته عن جوهرة كريمة * و درة يتيمة * وقلبته عن عقل كثير * و ادب غزير * وشعر يحسده عليه الاعداء * وتغبطه به الاصدقاء * يلتقط بالابصار ويخزن فى الافكار * وقريحة اصفى من ماء السماء * و اصح من الوفاء * فهو بحمد الله على قرب اسناده * و حدوث ميلاده * شيخ قدر وهيبة * و ان لم يكن شيخ سن وشيبة * ووالد من حيث الذكر و الفخر * و ان كان ولدا من حيث العرق و النجر * و مثل والده فلان خرج فاغرب * وادب فهذب * وولد فانجب « ان الاصول عليها ينبت الشجر » وليست النجابة فى هذا البيت موروثة عن كلالة * ولا خارجة عن رسم وعادة * امتعنا الله تعالى بهذا الولد الذى سبق الاولاد * واحيا الاباء والاجداد * وارغم الاعداء و الحساد * وكتب اسمه فى حسنات الايام * بل فى حسنات الانام * كما كتب شعره فى محاسن الكلام * والهمنا من شكر نعمته به علينا ما يرتهن به بقاها * و نتمنى معه بهاها * فان النعم اذا ارتبطت بالشكر اقامت وسكنت * واذا القيت بالكفران قامت فظعنت * و اما ايام فلان عندنا فقد كانت اطيب من ليل المراد * ولكنها اقصر من ساعات الاعياد * و لكن * لم استتم عناقه للقائه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه * و ما كان قدومه الا تهيجا للشهوة * وتطرئة للشوق و الصبوة * و ذكاء للقريحة التى كانت تفرقت بالصبر و السلوة * و سبحان من جعل فراقه بالمن الرازى * ولقاءه بالمن البغدادى

و

وجعل مدة غيبته مشاهرة ومعاومة * ومدة اوبته مسايعة ومياومة * ولو انصفنا الدهر لكانت مدة الفراق * فى اوزان مدة التلاق * وكان السم بازائه الترياق سألت فلانا عن جسم سيدى فى صحته وعلته * و فى ضعفه وقوته * فعرفنى ما سرنى فلا زال صحيح الخلق * كما هو صحيح الخلق * وقوى الجسم كما هو قوى الدين و العلم * وسليم الاعضاء كما هو سليم الود والوفاء * ولا زالت اوقاته تتنافس بهاء * وتتفاضل حسنا وضياء * يومها فوق امسها * ودون غدها * وقد كنت قبل لقاء فلان * رطب اللسان بانشاد *

متى يكون الذى ارجو وآمله * اما الذى كنت اخشاه فقد كانا

فلما فارقته صرت انشد

صلى الاله على امرء ودعته * واتم نعمته عليه و زادها

﴿ وكتب الى صاحب البريد بالرى كتبها من اصفهان ﴾

قد كنت احسب الفراق يسير الخطب * هين الوقع * قليل العبء والثقل * خفيف الكل والظل * حتى دهيت بفراق سيدى فعلمت من مقدر الفراق ما كنت جهلته * ووجدت من شخصه ما كنت اضللته * وعلمته من طريق المطالعة والمعرفة * وانما كنت اراه من طريق التخيل والصفة * وتذكرت قول جرير

او كنت اعلم ان آخر عهدكم * هذا الفراق فعلت ما لم افعل

و لكنى لو علمت انى اقعد تحت اعباء الاشتياق * و انفسخ تحت ثقل الفراق * اصحبت سيدى فراشا او ركابيا * اوطباخا او شاكريا * ولو وسعت اكثر من ذلك لقلت اصحبه كاتبا اوحاجبا * او نديما او صاحبا * او مغنيا او ضاربا * و لكننى اخشى ان يتفضل سيدى بقبولى * و ينشط لحضورى * و يحملنى عند المشاهدة على شرائط المحبة * و يتقدم الى بالخروج من العهدة * و يقول ايها المبرز علينا نفسه فى معرض الدعوى العريضة * دونك فاكفف عما

ادعيت * او فاكفف عما حكيت * وعد واضرب عما اظهرت وابديت * فاذا بسيدى ابى بكر اخجل من بخراء تكلمت * ومن فوهاء تبسمت * قد جلس على قافية الدهش والتحير * وقبح جراب الخجل والتشور * وحك لحييه خجلا * وعبث بلحيته ارتياذا وذهلا * واخذ يتشاغل بالحديث عن السدى * وعن الحسن البصرى * وعامر الشعبى وينشد

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

اللهم انا نعوذ بك من مواقف الانخذال * ومن سقطات المقال * ومن دعاوى المحال * سبحان الله ليت شعرى ما الذى جمح بى الى كل هذا الهذيان * وما الذى حملنى على ان اركض فى عرض هذا الميدان * وما الذى مال بنا من ذكر الاشواق * ومن حديث الفراق * الى كل هذا الحديث الغث * والكلام الرث * وهكذا من يركب الجواد وليس بفارس * ويكاتب وليس بكاتب * ويقرع باب صناعة لم يستوف حقوقها * ولم يسلك طريقها * ولم يختلف الى اهليها * ولم يعثر قدمه فيها * قد خرجنا الامن هذا الميدان * ورجعنا الى باب هدر البوم والغربان * وانا والله اشوق الى سيدى منه الى احراز خصل المجد * وتحصيل قصب الحمد * بل اشوق منه الى الاحسان الذى هو اخوه وشقيقه * والافضال الذى هو شريكه ورفيقه * بل اشوق منه الى اصفهان * والى فراق خراسان * بعد ما عاين من تفاوت احوالها * وسخافة رجالها * وحقارة اعمالها بل عمالها * ولو لم يرسيدى فيها من طبقات التخلف غير كاتب هذا الكتاب * لكان كافية فى هذا الباب المخلقون صانهم الله تعالى قد انفذت رسولى اليهم * وعرضت مالى وقليل جاهى عليهم * فانقبضوا ولا الومهم على ذلك بعدما رأيت من انقباض سيدى عمن كان لايبخل عليه بملك خراسان * وتاج انوشروان * وصرح هامان وطرازى قاشان وخورستان * وبعد ما عرض عليه ما يملك عرضا غير سابرى *

و

وبذله بذلا غير مجازى * والانقباض فى غير مكانه توكيد للحشمة * وظلم للود والثقة * وقطع لعلائق المباسطة والخلطة * وكذلك الانبساط فى غير مكانه استهداف للهوان * واكتساب للمقت والشنان * وفتح لباب الهجران * وتعرض لقطيعة الاخوان * والسلام

﴿ وكتب الى اردهل وقد ورد عليه خبر علته ﴾

كان قد ورد على خبر علة الشيخ وبلغ منى ما لم يبلغه شئ قبله * ولا يبلغه شئ بعده * واردت ان ارسل اليه فى ذلك رسولا * وافرد نحوه كتابا * ثم رأيت فى قراءته للكتاب تعب ناظره * وفى وصول الرسول شغل خاطره * فابقيت عليه بقية تحتها جفاء * وراعيت حقه مراعاة فى اثنائها تغافل واغضاء * وقد ورد الان خبر افاقته من علته * جعل الله تعالى ذلك آخر محنته * واول نعمته * فكان سرورى بالاخرى * فى وزان غمى بالاولى * لاغم الله فى الشيخ اصدقاءه * وحرس من الحوادث حوباءه * ومن الغير فناءه * ولا ارانى الزمان فيه ظفرا * فان الزمان حديد الظفر * لئيم الظفر * دقيق النظر حلو المورد * مر المصدر * معين اللئام على الكرام * والليالى على الايام * ميلا منه على الضوء للظلام * تقاطرت على كتب ثلثة وفلان يذكر ما وجده لكتابى عند الشيخ من ايجاب * ولحاجتى من اسعاف واطلاب * حتى قلم عنهم اظافير الايام * وقشع لهم ضبابة الاهتمام * واراهم من النجاح ما لم يروه فى المنام * وهذه نعمة احتاج لها الى دهر اوسع من دهرى * والى عمر انفس من عمرى * والى شكر ابلغ من شكرى * فاما هذا الدهر وهو العمر النزر * فما يسع ان اشكر فيه حرا * اللهم ارزقنى زمانا اوسع من زمانى * ولسانا افصح من لسانى وبنانا اجرى من بنانى * حتى اقضى بالشكر حقوق اخوانى * فلا بذل الا بجود ولاجود الا عن موجود * ولكن الدعاء غاية من ضاق امكانه * ولم يساعده

زمانه * وقطعت عن مسافة همته * خطوة جدته * وبه يكافى من قلت بسطته * وعجزت مقدرته * وانا اسأل الله تعالى ان يجعل الشيخ غاية اسؤال كل سائل * ومثابة لامل كل آمل * ورحلة كل راحل * وان يجعل السن اصدقائه * مشغولة بشكر آلائه * كما جعل قلوبهم مشغولة برجائه * وانفسهم مرتهنة بنعمائه * ويجعلهم بل يجعل زمانهم بهائه * والسلام

﴿ وكتب الى يزيد صاحب سمرقند ﴾

صدر عنى الى حضرة سيدى كتابان * احدهما عامى والآخر خاصى * فلا جرم حرمت جواب الماضى * ولم ارزق جواب الثانى * وقد انتظر غيرما جاءنى به الزمان * وعارضنى به الحرمان * لان الزمان لا يستحق منى حسن ظن * ويستأهل ان اصيبه بعين * مع ذنوبه الى التى اذا ذكرتها كانت غيبة سيدى اولاها * وانقطاع اخباره عنى وسطاها * ولكن لانى كنت اظن ان سيدى يغلب بكرمه لومه * ويهزم بيمينه سومه * ويحولنى عن شكايته الى شكره * وينقلنى عن حربه الى صلحه * فالحمد لله الذى جعل سيدى كاهل زمانه * وان قدمه عليهم بفضله لاقرانه * واخرجه من وحشة الوحدة الى انس الجماعة * ونقله فى معاملته لى عن قبح البدعة * الى حسن السنة * فخلطته بهم * وشكوته شكايتى لهم * وقلت فيه قولى فيهم * فيا سبحان الله فى اى طالع ولدت * وعلى اى بخت رزقت * فحيثما اواصل ارى صدا * وايثما اتوجه لا ارى سعدا * قال عبد الله بن المعتز

قولا لمكتوم ياخير البساتين * الحمد لله حتى انت تجفونى
قدكنت منتظرا هذا فجئت به * وليس خلق على غدر بمأمون

﴿ وانا اقول ﴾

قولا لمولاى فى الدنيا وفى الدين * الحمد لله حتى انت تجفونى

و

وصرت اناقض ابن المعتز فى شعره * طربا منى على مخاطبة سيدى وذكره * والطرب يرخى العنان * ويبصر العميان * ويجرئ الجبان * ويجرى اللسان والبنان * لا زال ذكر سيدى يطرب اخوانه حتى ينطقوا وهم بكم * ويعربوا وهم عجم * ويفصحوا وهم غتم * ولا زال اصدقاؤه يعاتبونه على كتاب يقطعه ويمنعه * ظمأ منهم الى فائدة من فوائد كلامه * وحرصا على غريبة من غرائب لسانه واقلامه * واطال لهم بقاءه وصل ام صرم * اعطى ام حرم * اهان ام كرم * انصف ام ظلم * فلا خير فى حب لا تحمل اقذاؤه ولا يشرب على الكدر ماؤه * وانما العشرة مجاملة * لا معاملة * والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف * ولا تحتمل الحساب والصرف * ولكنى انما اعاتب سيدى لاتوصل بذلك الى حلاوة اعتابه * واخاطبه بما لا ارضاه له لاتسبب به الى ما ارضاه من جوابه * وارجو ان الناس يغتفرون سواء الابتداء الحسن الجواب * ويعلمون ان الخطأ اذا سبب الصواب * فهو ضرب من الصواب * ليت شعرى ما الذى ورد على سيدى من عمله * وهل رأى صيدا ام قيدا * ووجد سعدا ام سعيدا * ويا ليت شعرى ما الذى استفاده بعدنا من الاخوان * ووجده فى سؤال المودة والخلصان * وعهدى به يلتقط الاخوان التقاط الحب * وينتقيهم انتقاء اللب * ويدخرهم بين العين والقلب * ويعدهم الكنز الذى لا عمل فيه للزمان * والركاز الذى لا نصيب فيه الى السلطان *

﴿ وكتب الى الوزير ابن عباد لما ورد باب جرجان لقتال الامير قابوس ابن وشمكير ﴾

كتابى وانا بما يترامى الى من اخبار نعم الله تعالى على الوزير فى حله وترحاله * وسائر متصرفاته واحواله * قرير العين * قوى الظهر * شديد الازر * راض من افعال الدهر * اسمع كل يوم بشرى * واحتمل للايام نعمى * فاما احوالى

متماسكة ببقاء نعم الوزير على * وآثاره لدى * فان فارقتنى امطاره فاكثر غدرانه ما نضب و الحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين * قد كانت كتبى انقطعت عن حضرة الوزير صيانة لسمعه * عن ان اقرعه بالكلام الوسط * وشفقة على ناظره من ان اجيله فى الخط السقط * وعلما منى انى اذا قطعته على هذه النية فقد وصلته * واذا جفوته فقد بررته * حتى ورد على خبر حركته الى هذه الوجهة التى ركب اليها مطية الاقبال * وجذب نحوها ازمة الآمال * واستظهر عليها بعساكر الايام والليال * فلم اجد بدا من الاذكار بنفسى التى انما ارتبطتها لتلك الخدمة * وامسكت رمقها ببقاء تلك النعمة * ولعمرى انى لاعرض منها ماء راكدا * ومتاعا كاسدا * ولكن الوزير بصدد حرب * وعارض خطب * والمحارب يحتاج الى طبقات الناس فيجعل الخاصة منهم عدة وعتادا * والعامة حشوا وسوادا * قد شمرت ايد الله الوزير ذيل المحارب * ورفعت رجل الراكب * وفارقت خراسان عزما * وان كنت بها جسما * واذا ورد على له اذن طفرت الى عسكره طفرة تطوى المراحل * وتأكل المناهل * بعد ان حصلت من العتاد والعدة * ومن الشوكة والشكة * ما ينظم شرائط اوس بن حجر الكندى * ومزرد بن ضرار الثعلبى * قال اوس

وانى امرؤ اعددت للموت بعدما * رأيت له نابا من الشر اعضلا

وقال مزرد

* وعندى للحرب العوان مهند *

هذا غير ما عندى من العدة التى يصنعها غير الله صانع * ولم يبعها غير الايام بائع * على ايد الله الوزير من انتماء اقبالى الى اقباله * درع لا تصدعها الايام * ولا تنفذ فيها السهام * وعلى رأسى من واقية دولته مغفر * لا تعمل فيه السيوف * ولا تمر بطريقه الحتوف * وبيدى من صنعة يمينه وبركته * قوس وترها الجد * وسهمها السعد * وفى عنقى من صقال نعمته سيف يقطع الآجال * لا الاوصال * ويهزم الاقدار لا الرجال * وتحتى من نتاج

شوقى

شوقى اليه فرس اذا سرت به طار * واذا وقفت به سار * الشوق عنانه * والايام ميدانه * والعجلة سرجه * والسوط لجامه * والعزيمة لببه وحزامه * فان اذن لى الوزير فى ورود عسكره المحفوف بجناح النصرة * المكنوف بجوانب الدولة والكرة * رأى منى بحمد الله تعالى فارسا ملء العين * كما سمع منى عالما ملء الاذن * فيعلم حينئذ ان اقباله خرج له تلميذا انتظم فيه فروسية اللسان * وفروسية السيف والسنان * ويكر فى معركة الطعان * كما يكر فى معركة البيان * ويثبت اسمه فى جريدة العلماء والفرسان * فان الاقبال ربما التقى طرفاه * والكمال ربما اعتدل جانباه * والاحسان ربما تكافأت يمناه ويسره * واذا كان الوزير وهو استاذ فارس الميدانين * وسايق الرهانين * وكانت يده تجيل قدحى الشجاعة والكرم * وتجمع بين السيف والقلم * وتحذق آداب العرب والعجم * ولم يكن القباء البق به من الطيلسان * ولا الدفتر فى يده اخلق من السيف والسنان * فلا بد لنا معاشر تلاميذه من ان نرقى على درجه * ونمشى فى منهجه * واذا كانت حياته نفسها الله تعالى حياة امه * ونفسه صانها الله تعالى مقسمة بن نفوس جمه * فلا بد من ان تفديه تلك النفوس بنفوسهم * وان يلقوا دونه السيوف بوجوههم بل برؤوسهم * وان يخدموه فى مواطن المنايا * كما خدموه فى مواهب العطايا * وان يبذلوا معه مجهودهم قتالا * كما بذل معهم مجهوده نوالا * وان يبتذلوا فيه للنفوس الكريمة * كما ابتذل فيهم النفايس العظيمة * هذا واجب فى قضية الكرم والمجد * لازم فى شريطة الوفاء والعهد * على انى اظن العدو اذا ظللته تلك الراية المنصورة يخطو خطوة اولها جرجان * وآخرها خراسان * تقيلا لاوليه * وجريا على وتيرة ابيه * فانه اعقل من ان يقذف امه ويخالف اباه * ومن خالف والده فقد نفاه * سيهزم من رجل طالما هزم * وينهزم ابن رجل طالما انهزم * ومن اشبه اباه فما ظلم

* * *

﴿ وكتب الى كثير بن احمد يعزيه عن ابنة له ﴾

نحن معاشر اولياء الشيخ ومتحملى اعباء نعمته * و المتسمين بسمة جملته * اذا صدئت قرائحنا * وفسدت اذهاننا * جلوناها بمجالسته * وغسلنا عنها وضر التغير باتباع طريقته * وسسنا انفسنا بما نراه ونتعلمه من سياسته * لبطانته ثم لرعيته * و اذا كانت الحال هذه فمن المحال ان نبيع على الشيخ ما اشتريناه منه * و ان نجلب اليه ما جلبناه عنه * و ان نقيم انفسنا مقام المتعلمين * وان نحمل اليه مواعظ بذله * كلامه منها ابرع * وبداية توقيعاته منها ابدع * ولكن لا بد للمحب ان ينطق لسانه وقلمه * بما يترجم به عن ودائع صدره * و يعبر عن نيته وسره * ولا بد لمن شارك ربيبه فى ايام الرخا و المواهب * من ان يشاركه فى ايام الغموم و المصائب * ليكون قد خدمه فى النوبتين * و تصرف معه فى الحالتين * و اثبت اسمه فى جريدة الشركاء المساهمين مرتين * و بلغنى خبر المصيبة فاغتممت بها غمين * ونفذت الى سهام الفجيعة من طريقين * اما احداهما فهى انى اغار على هذه الجنبة الكريمة * وعلى هذه الدولة المستقيمة * من ان ينفذ فيها رمية الزمان * او تتناولها يد من ايدى النقصان * واما الثانية فهى انى علمت ان الفجيعة اذا لم تحارب بجيش البكاء * ولم تقابل بالاذاعة و الاشتكاء تضاعف داؤها * وزادت اعباؤها * وانما الغم سم ترياقه المباثة * والموت خرق رفوءه التسلية والتعزية * قال ذو الرمة *

لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد او يشفى نجى البلابل

واذا كان لا بد من عين تصيب طرفا من اطراف الكمال * ولا بد من عوذة يعوذ بها وجه الجمال * فلان تكون الواقعة فى الصغير * خير من ان تكون فى الكبير * ولان يقع سهم الزمان على النسوان * امثل من ان يقع على الذكران * فالحمد لله تعالى الذى جعل فى طى المحنة منحة * و مزج الترحة بفرحة * فستر عورة من حيث سلب انسا ونزهة * وكفى مؤنة من حيث جلب فجيعة * وابقى الكبير من حيث اخذ واحدة صغيرة * وجل والدا من حيث اثكل

اثكل والدة وهكذا تكون مصائب المقبلين المجدودين * فان الدهر اذا ساءهم فى القليل * احسن اليهم فى الجليل * واذا كاشفهم فى الخفى المستور * صانهم فى الجلى المشهور * والمدابرون مثالنا فانما تكون محنتهم صافية صرفا * وخالصة بحتا والدهر يعلم اين الزبون * ومن المغبون * وانا اسأل الله تعالى ان يجعل المتوفاة لوالديها فرطا واجرا * وكنزا من كنوز الجنة وذخرا * وان يجمع بينها وبين البتول * السيدة فاطمة بنت الرسول * وبين خديجة الاسدية * وآسية الاسرائيلية * بنات الاكرمين * وازواج المرسلين * صلوات الله تعالى عليهم اجمعين * وان يحشرها شفيعا تقبل شفاعته * وتقضى فى والديه واهل بيته حاجته * ويعوض عنها الشيخ اخا لها سوى الخلق والخلق * شريف الفعل والعرق * ليستوفى الشيخ فى يومه اجر الصابرين * وفى غده جزاء الشاكرين * وليكون قد قضى الله تعالى حق الربوبية * من طرف العبودية * وان تكون هذه الحادثة خاتمة حوادث الزمان * وساقة عساكر النقصان * فلا يرى بعدها فى تلك الدار الشريفة * الا موهبة مستطرفة * وفائدة مستجدة مستأنفة * حتى يشتغل بالتهانى عن التعازى * وبالمدائح عن المراثى * و السلام

﴿ وكتب الى ابى محمد العلوى جوابا عن كتابه ﴾

ورد كتاب السيد مبشرا من خبر سلامته بالبشرى التى تنسى كل بشرى * وبالنعمى التى تلغى كل نعمى * وبالفائدة التى تفطم فوائد الاولى والآخرى * وفهمته ولما بلغت منه الى ذكر الاعتذار عن تأخر كتابه عنى * وشمول النعمة بامثاله للناس دونى * امتلأت عجبا * ورأيت لى فى كل جارحة قلبا * ورأيت السيد قد سلك بى من التواضع طريقا قد رفعه الله تعالى عنها * وجعله بنجوة منها * وتكلف ما لو تكلفته له لكنت سالكا طريق الافراط * وراكبا مطية الغلو والاشتطاط * وكيف به هو وانما كلامه لنا معشر شيعته كنز وذخر * وعز وفخر * ومال ووفر * وكبر وكثر * وحياة وعمر *

فكيف كتابه الينا * وسلامه علينا * والرئيس اذا اعطى المرؤوس فوق حقه * فقد استرجع منه * واذا باسطه بما لا يسعه قدره فقد انفض عنه * والاشياء اذا افرطت الى الرجحان * عادت الى النقصان * ذكر السيد انه لا يرضى لمكاتبتى عفو كتابته * ولا ينزل فيها على حكم بلاغته * وهذا كلام اولا انه قد جرى به بنانه * ونطق به لسانه * لقلت تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا * ولقد جئتم شيئا ادا * الكتابة ايد الله تعالى السيد صناعة مجانستى لها مجانسة النور للظلام * ومناسبتى لها مناسبة الاوز للنعام * ولم اقرع بابها * ولم اعلق باسبابها ولم اعاشر اربابها واصحابها * ولا ادعيتها بقلمى ولا بلسانى * ولا ادعاها لى اصدقائى واخوانى * ولا تمنيتها اذ كان التمنى انما يتعلق بذنب الامكان * ويمشى فى طريق الكيان * ولا احتلمت بها اذ كان الانسان * انما يتوهم وهو وسنان * ما يتفكر فيه وهو يقظان * ولا دعوت الله تعالى بها لانه امرنا ان نسأله ما لا ينقض العادة * ولا يفسد التكليف والمصلحة * ولو كنت اجوز على نفسى شيئا منها لجوزته من طريق اتصالى بجانب السيد * فان المواصلة ربما صارت مقاربة * والمقاربة ربما جلبت مشاركة ومناسبة * وهب ان ذلك كان فكم وكم مقدار ما يتعلق بذيل المعاير من دراهم الصيرفى * وما عسى ان يعبق بثياب الجليس من طيب العطار والصيدلانى * وكم يحضنى من الكتابة على مجالسة السيد فى كل اسبوع ساعة * وعلى روايتى له فى كل شهر كتابة او رقعة * اللهم الا ان يكون السيد اراد بما ذكره رياضتى لا تهذب * والتعرض لى بذكر الكتابة لكى اكاتب * فان هذا من ابواب الحث والبعث * وصنف من اصناف الرقى والنفث * قد يقول الاستاذ لتلميذه احسنت يا سيد الادباء * واصبت يا واحد العلماء * ليلحظه طعم التقدم * وليرقيه فى درجات العلم بالتعلم * فان كان ذلك هذا السيد اراد * فقد بلغ المراد * وها انا هو بعد اليوم * اقرع باب الكتابة * واتسلق على حيطان البلاغة * واجمع ما اقدر عليه من رسائل السيد فاحفظها صدرا صدرا * بل سطرا سطرا * واردد كل واحدة منها خمس مرات بل عشرا * فان خرجنى ذلك

ذلك فالحمد لله تعالى الذى رزقنى * ثم للسيد الذى حركنى * وان تكن الاخرى فبلغ نفس عذرها مثل منجح * ذكر السيد ان اعتداده بى اعتداد العلوى بالشيعى * والمعتزلى بالمعتزلى * وانا اقول مكافيا لا مباريا * ومتابعا لا موازيا * اعتدادى بما رزقنيه الله من اعتداد السيد بى * اعتداد الصحابة بالنبى عليه السلام * واعتداد الشيعة بالوصى * واعتداد المعتزلة بالحسن البصرى * واعتداد الحجازيين بالشافعى * واعتداد الزيدية بزيد بن على رضى الله تعالى عنه * واعتداد الامامية بالمهدى * لا بل اعتداد العاشق باللقا * والظمآن بالرى * لا بل هو اعتداد محمد بن العباس الطبرى * بالسيد ابن محمد العلوى * وهذا ميدان يحتمل الفرسان * وفصل يتسع للتصرف والجولان * ولكنى اكره ان اشق على السيد فى الجواب * وان اكلفه دخول هذا الباب * ذكر السيد ان انكفاءه الينا قد قرب * وان حجم الغيبة قد صغر * وذرعها قد قصر * وانا اسأل الله تعالى ان يصدق هذا المقال * ويحقق هذا الفال * ويرينى تلك الطلعة التى اذا رأيتها لم اتنغص بغيبة الغائبين * واذا فقدتها لم اتهنأ بحضور الحاضرين * واذا نظرت اليها فيومى سعيد * بل عيد * وفصلى مربع بل ربيع * واذا تصبحت بها تصبحت بالنظر الى النبى والوصى عليهما السلام والى البتول ابنة الرسول * والى السبطين الشهيدين * الحسن والحسين والى السجاد زين العابدين * صلوات الله تعالى عليهم اجمعين * سألنى السيد ان اسأله بعض هدايا تلك الناحية * لا والله ما اعرف نفيسة * ولا طرفة خطيرة * تعدل عندى وجهه فليهده الى * وليخلع نظرى اليه على * وليعلم انه اذا فعل ذلك فقد زف الى الدنيا فى معرض الجمال * واهدى الى السعود بين طبق ومكبة من الاقبال * ولم يدع لعين التمنى بعد ذلك مطمحا * ولا لقوس الاقتراح والتحكم بعدها منتزعا * لا يكتب الى السيد بخط غيره * لانى اذا قرأت كلامه من آثار بنانه * فقد جنيت الورد من اغصانه * وقليل لمن ادلى بمثل وسيلتى * واتسم بمثل سيمتى * ان تنبعث له البنان والاقلام * وان ينتقى له الخط والكلام * وان ينزل على حكمه والسلام *

* *
*

وكتب الى كاتب

اعتذر سيدى من صغر الكتاب واختصاره * فقد اغناه الله تعالى عن تكلفه من اعتذاره * وانما الصغير ما صغر قدره * لا ما صغر حجمه * فاما ما افاد * وجاوز المراد * فليس بصغير * بل اكبر من كبير * واما شكره لى على تفصيلى لكلامه * فانى من هذا بعد فى ميدان عريض مديد * وفى شوط بعيد * لم ابلغ عشر عشره * ولم اقض منه ايسر يسره * والحق انى وان اجتهدت فانى غير بالغ منه ما فى ضمن النية * ولا آت على ما فى الهمة والامنية * ولكنى ساقف عقلى انتهاء الطاقة * واحل مجهودى اقصى الغاية * والتمادح بيننا بعد الحال التى عتقت * حتى اخلقت * وقدمت حتى هرمت * فصل لا يحتاج اليه * ولا يعرج عليه * واسأل الله تعالى ان يجعل اخوتنا متصلة فى الدنيا باخوتنا يوم الدين * فان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين *

وكتب الى صاحب الديوان بالحضرة

عظم على الشيخ ادلالى * وكثر على قلبه اشغالى * وفتح عليه كرمه من حوائجى بابا لا يسد * ولا يرد * ولكنى اذا قلبت سلعة الشكر * ونشرت طراز الاحسان والبر * لم ار غيره يشتريه * او يرغب سواه فيه * واذا عرضت جريدة الكرم * وافضت قداح المساعى والهمم * جاء اسمه صدر الجريدة * وقدحه معلى القداح السبعة * فارجع اليه وعن يمينى الرجاء يقربنى منه * وعن يسارى الحياء يطردنى عنه * وما احب ان يشرك الشيخ فى لسانى غيره * ولا ان يحتوى على قلبى الا ذكره * فانى آنف لكرم المتاع * من لؤم المبتاع * واستحيى لنفاسة هذه الملابس * من خساسة اللابس * واغضب للمركب الكريم * من الراكب اللئيم * واحب ان ازف ابكار المعانى وان اغرب فى الثناء * لمن يغرب فى السناء * وان ازوج الشيخ من صنعة لسانى كرائم

لا

لا تجتليها الا عيناه * ولا تنظمها الا يداه * قد علم الشيخ انى عقدت هذه الصنيعة * واقفت هذه المعيشة * لتكون صونا لوجهى عن ذل السؤال * وحجابا لعرضى دون الابتذال * ولاجعل ما يدخل منها من الكفاف * جسرا الى الصيانة والعفاف * فاحبب نفسى الى اصدقائى * واخفف ثقلى على جلسائى * فان السائل ثقيل الطلعة * كريه الزورة * مشنوء اللحظة واللفظة * معرفته غرامة * ومنادمته ندامة * ومجانبته امان وسلامة * فمن اعانى على حفظ ما اعتقدته * وامسك على جوانب ما استفدته * فقد كفى اهل المشرق كلى * وخفف عن رقابهم ثقلى * وضرب بين لسانى وبينهم سترا ثخينا * ومد عليهم دون استبطائى وعتابى كنا كنينا * ومن اخرجنى من صيانة الدهقنة * واحوجنى الى ابتذال المسألة * فقد عرضهم للخطبين * وعرضهم لحد السيف من جهتين * لانهم بين ان يعطوا فيحتسبوا مرارة العطاء * او يبخلوا فيصطلوا بحرارة الذم والاستبطاء * وما من الخطتين صغيرة وما فيهما لمختار خيرة * على ان خروجى من خراسان الى غيرها * وضع من اهلها * فلو ارتبط الجواد حق ارتباطه لما عار * ولو احسن الى البازى لما طار « وان مقامى حيث خيمت محنة * تدل على فهم الكرام الاجاود » ولو ملكت اعنة الايام * وجاز حظى على الحظوظ والاقسام * لكانت مدائحى الى اهلها مصروفة * ومعاتباتى على غيرهم موقوفة * ولما جلست تحت قول ابى عبادة البحترى

عذلتنى فى اهلها واسترابت * جيئتى فى سواهم وذهابى
ورأت فى سواهم من مديحى * مثل ما عند غيرهم من كتابى

هذا على انى ارى ريح الكرم هبت جنوبا وشمالا * وعساكر المجد قد زحفت يمينا وشمالا * وسوق الادب قد قامت * واطراف المسالك قد استقامت * وليل النقص والجهل * قد جلاه فجر الفضل والعقل * والجود قد اقبل بوجه الغالب * والبخل قد ادبر بقفا الهارب * وارى الدهر قد افتر عن يتيمته * وانجلى عن كريمته * وجاء بواحده * الذى لم يزل لسان محامده * وعنان مراشده * والذى لم يزل يرجف به لسان الامانى *

وتتقاضانى فيه ايام زمانى * وهو الشيخ الاجل ربيب الدولة * وغذى النعمة * وسليل الكفاية والوزارة * وفرع السياسة والرئاسة * وناشر ميت الآمال * وناقد قيم الرجال * وناشر الوية المقال والفعال * وقد علمت ان الدهر البخيل * لا يسمح الآن به الا ليكون للاحرار ركزه * وليدون للافاضل دولة * ولتهب للخير ريح طالما ركدت * وتنفق للفضل سوق طالما كسدت * ورجوت ان اكون احد من ينتصف به من محنه * وينتزع فى ايامه حقه من مخالب زمنه * فقد طال ما ضرب الزمان على رزقى وغصبتنى ايامه ولياليه حقى * اسأل الشيخ ان يعرض كتابى عليه * ويوصل كلمتى اليه * ولا يقول كيف يكون الرسول اجل ممن ارسله * وكيف يكون السفير اعظم ممن سفر له * فان الكريم يعز من حيث يهون * ويشتد بأس الرمح حين يلين * وهو ايده الله تعالى الحكيم الذى لا يوصى * والمشير الذى لا يعصى * واذا سعى فى هذه الحاجة ففى امره سعى * وعن ماله نضح ورمى * وعن عاتقه القى حملا * وطرح ثقلا * لانه ان حرم سهمى الاصابة * ولم ترزق دعوتى الاجابة * فانى ملق كل خرجى عليه * وراجع به عنه اليه * اذ كنت لا ارى الفرح الا لديه وانشد

سيبلى ان اعطى الذى تسألوننى * وحق ان يجدى على ولا اجدى

﴿ وانتقيه ﴾

اذا كنت لا انفك اغدو مطالبا * فلم انت عباد ولم انا شاعر

فلينظر الشيخ الى هذه الحاج بعين من يعلم انه فيها سهيم * واصاحبها قسيم * وانه يكدح كدحا له بعضه * ويجلب جلبا له شطره * وانى لاعلم انى قد هتكت ستر الحشمة * وخرقت حجاب الهيبة * وان هذا الكلام ترق عنه صفحة الاحتمال * ولا تطلقه شرائط المهابة والاجلال * ولكن الثقة تطلق اللسان * وتجرى الجنان *

* *
*

و

﴿ وكتب الى وزير صاحب خوارزم ﴾

وصل كتاب الشيخ وتصرفت من فصوله فى لؤلؤ منثور * وطراز منشور * واستمليت منه نسخة الود الصريح * والعهد الصحيح * والخلق السجيح * ووجدت الشيخ قد استرقنى رقا لا تحل عقدته ولا ترد عهدته * وكفانى مهما لا يكفيه الا مثله * على ان ذكرى مثله ارجاف بالزمان وفعله * وكذب على الفلك واهله * وامنية من اكاذيب الامانى * وترهات من اسانى * هيهات الدهر ابخل من ان يأتى بكريمته * ويجئ بمثل يتيمته * والكرم اقل مبتاعا * واكسد متاعا * من ان ينازع الشيخ بهاه * اويسلبه رداه *

والجود اخشن مسا يابنى مطر * من ان تبزكوه كف مستلب

اخبرنى الرسول بما عمله الشيخ من حيله الدقيقة * وفتله من اسبابه الوثيقة * فى ذلك الخال حتى اخرجه من العدم الى الوجدان * وصيره من الوهم الى العيان * فحمدت الهى الذى رزقنى صديقا يحفظ على * ما اضيعه بيدى * ويحسن بى من حيث تسئ نفسى الى * وقد كنت خاطبت الشيخ فى امر هذا المال بكمال جرأتى عليه * فصدق ثقتى بسعة ساحة احتماله * فان شكانى فقد كافانى * وان اسلفنى شكرا فعلى اداؤه * وعلى الله جزاؤه * ولو انصفت الخال بيننا * والجهة الجامعة لنا * لخرجت لهذا الوافد الاثير لدى والكريم على من مالى * ولقاسمته ولدى وعيالى * ولحملت العالم اليه بين طبق ومكبه * والفلك بين دنيا وآخره * ولكنى نزلت على حكم طاقتى * وانتهيت الى غاية وجدى وجدتى * وعولت على عقدى ونيتى * ونكست راس خجل منشور * وغضضت طرف قاصر مقصر * وانشدت

لو كنت اهدى على قدرى وقدركم * لكنت اهدى لك الدنيا وما فيها

الذى طلبه الشيخ من الكتب ساحمله الى خزانته ولو على رحلى * وانسخ ما ليس عندى ولو على خدى * ولوددت لو كان دمى حبرا وجلدى ورقا *

واصابعي اقلاما * وذاك عندي يسير نفسي * وصغير يلغى * وقليل لا يسمع ولا يرى * على انه لو باسطني الشيخ فيما عدا الكتب * من الفضة والذهب * لكان آخر امره منتظما باول امتثالي * وطرف قوله متصلا بطرف فعالي * فان الناس يتخذون الاصدقاء * ليكسبوا بهم الثراء * وانا اكسب الثراء * لاتخذ به الاصدقاء * والصديق هو العقدة التي يحلها الدهر * والذخيرة التي لا يفسدها الخير والشر * والكنز الذي لا ينقص منه الغنى والفقر * وسائر الاعلاق تفقد من حيث توجد * وتحل كما تعقد * ويدب اليها الفناء * كما يتفق لها البقاء * ويتسلط عليها الاعداء * كما يحسد عليها الاصدقاء * وتمسها النار فتحرقها * ويصيبها الماء فيغرقها * فالذهب والفضة حجران يغنيان ان حركا * ويفسدان ان تركا * والضياع والعقار جمادات وموات لا ترحل مع صاحبها ان رحل * ولا تنزل بنزوله ان نزل * والعبيد والاماء حيوان * يتحكم فيها الحدثان * ويعمل فيها عمله الزمان * فاذا حاربته الايام سقم * واذا سالمته هرم * فهو معرض للحادثات * اما بالحياة واما بالممات * والثياب والفرش ورق يجف اذا استعمل * ويخفى اذا اهمل * والعتاد والسلاح رفيق ربما خان من حمله * واعان على من قاتله * وصار في يد المحارب * آفة على الصاحب * والحلي والجواهر زجاج يسرع اليه الكسر * ويبطئ عنه الجبر * اظهاره خطر * واخفاؤه حذر * خفيف المحمل على من سرقه * ثقيل الوطأة على من فقده * والزرع خبز مخبوز فناؤه افتقار * وبقاؤه احتكار * من بذله عرضه للفناء * ومن بخل به عرض عرضه للهجاء * والاثاث والشوار اجسام هامدة اذا ابتذلت تمحقت وتكسرت * واذا رفعت صدئت وتغيرت * والفيء والماء * غريم كفيله الارض والسماء * وهما كفيلان لا يغرمان * ولا يلزمان * ولا يلازمان * والخيل والسوام زرع تجففه الريح والهواء * ويحكم فيه الصيف والشتاء * ويتداوله الفناء * والكتب مالك جالس على قافية السرقة * موضوع على شبكة الخيانة * يسرقه كل امين * ويتهم عليه من ليس بظنين * وقد اكثرت ايها الشيخ في هذياني * ووضعت عنان قلبي وبناني بيد لساني * فان يكن

ما

ما جئت به مفيدا فقد ابدعت واغربت * وان تكن الاخرى فقد اضحكت واعجبت * فلم اخل ان جئت بفائدة * ان كنت ضحكة ونزهته زائدة *

﴿ وكتب الى ابن سهل سعيد بن عبد الله الكاتب ﴾

وصل كتاب سيدي المنتظر المؤتلف * والمستبطأ المتشوف * بعد ان عاتبت الدهر على تأخره ولمته * وبعد ان ذممت فيه البخت وشتمته * وبعد ان نظرت اليه وهو غائب مثالا * ورأيته في النوم خيالا * وبعد ان عددت له الليالي والايام عدا * وحسبت فيه الاوقات والانفاس ضربا وعقدا * وبعد ان ظننت الظنون بسيدي وبوده * وتوهمت الايام في وفائه وعهده * وحسبت وانا استغفر الله انه قد اثبت اسمه في جريدة الغدر * وجانس ابناء الدهر * وبعد ان انشدته فيه

لم تزل تجهل الخيانة حتى * علمتك الايام كيف تخون

فويلي ان لم يعف سيدي عني * ولم يغفر لي ما بدر مني * ولم يجعلني في حل من سوء ظني * وفهمته * ولم ازل اكرر قراءته حتى حفظته * ثم تزودت في ذلك حتى حفظت غاية باءاته وصارت روايته تقطع على صلاتي * وتستهلك اكثر اوقاتي * ثم عرضته على اصدقائي * واصدقاء ولائي * فما منهم الا من سألنيه * ونافسني فيه * واستعارنيه * ونيته ان لا يرد العارية * ولا يؤدي الامانة * ثم نسخوه ولو طلبته منهم لما اعادوه * ذكر سيدي من شوقي اليه ما لم يتكلم فيه الا عن لساني * ولم يترجم الا عن شاني * ولقد طويت بعده بساط المدام * ورفعت صحيفة المؤانسة والندام * وطلقت الراح ثلاثا * وفارقت الغناء بثاثا * حتى جفت الاقداح واستخصتني الراح * ونسي بناني الاترج والتفاح * ولقد ترك سيدي بخروجه رسوم الطرب من اخوانه دارسه * وآثار الفرح والانس طامسه * وديار المنادمة والمجالسة مقفرة * واطلال المحادثة والمساعدة متنكرة * قد هبت عليها بغتة ريح

الادبار * وطلع عليها نجم البلاء والاقفار * ونفذ فيها حكم الفناء * ولمستها يد العفاء * سألني سيدى عن ذكرى له وكيف لا يذكره من يراه * وان كان لا يلقاه * بل كيف يذكره من ليس ينساه * وكيف يسلو عنه * من لا يرى عوضا منه * وكيف يغب ذكره من لا يفتح عينيه * على اكرم منه عليه * واحب منه اليه * وقد عرفته انا هجرنا الشراب * واغلقنا هذا الباب * ثم ان شربنا فى كل فترة نبوة * او بيعة خلافة * فلا نقل الا تذكاره * ولا تحية الا اذكاره * ولا حديث الا انسا به كان ووحشتنا له الآن * ولا اقتراح على المغنى الا شعر فى اوله ذكر غيبته * وفى آخره تمنى اوبته * رد الله تعالى سيدى الى اخوانه الذين انا اولهم فى المحبة * وان كنت آخرهم فى الرتبة * على حالة يقع الشكر وراء حقها * وتكل مطايا التعديد والبشر فى مسافاة طرقها * والناس يقولون ردك الله سالما الى سالمين * وانا اقول ردك الله تعالى غانما الى غانمين * فان من سعد بلقياه فهو غانم كما ان من حرم النظر الى طلعته فهو غارم * وارجو ان يتقدم سيدى بوصوله عند الفطر فيجتمع لى عيدان وفطران * كما اجتمع على بغيبته صومان * على ان صوم العين * اشد من صوم البطن * فان مسافة صوم العين مجهولة الامد والعدد * مخوفة الزيادة والمدد * ومسافة صوم البطن يوم وشيك المهلة * قريب العشية من الغدوة * فحصتى من صوم هذه السنة المباركة حصتان * ويومى منه يومان * وتأبى صروف الدهر ان تأتينى الا مزدوجة فى قران * وذلك انى صمت عن النظر الى طلعة سيدى شهرى رجب وشعبان * وصمت عن الطعام والشراب شهر رمضان * وقد قال الخليع الشامى

سكران سكر هوى وسكر مدامة * فتى يفيق فتى به سكران

﴿ وانا اقول ﴾

صومان صوم نوى وصوم عبادة * فتى يعيش فتى له صومان

﴿ وكتب الى ابى القسم وقد انهدمت داره عليه وسلم ﴾

بلغنى خبر الهدة فالحمد لله الذى هدم الدار * ولم يهدم المقدار * وحين ثلم المال * ولم يثلم الجمال * ولما سلط الحوادث على النشب والخشب * لم يسلطها على العرض والحسب * ولا على الدين والادب * ولا بد للنعمة من عوذة * ولا بد لاعين الكمال من رقيه * فلأن يكون ذلك فى دار تبنى * ومال يجنى وينمى * خير من ان يكون فى النفس التى لا جابر لكسرها ولا شئ يفى بقدرها * وصادف ورود هذا الخبر على * رمدا فى عينى * قد حصرنى فى الظلمة * وحبسنى بين الغم والغمة * وتركنى ادرك بيدى * ما كنت ادرك بناظرى * كليل سلاح البصر * قصير خطوة النظر * قد ثكلت مصباح وجهى * وعدمت بعضى الذى هو آثر عندى من كلى * ابعد الاشخاص عنى * اقربها منى * فالبيض عندى سود * والقريب منى بعيد * قد خاط الوجع اجفانى * وقبض عن التصرف بنانى * ففراغى شغل * ونهارى ليل * وطوال الحظى قصار * وقصار اوقاتى طوال * فانا ضرير وان عددت فى البصراء * وامى وان كنت فى جملة الكتاب والقراء * قد قصرت العلة خطونى قلمى وبنانى * وقامت بينى وبين يدى ولسانى * وقد كانت العرب تزاوج بين كلمات تماثل مبانيها * وتتكافأ مقاطعها ومباديها * فتقول العلة ذلة * والوحدة وحشة * والغلب سلب * واللحظة لفظة * والهوى هوان * والاقارب عقارب * وانا اقول المرض حرض * والرمد كمد * والعلة قلة * والقاعد مقعد *

﴿ وكتب الى ابى احمد الرازى ببندر نيسابور ﴾

ورد على كتاب الشيخ بعد ما كدت اتطفل عليه بخطبته * واسبقه الى المكرمة فى الابتداء بمثله * ثم ابى الله تعالى ان يكون الفضل الا لاهله * وان ينبت الكرم الا على اصله * وفهمته وافادنى من خبر سلامته فائدة هى الغنى * بل المنى

بل الكنوز والقنا * بل المراد والهوى * بل السناء والعلى * بل العالم والدنيا * بل خير الآخرة والاولى * وهى السلامة التى لا يتضرر بها الشيخ عنى * ولا يختص بمزيتها دونى * اذ كانت الاحوال بيننا متقاسمة * وسائر اسباب السراء والضراء متساهمة * وسألت الله تعالى اولا * والآن اسأله ثانيا * ان يجرى على الشيخ نعمته * ويرد غربته * ويعجل اوبته * ويبصره رشده * فى الرجوع الى بلده * الذى هو بحضوره مصر مباه الامصار * وبغيبته عنه مفاوز بل قفار * كما ان اهله اذا كان فيهم ناس * واذا غاب عنهم نسناس * والله يلهمه قول النابغة

فحلى فى ديارك ان قوما * متى يدعوا ديارهم يهونوا

وان اكرم الخيل اشدها حنينا الى وطنه * واعتق الابل اكثرها نزاعا نحو عطنه * والدنيا رستاق نيسابور قصبته * وعقد نيسابور واسطته * ولو علمت انى ادفع من غيبة الشيخ الى هذا الامد البعيد * والنفس المديد * وانه اذا فارق قوما طلقهم * واذا لقى آخرين عشقهم * لاخذت من الزمان الف كفيل * ووضعت الارصاد بكل سبيل * واورده على * اوكلت بحفظه عينى بل عينى *

شددت باعناق النوى بعد هذه * مرائر ان جاذبتها لم تقطع

والآن فقد ادبنا الشيخ ببعده * فما رأيه ان يعفو عنا بقربه * فيكون قد ارانا قدرته * ثم اسبغ علينا نعمته * وجمع بين تعريفنا مقدار النعمة اذا آب * ومقدار المحنة اذا غاب * كان كتاب الشيخ الطف من عتبه * واقصر من اوقاتى بقربه * واظنه اشفق على من التعب فيه اذا طال * وظن بى الكسل والملال * فما زلت اعرفه مشفقا على * حميد الاثر لدى * وان استعفيه من هذه الصدقة * واشتهى ان لا يبرنى بهذه الشفقة * وان تكون كتبه الى * اطول من يده على * وابسط من لسانى فى شكرى حميد آثاره لدى * فانى اذا رتعت فى رياض قوله * واجلت عينى وخاطرى فى ميدان فضله وطوله * تقلبت فى روضة وغدير * وادرت يدى فى جنة وحرير * ولم اعدم معنى

يلقح

يلقح الذهن * ولفظا يمتع العين والاذن * وفقرة استفيدها * ونكتة اقرأها ثم اعيدها * وان كان تذكر الايام الماضية لا يفرغ قلبى لاستيفاء العائد *

فلا يبعد زمان منك عشنا * بنضرته ورونقه العجاب
لياليه ليالى الوصل تمت * بايام كايام الشباب

وكأن ابا تمام لم يقل هذين البيتين الا ليقتل نفسى * ويميت نفسى * وقد استسلمت للفراق فليمض فى حكمه * لا بل فلينفذ فى سهمه * وكتاب الشيخ يزيل بعض ما بى * ويشفينى من اوصابى * فليهده الشيخ الى فان اهداء السرور به الى مثل قلبى صدقة مبرورة * وصنيعة مشكورة * وكلما قرب منى الدواء فترا * تأخر عنى الداء شبرا *

وكتب الى صاحب الديوان يوم المهرجان

لولا ما يمن الشيخ من الانقباض عند الهدايا جلت او قلت وان كان ليس مع عطاياه جليل * كما انه ليس مع تواضعه قليل * لافنيت فى هديتى اليه الاعلاق والجواهر * ولاتعبت فى حملها اليه الخف والحافر * واسبقت فى ذلك الاولين * واتعبت فيه المتأخرين * عرف الله تعالى الشيخ بركة هذا المهرجان * وافرده بذلك عن سائر ايام الزمان * ولا زال يلبس الايام قشيبها وهو جديد * ويقطع مسافاة سعدها ونحسها وهو حديد * والسلام

وكتب الى ابى سعد احمد بن شبيب

ما اقرب ما كانت المسافة بين لقاء صاحب الجيش وبين فراقه * وما اكثر ما انشدت بيت كشاجم فى وداعه وعناقه *

لم استتم عناقه لقدومه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه

كأنه كان ذلك الرجل قائما معنا * اوكأنه قاله هذا البيت لنا * ولقد كانت

الايام بلقاء صاحب الجيش طويلة الوعد * قصيرة الرفد * فانها مطلتني بلقائه سنين طويلة ثم اسعفتني به ساعات قصار فبينما انا اشكو مطلها * اذ صرت اشكو بخلها * وبينا انا استدرك عليها الماضي * اذ اصبحت اطلب اليها الباقي * وبينا انا انشد

ايا ليلة الوصل لا تنفدي * ويا ليلة البعد لا تنفذي

غدوت انشد * هذا الذي قيل له اطيب ما كان فني * ولعمري اني موسر من الصبر * قوي بنية القلب والصدر * حيث ابيت ببلدة وصاحب الجيش باخرى وليس بيني وبينه بعد الخافقين * ولا سد ذي القرنين * ولا جبل قاف * ولا سورة الاعراف * ولقد رضيت من الشوق بالدعوى * ومن اللقاء بالمنى * وغششت فيما بعته من الهوى * والله اسأل ان يجمع بيني وبينه على ما يثلج صدري * ويقر عيني * وان يريني الدهر وهو وافد من حشمه * والسعد وهو خادم من خدمه * والايام وهي رسله في اوليائه واعدائه * والمنايا وهي سهامه في صباحه ومسائه * والاقبال وهو خليط من خلطائه * والسرور وهو نديم من ندمائه * والعز وهو مستدرئ بافيائه * والشرف وهو مطنب بفنائه * وهذا الدعاء مني خجل قطعت به الحديث لما توجهت به المسألة علي * وخرج الجواب من يدي * ولو صدقت فيما ادعيته * وكنت من الشوق على ما حكيته * قلت للشوق اذ دعاني لبيك وللحاديين كرا المطايا * ولانضيت الركاب * وفارقت الاحباب * وركبت كاهل الخطر * واعروريت ظهر السفر * حتى انيخ بحضرة طال ما حضرتها العلي * وانزل على سدة طال ما سدت زوايا الندى * وانظر الى طلعة عليها للكرم ديباجة خسروانية * وفيها للطلاقة روضة ربيعية * رجعت من حضرة الوزير بعد ان افرغ علي من سجاله * واسبغ علي من نواله * ما خفف ظهري بل اثقله * وانطق لساني بل اخرسه * وارخص شكري بل اغلاه * وابقى مديحي بل افناه * واني حين امدح البحر بانه غزير * والبدر بانه منير * واعلم الناس ان الدهر كبير * وان الرمل كثير * كنت كاحد عباد الله المكلفين

المكلفين الذين قواهم هبا * وعملهم جفا * ابقى الله تعالى ذلك السيد لتفتضح به اللئام * وتفخر به الكرام * وتتجمل به الايام والانام * واقام به سوق الكرام * وقد اقام * وادام بسلامته عز الحمد والمجد وقد ادام * وليت المكارم كانت جواهر لا اعراضا * وخلقا لا اخلاقا * فتتمكن من رؤيته العين * ويأتي عليها الوزن والكيل * فيدركها الجاهل بحاسة بصره كما يدركها العاقل بحاسة فكره * فاستريح من الدلالة على معرفتها * ومن اقامة البينة على صفتها * وصلت الجارية ووددتها لاني رأيت موصلها شابا واذا اجتمع الشابان فقد اجتمعت النار والحلفاء * بل اجتمع الظمآن والماء * وهذا ميدان لابليس فيه مجال * وزاوية له فيها افعال * وان النساء لحم على وضم * وصيد في غير حرم * الا ان تلاحظ بعين غيور * وتلازم بنفس يقظ حذور *

﴿ وكتب الى تلميذ ورد له كتاب ترتفع الفاظه عن كتابة مثله وطلب ﴾
﴿ نسخة شعره ﴾

نسخة شعري التي طلبتها يا ولدي سائرة اليك * وغير مضنون بها عليك * ولكني اذا امتعتك بها الآن اعنتك على طول غيبتك * وصرت بعض آفات اوبتك * فارجع فديتك * وانجز ما وعدته واسمعه ممن قاله تزدد به عجبا * فحسن الورد في اغصانه * رأيتك يا ولدي تخاطبني في كتابك بالفاظ ان كنت انت ابا عذرتها لقد اختصرت طريق الكلام * وصرت بعض محاسن الايام * وان كنت اخذتها من غيرك لقد سرقت سرقة لا يلزم صاحبها رد * ولا يجب عليه فيها حد * ولا يعاقبه السلطان * ولا تتبرأ منه الاقوام * واغرت غارة لا يلزمك منها قود القتلى * ولا ارش الجرحى * ولا تتبعك فيها دعوات اليتامى والايامى * وغصبت غصبا لا تطالب بتبعته ورثتك * ولا يثلم له دينك وامانتك * فيا ايها المغير النظيف الغارة * والسارق البري الساحة اشركنا رحمك الله في بعض ما رزقت * واجعل لنا سهما مما سرقت * واعطنا

قليلا مما اخذت * ولا تبخل علينا بما ليس من ملك يديك * ولا من ميراث ابويك *

وكتب اليه ايضا

كتبك يا ولدى عندى تحف و شمامات * و انوار وباكورات * افرح باولها * و انتظر ورود ثانيها * و اشكرك على ماضيها * و اعد الايام و الليالى على باقيها فكثر على سوادها * و وفر على اعدادها * واعلم انى احبك حبا مستكنا وباديا *

احبك ما لو كان بين معاشر * من الناس اعداء لجر التصافيا

وانى آنس بك حاضرا * و اشتاق اليك غائبا * شوقا لو عرفته لتكبرت على الورى * و لم تقم وزنا لاهل الدنيا * وكنت لا تنظر اليهم الا بمؤخر عينيك * و لا تكلمهم الا ببعض شفتيك

وكتب الى حاجب ركن الدولة بالرى

الكتاب الذى عظم الحاجب باصداره شانى * واعاننى به على زمانى * واهل زمانى * ورد وثمرة الفؤاد منه بعد فى اكمامها لم تزهر فتغتنم * ولم تدرك فتطعم * و اذا نجحت الشفاعة من حيث لقحت * وزكت اغراس المعونة من حيث زرعت * ولاحت على صفحات احوالى اثار الزيادة * وظهرت فيها مخايل السعادة * اقت رهج الحمد والشكر * و انطقت بهما لسان الدهر * وقلت ما يتعب الراوى * ويجير السامع والرائى * و يوقع للخواطر شغلا طويلا * وللسان الاقلام عملا ثقيلا * والى ان تيسر من ذلك ماهو فى ضمان الايام * وفى ودائع الحظوظ والاقسام * فانى اسأل الله تعالى ان يطيل بقاء الحاجب مصونا عن لحظات الغير * محروسا من عثرات القدر * اقباله وسعده مقتبل * وبابه مستقبل * وبنانه بل كمه بل تراب مجلسه مقبل *

وكتب الى أبى عبد الله النحوى الخطيب بالرى

ان تكلفت للشيخ ذكر ما اسلمنى له فراقه من الهلع * واهداه الى من انواع الغم والجزع * جريت معه فى ميدان الاعتداد * واستقبلت بكلامى قبلة الشكر والاحماد * ورأيتنى اشكر نفسى على ان اؤدى فرضا * واحمد جوانحى على ان يجيب بعضها بعضا * وان سكت بقيت فى نفسى حاجة * واستولت على قلبى حسرة * ورأيتنى ابخل على نفسى بشكاية المضرور * وانفث عليها نفثة المصدور * فلا ادرى أأقول على ان القول كلفة * ام اسكت على ان السكوت غصة * ولكنى انشد قول المولد

واشهد الله وحسبى به * انى الى وجهك مشتاق

ما زال قلبى مقيلا لذكر ليالينا تلك الطوال القصار * اللواتى كانت ظلماتها انوار * وساعاتها كلها اسحار * حاربنا فيها النعاس بجيش السمر * وسهرناها ولم نجد مس السهر * فكلما مال بنا النعاس الى شقه * وكاد يستعبدنا الملال برقه * نفضنا عنا غبار الكسل * وجلونا عن اعيننا بل انفسنا صدأ الفتور والملل * بحديث مطرز بالادب * مرصع باخبار العجم والعرب * يسكر من سمعه وان لم يشرب * ويشهد على بهيمية من شهده ان لم يطرب * بالفاظ انيقة النظم وثيقة النثر * ومنطق رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر * فيعود النشاط امضى ما كان حدا * واصفى ما كان فرندا * واثقب ما كان زندا * ولو عاوضنى دهرى * واشترى جميع عمرى * وباقى عصرى * ورد الى تلك الليالى الزهر * المحجلة الغر * لكان قد احسن الى و اربحنى * وخسر على * وهيهات الدهر تاجر لا يغبن فى تجارته * وامير لا يغلب على امارته * ولكنا نقطع الدهر قالا وقيلا * ونعلل فيه قلبا عليلا * يسر الله لنا حالة يعود بها الانس فى احسن زينته * واتم بهجته * وادالنا على الفراق الذى وجدناه لئيم الظفر * قبيح المنظر والمخبر * واعاد لى تلك الاوقات المسعودة المحمودة * التى سرقتها من دهرى * ورأيتها غرة عمرى * وصقلت فيها بلقاء الشيخ ذهنى وفكرى * وانشدت فيها من شعرى وشعر غيرى *

و فرحة الاديب بالاديب * كفرحة الطبيب بالطبيب

ولو طلبت من الشيخ عوضا لكنت قد اعنت الزمان * واستحققت بطلبتي المحال والحرمان * و الفضل اليوم اقل طالبا * واعز صاحبا * و اجذب جانبا * واخيب كاسبا * من ان يعظم غير الشيخ بين طرفيه * او يضم عليه كلتا يديه * سقى الله ايامنا بيد الشيخ الجليل * فاني لا اعرف سحابة تندى نداها * ولا تسقى سقياها * و انما طلبت الغاية في الدعاء * وسموت الى اقصى مراتب الاستسقاء * وقد قال ابو الطيب المتنبي

سقى الله ايام الصبا ما يسرها * ويفعل فعل البابلي المعتق

وكأنه قال سقى الله ايام الصبى خمرا فانما فرحها ساعة * وطيبها مجاز لا حقيقة له مع بشاعة طعمها اولا * وثقل خمارها ثانيا * والذي دعوته به من السقيا يبقى ولا يفنى * ولا يستبشع بل يستحلى * ويستطاب ويستمرى *
بلغني ان فلانا زعم ان سمعه لا يسع لاستماع كلامي * وانه يستعظم ما يرى عليه الناس من اعظامي * والذنب للعين العشواء في محبة الظلماء * وكراهية الضياء * وفم المريض يستثقل وقع الغذاء * ويستمر طعم الماء * والجعل يتغذى بالسرقين * ويموت من الورد والنسرين * ومن الريحان والياسمين * ومن طمس عين الشمس * فقد نطق في الحس * ومن حارب جيش العقل * وخلع ربقة العدل * ورضى لنفسه بمجانسة الجهل * فقد كفى خصومة مؤنة عتابه وعقابه * وقد امن زيادة المحنة لتمام ما به * كتبت هذه الاحرف ولم يبق مني الحر الشديد * والسفر المديد * قلبا يدري * ولا بنانا يجري * فاني * قد ذبت غير حشاشة ودماء * ما بين حر هوى وحر هواء * فاما حر الهواء فشاهده حاضر * ودليله ظاهر * واما حر الهوى فان هواي مقصور على مولاي * وقلبي حالا يحله غيره * ولا يعمره الا ذكره * وارجو ان لا اعدم على ما قلته من قلبه شاهدا * ومن علمي به رائدا *

**

و

وكتب الى قاضي الري ابي الحسن بن شاذان

كتابي ايد الله تعالى القاضي من قم وانا فيها بمكة حر الاحجار * وبعمان هواء لا ماء * بل كتابي وانا في سلامة الا من الحر الذي يذيب دماغ الضب * ويشبه قلب الصب * وهذا سرقته من رسائل الوزير الجليل ابن عباد وليس باول غارة الكردي على الحاجي ولا باول اخذ الطرار * مال التجار * ولا باول تجمل المتكاتب * بكلام الكاتب * وهل عبرنا منذ عرفناه الا عن بيانه * وهل اجرينا اقلامنا الا على اثار قلمه وبنانه * وهل اغترفنا الا من بحره * وهل نطقنا الا بنظمه ونثره * وهل على الارض عار ان تطلب سقيا السماء * وهل بالفقراء نقص ان يأخذوا صدقات الاغنياء * وهل يعاب النهر ان يستمد من البحر * وهل يضع من الساري ان يستنير من البدر * لا بل كتابي عن سلامة الا من مباينة الجمال * ومن عشرة الجمال * على ان الجمال جمل وهو ينطق بلسان * وتشبه خلقته خلقة الانسان * لا بل كتابي عن سلامة الا من شبعي من كل حضرة بعد تلك الحضرة البهية * ومن كل نفس بعد تلك النفس الزكية * فاني منذ لقيتها وزنت العالم باخف صنجه * وقومت الدنيا باوكس قيمة * على اني ما خرجت منها الا طريد حياء * ووقيذ عطاء * وفدت على الوزير ابن عباد وحقيبتي مملوة رجاء * وصدرت عني وهي مملوة مدحا وثناء * ولقد غاص في معناي على دقائق من الكرم اخترعها * ونوادر من الجود ابتدعها * لو كانت ابياتا لكانت اوابد * ولو كانت قصائد لكانت قلائد * ولو كانت الوانا لكانت غررا * ولو كانت حليا لكانت دررا * فلما رأيت ان لا ازداد في صنائعه طبقة * ولا ارتقي في نعمه درجة * الا ازددت عنها تبلدا * وبحقها تقاعدا * هربت لاكون اوحد في الهزيمة من الجميل * كما انه اوحد في بذل الجزيل * ولا غرب في الهرب على الشعراء * كما اغرب في العطاء على الرؤساء * وليجمع بيننا ظاهر اسم الاختراع وفحواه * وان فرقت بيننا حقيقته ومعناه * خلفت على القاضي من دقائق اشغالي ما اذا تفكرت فيه قرعت له سني * وتعجبت

منه ومنى * ورأيتنى قد ابتذلت الكبير للصغير * ونطت الحقير بالخطير * ولكن الكريم اذ رأى المكارم لم يجل عن دقيقها * ولم يدق عن جليلها * وقد يتواضع الاسد لصيد الارنب * وافتراس الثعلب * وان كان يفترس الفيل * ويصطاد الزنديل * فاما انا فانى اخترت لغرس مودتى من تزكو تربته * وتحمد صحبته * وانزلت حاجتى بمن داره مفيض حوائج الاحرار * وبابه مثابة الشكر من الاقطار * ومن نظر الى ندماء الوزير واصحابه * والى حجابه وكتابه * علم انه لم يلقطهم الا برائد الفراسة * ولم يغص عليهم الا بمعونة من التوفيق والهداية * وانه طالع ما وراء العواقب * بمرآة من التجارب * وانه الرجل اذا قدح بانطن اثقب * واذا ولد بازجاء انجب * واذا نظر الى الناس عرف النقاية فانتقاها * والنفاية فانتفاها * وعلى هذه الجملة كان اختيار القاضى فصادف صنعه مصطنعا * ووافق بدره مزدرعا * ووقع الجميل منه موقعا * ليت القاضى لا يقول هذه الحاج لا تساوى كل هذا الملق * وكل هذا السجع الملفق * فانى لم يبق فى قلبى سجعة الا نشرتها * ولا فى لسانى فضلة الا احضرتها * والسلام

وكتب الى صاحب ديوان الحضرة

كان صدر عنى الى حضرة الشيخ كتاب انشأه الشوق اليه * وكثرة التلهف عليه * وكتبته يد الحمد والشكر * واملاه لسان الحديث والذكر * وعزيز على انى فى هذا الفصل الذى هو شباب الزمان * ومقدمة الورد والريحان * غائب عن مجلسه الذى حضوره شرف دهر * واستئناف عمر * ورفعة قدر * لا بل عن وجهه الذى اذا لقيته لقيت به السعد طالعا * والنجح مطالعا * وفارقته ففارقت شخص البركة واليمن * وهيكل الاحسان والحسن * والدهر غريمى فى استئناف تلك الحالة القديمة * ومراجعة تلك الحضرة الكريمة * وانا اراجع * فهل الشيخ مراجع * وانا تائب * فهل رضى الشيخ الى آئب * وسائق اليه ربقتى * واوقف عليه طاعتى

طاعتى * فان صفح فطالما انكسرت المودة ثم انجبرت * واقبلت الاحوال بعد ما ادبرت * وطالما تقدم عتاب وتأخر اعتاب * وطالما زجى الساعى بالضرب فخاب * ورمى بين الاحرار سهمه فما اصاب * وطالما كان قليل الهفوة * ويسير النبوة وعارض الجفوة * سببا لحميد الرضى * وكريم العتبى * وكثير الرجى * لا بل الصلة خلف القطيعة ابقى * والمودة بعد النفرة اخلص وابقى * لان العتاب قد صفى ماءها * وجلا اقذاءها * وابرز عن غش مفسديها * ودل على كذب من سعى بالنمائم فيها * وان دام الشيخ على حقده * ولم ينحل عن عقده * لم يجدنى بحمد الله كاسد الشعر * رخيص المهر * قوى الجزع ضعيف الصبر * ولم اسقط عليه سقوط الذباب فى القدر * وانما الادب سلعة تنفق على الكرام والشيخ منهم * وتكسد على اللئام وهو بنجوة عنهم * ولقد خصنى من بين الازمان زمن لئيم * ووقع فى قسمى من البخوت بخت ذميم * حيث صرت الزم خراجا التزم بنو المدبر اضعافه للبحترى * واضايق فى ضيعة وهب امثالها محمد بن الهيثم الغنوى لابى تمام الطائى * حيث قال البحترى

ولم لا اغالى بالضياع وقد دنا * على مداها واستقام اعوجاجها
اذا كان لى تربيعها واغتلالها * وكان عليكم عشره وخراجها

وقال ابو تمام الطائى

فدع ذكر الضياع فبى شماس * اذا ذكرت وبى عنها نفار
ومالى ضيعة غير المطايا * وشعر لا يباع ولا يعار

فان كان اولئك رؤساء فليس رؤساؤنا برؤساء * وان كان هؤلاء شعراء فلسنا نحن شعراء * وقد عرف الشيخ انى لا اقيم على الخسف * ولا احل الا خطة النصف * فان رأى ان لا يفجع خراسان بلسانها * ولا يخليها من سيفها وسنانها * فعل

وله رحمه الله تعالى

ورد على كتاب من ورائى * من اسرتى ووكلائى * يذكرون فيه ان الشيخ

قد ترك لهم خراج هذه السنة * وكفر عن تلك السيئة بهذه الحسنة * ومثله من عقب الفساد بالصلاح * وعفى بالمراهم على اثار الجراح * وانا اعلم ان ما كان منه من الاولى كانت نادرة وفلتة * وان ما كان منه من الاخرى كانت قصدا وعمدا وفطرة * فان الكريم اذا اساء فعن خطية * واذا احسن فعن عمد و نية * و الحر اذا جرح اسا * واذا خرق رفا * واذا ضر من جانب * نفع من جانب * و ان يكن الفعل الذى ساء واحدا * فافعاله اللاتى سررن الوف * و الله تعالى يطيل بقاء الشيخ لممتحن يخلصه * و لفاضل يستخلصه * ولعارفة يسديها * وصنيعة يوليها * ورغبة يعطيها * ومعال يوشيها * وكريمة يجليها * ومهمة يكفيها * وملمة يداويها * و ايام كايامنا هذه يداريها * ودولة سامية يليها * وجنية من جنيات الكرم يجنيها * ومسعاة من مساعى الشرف يبنيها * وذخيرة من ذخائر الشكر يقتنيها * وغاية من غايات الفضل يحتويها * ومسبق اليها اهاليها * وصفوة من المعالى يصطفيها * وحسنة يرغب فيها * وفى ذويها * اسأل الله تعالى ان يعينني على شكره * و ان يزيدنى من بره *

﴿ وكتب الى الوزير ابن عباد لما فارقه ومر باصفهان وتوفيت ﴾

﴿ اخت الوزير ﴾

كتابى اطال الله بقاء الوزير من حضرته الى حضرته * و من مستقر عزه الى مستقر عزه * فانا بما تبعنى من عنايته * وشيعنى من عساكر حياطته ورعايته * ونسبت اليه من خدمته * ولاح على صفحات احوالى من مواسم نعمته * صالح الحال * بل ناعم البال * راض من الايام و الليال * والحمد لله ذى الجلال * وصلى الله على محمد وآله خير آل * قد كنت احسب ايد الله تعالى الوزير انى اتوصل الى بره * واكرع من بحره * و ارد شريعة نواله * واضرب عطنى بين جاهه وماله * اذا وردت حضرته البهية * وطالعت طلعته الزكية * فاذا فارقتها انحسمت على مواد المواهب * ولم تصافحنى ايدى
الرغبات

الرغبات و الرغائب * فاذا انا بنعمته يشيعنى غائبا * كما تتلقانى حاضرا * وتمشى على عقبى ظاعنا * كما تنزل ربعى قاطنا * كالغيث يستقبل الطالب * ويتبع الهارب وكالشمس تطلع على المسافر * طلوعها على الحاضر * و ذلك انى وردت هذه الناحية المغمورة ببركات نعمته * المكنوفة بافضاله و فضله * فرأيت بها من غرائب الاكرام والاعظام * ومن دقائق الافضال و الانعام * ما ترك مطايا الشكر محسورة مبهورة * وجعل ايدى التعديد قاصرة مقصورة * وقدمت من خليفته فلان على رجل عجن من طينة الحرية * وضرب فى قالب الفتوة و الانسانية * و سخرت له المكارم يضرب فيها بسهام الاقتدار * و يصرفها على حكم الاختيار * اوله ثناء جميل * وآخره عطاء جزيل * وفيما بينهما ترحيب وتأهيل * وتعظيم وتبجيل * بر حتى سر * وعظم حتى افحم * و افضل حتى اخجل * وتركنى اتردد بين محاسن قوله وافعاله * واجيل طرفى بين طرفى تنزيله وانزاله * واذكر به اخلاق الوزير التى ما رأيت كريما الا ذكرنيها لاستيفائه منها * ولا لئيما الا مثلها لى لتخليه عنها * يذكرنيه كل خير رأيته وشر * فما انفك منه على ذكر * وكيف اتعجب من علق الوزير اتخذه * ومن سيف بنانه شحذه * ومن جواد هو ضمرة للرهان * ومن حر هو علمه نسخة الحسن والاحسان * ومن تلميذ استفاد منه * وخريج صدر عنه * فهيهات ان السيوف على مقادير الاعضاء تفرى * وان الخيل على حسب فرسانها تجرى * وحق لنهر انشعب من بحر ان يكون غزيرا * والنجم استضاء من بدر ان يكون منيرا * على انه بالآباء تقتدى الاولاد * وعلى اعراقها تجرى الجياد

و السيف ما لم يلف فيه صيقل * من سنخه لم ينتفع بصقال

و قد ذكرنى ما رأيته قول من سئل عن ابى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية رضى الله تعالى عنهم فقال له السائل انى لم استكثر منه فصفه لى فقال انظر الى اثره على واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد فاذا اقول فى جر هذا شرره * و فى سيف هذا اثره * وفى كريم هذا نتائج سؤدده * وآثار يده * فسبحان

من جعل نعم الوزير تكنفني في الحضور والغيبة * وتحيط بي من الجوانب الستة * فاذا حضرته طالعني * واذا فارقته تبعني *

فني كل نجد في البلاد وغائر * مواهب ليست منه وهي مواهبه

المصيبة التي قرعت صفاة الوزير في المتوفاة زكى الله عملها * وحقق في مغفرته املها * وان كانت نالت كلا من خدمه * ومتحملي اعباء نعمه * بالغم الذي لا تنجلي كربته * والجرح الذي لا تؤسى ضربته * وخصني من بينهم بالنصيب الاوفر * والقسم الاكثر * فاني اغار لجنبة الوزير من ذكر النساء اولا * واتطير لنعمته ان تتحلاها التعازي والمراثي ثانيا * وآنف له من ان اقيمه مقام من يوعظ وينبه ثالثا * والا فالقريحة بحمد الله تعالى متدفقة والخواطر مجيبة * والشعر ليس بعازب * والشيطان ليس بغائب * والطريق الذي نهجه الوزير لنا في الادب عامر ومسلوك لا متروك وقد كان ابو الطيب عزى سيف الدولة عن اخت له فقال

يعلمن حين تحيى حسن مبسمها * وليس يعلم الا الله بالشنب

ولو عزاني انسان عن اخت لي بمثل هذا لالحقته بها * وضربت رقبته على قبرها * ولا مجال للهم والغم بين عزاء الوزير وبهائه * ولا مرتع للبكاء والفجعة بين بقاء النعمة عليه وبقائه * وانا اكتب للزمان سجلا بانه اذا تخطأ فناه * واخطأت حوادثه حوباه * فسائر ما يأتيه صغير محتقر * ومنسي مغتفر * وباطل وهدر * وسيرد على الوزير شعر غلامه ليعلم انه لم يجهل مقتضى النعمة * ولم يخلد الى الغيبة * ولم يدخر شعره * ولم يخبئ بعد عروس عطره * ووالله ما انصفنا ولي نعمتنا * ومالك رقنا * وجالب رزقنا * فيما نشاركه في نعمائه * ولا نشاركه في بكائه * ونساهمه في احوال الرخاء * ولا نقاسمه احوال البلاء * ولا نساعده على البكاء * ونتحمل اعباء منته * ولا نتحمل اعباء محنته * قضية والله سدمية * وسنة حدوية * لا زالت الحوادث عن فنائه ناكبة * والخطوب عن نفسه وانفس اعزته عازبة * وصروف الايام عن مستقر عزه مصروفة * والحاظها دون تطرف نعمته مطروفة

مطروفة * ولا زال يتعرف من الله تعالى صنعا يزكو طريفه على تليده * ويقع عتيقه وراء جديده * وارانا الله جماعة اوليائه فيه * ما تضيق ساحة رجائنا عن بغيته * ويأتي على صالح دعائنا برحمته * فلان خادم الوزير قد وقف على نفسه صانها الله * وماله ثمره الله * وقلدني نعمة صارت الى نعم الوزير مضافة اذ كان في طريقه ذهب * وعلى قالبه ضرب * وكأن خدم الوزير كثرهم الله في تشابه افعالهم * وتكافؤ احوالهم * حلقة مفرغة * لا يدرى ما طرفاها * وسبيكة ذهب لا يعلم اسفلها افضل ام اعلاها * وكلما فقدت منهم درهما وجدت دينارا * وكلما فقدت دينارا وجدت قنطارا * والوزير اوسع لمكافاة خدمه * فانما يتقارضون من فضلات ما عندهم ماء نعمه * ويعير بعضهم بعضا ما يتقلب فيه من بقايا مواهبه وقسمه * ثم مرجع الشكر بعد هذا اليه * ومدار الاحسان والاستحسان عليه * وما عسى اقول في مدح الوزير ونعمه * الا ان استعير لسان طفيل الغنوي فاقول

جزى الله عنا جعفرا حين ازلقت * بنا نعلنا في الواطئين فزلت
ابوا ان يملونا ولو ان امنا * تلاقي الذي يلقون منا لملت

وكتب ايضا الى بندار نيسابور من الري لما رجعت الوزارة الى الوزير ابن عباد وعفا عن ندماء ابن العميد

كتابي اطال الله بقاء سيدي من حضرة الوزير عن سلامة بسلامته مشتبكة * وحال بجميع احواله متمسكة * والحمد لله تعالى على النعمة عليه اولا * وعلينا به آخرا * وقد صدر كتابي الى سيدي مشحونا بجد رجوت انه يعجبه * وهزل لم اشك انه يطربه * والجد في غير وقته كثافة * كما ان الهزل في غير موضعه سخافة * وخير الكلام ما انتزع من ضده الى ضده * ورتع بين هزله وجده * واستوفى صفة القائل رحمه الله تعالى « وكلام كأنه قطع الروض وفيه الصفرآء والحمرآء » وردت ايد الله سيدي من حضرة الوزير على رجل زادته الرفعة تواضعا * والصيانة تبذلا * حتى

كأن الايام كتبت له وثيقة بان يستبقى جيل عهدها بجميل عهده * ويستديم جزيل رفدها بجزيل رفده * وكأن صروف الدهر شارطته انها لا تفى له حتى يفى لاخوانه * ولا توافقه حتى يخالف اهل زمانه * وما ظن سيدى برجل نفذ توقيعه فى البر والبحر * وجاز حكمه فى اهل نجد والغور * وخدمه اعيان العرب والعجم * وقبل يده ملوك الجيل والديلم * وصارت لحظة منه تغنى * ولفظة منه تفنى * وسطر من سطوره يحيى املا * ويقرب اجلا * وخلوة من خلواته تزيل نقما * وتحل نعما * وهو مع ذلك بين سكر الدولة وسكر الشبيبة * ثم هو بعد هذا كله على عهده القديم تواضعا وتقربا * وعلى سجيته المعروفة المألوفة ترددا وتحببا * يصل ببشره * قبل ان يصل ببره * ويحيى القلوب بلقائه * قبل ان يميت الفقر بعطائه * اكرم الناس عليه * اكثرهم حوائج اليه * وابعدهم منه * اشدهم انقباضا عنه * حتى كأن الله تعالى لم يبلغه ما بلغه * ولم يسبغ عليه ما اسبغه * الا ليكذب الفرزدق فى قوله

قل لنصر والمرء فى دولة السلطان اعمى ما دام يدعى اميرا

فاذا زالت الولاية عنه * واستوى بالرجال عاد بصيرا

وليصدق زيادة الاعجم فى قوله

فتى زاده السلطان فى الحمد رغبة * اذا غير السلطان كل خليل

وانا من بين الجماعة قد خضت به بحر الغنى * وركضت به فى ميدان المنى * ورأيت يقظان * ما لم اكن احتلم به وسنان * وزفت لى الايام بمشاهدته من ابكار النعم ما اتقاعد عن نشره * واصغر عن قدره * ولست اسمح من البياض بالمقدار الذى يسع تفصيل هذه الرغائب * ويستوى فى اقسام هذه المواهب * ولكنى اقتصر بالمكاتبة على الجملة * واكل التفصيل الى المشاهدة * فلسان العيان * انطق من لسان البيان * وشاهد الاحوال * اعدل من شاهد الاقوال * وسيكون الالتقاء قريبا فان الشاعر اذا استغنى حن الى اهله * ورجع الى اصله * واحب ان يرى عليه عنوان اليسار * ويجلو نفسه على عدوه وصديقه فى معرض الاستظهار * ويعلم الناس انه زرع رجاء * فحصد عطاء

عطاء * واسلف من الكلام عرضا زاهقا * فاخذ من المال جوهرا نافقا * وفرح الشاعر اذا قبل شعره * ونفق سعره * كفرح التاجر * صاحب الجواهر * اذا اشتريت يتيمته * والشيخ ابى البنت اذا خطبت كريمته * وجدت فلانا وفلانا ندماء ابن العميد رحمه الله وقد البسهم الخذلان ثيابه * ونفض عليهم الادبار ترابه * ونبذهم الاقبال ووراء ظهره * ونظر اليهم الزمان بمؤخر عينه * فهم ارخص من التمر بكرمان * واضيع من الورد فى شهر رمضان * واثقل من الفرو فى حزيران * واكسد من ابى بكر الخوارزمى بخراسان * وكذلك تكون مصارع البغى والعدوان * وحقائد البهت والبهتان * ولقد جلسوا على قارعة الامصار * واعترضوا يد التحكم والاقتدار * واستهدفوا اسهام الايام والاقدار * لولا ان امورهم افضت الى رجل عليه من التوحيد والعدل مانع * ولديه من الحلم والحياء وسيلة وشافع * هذا وقد ولغوا فى دمه * ورتعوا فى لحمه * وخبوا واعنقوا فى ذمه * بل فى شتمه * فلم يبقوا فى القوس منزعا * ولم يتركوا للصلح موضعا * فلما دفع الاقبال ربقتهم اليه * وصارت حياتهم وموتهم فى يديه * اسبل عليهم ستر العفو والمغفرة * واسبغ فيهم حكم الصفح بعد المقدرة * وقلم عنهم اظافير الحدثان * وقام دونهم فى وجه الزمان * وما قتلهم الا يوم احياهم * ولا افناهم الا حيث استبقاهم * ولو كانوا يرجعون الى نفس مرة * والى اعراق حرة * لكانوا الى النظر لعين الشمس اقوى عينا من النظر الى طلعته * ولكان المقام فى القفر بل فى القبر اهون عليهم من المقام فى حضرته * ولئن غرهم الكرم والتكرم وطردهم الحياء والتندم * فلعن الله تعالى من لا يعرف الالم الا فى جسمه * ولا النقصان الا فى ماله * ومن لا يقتله العفو ولا يأسره الانطلاق ومن لا يعد الا حفظ اللغة والاعراب * ورواية اشعار الاعراب * هذا جسم الادب فاين روحه * وقشر الفهم فاين لبه * ولو كانت المروءة رجلا لكان كريم الطرفين * شريف الجانبين * مهذب العرق * حسن الخلق والخلق * ولو

كانت المروءة امرأة لكانت غضيضة الطرف * ناصعة الظرف * وفية جميلة العشرة للاهل ولو كان كفران النعمة طعاما لكان قذرا و وضرا * او شرابا لكان عكرا كدرا * ولكن كل انسان ينمى الى عرق اوليه * وكل اناء يرشح بما فيه * وما اذكر المتوفى رحمه الله تعالى الا بخير * ولا اقابل نعمه الا بشكر ولكني احب لرئيس مثله ان يختار ندماءه * وان يشترط على المحاسن جلساءه * وان يكون اختصاصه لهم من حيث شرائط الاختصاص والاكرام * لا من حيث حظوظ الجدود والاقسام * وان يكون افضاله عليهم * على مقدار ما يجده من الفضل اليهم * ليكون قد اصاب بعارفته مظنة الاستحقاق * ولم يلقها على طريق الاتفاق * وليكون قد ارتاد فاحسن الارتياد * وانتقد فلم يظلم الانتقاد * فاما ان تكون الندماء يتقربون الى الملوك بهتك الاسرار من الاستار * ويأكلون خبزهم بلحوم الاحرار * فذلك مما يضيق عنه مسلك الحرية * وينطق بحضرته لسان الانسانية * ولقد كشفت الايام من حلم هذا الصدر عن غاية لم تطمح اليها عين * ولم تقرع بها اذن * ولم يعثر بها ظن * فصارت صلاته من الاجال * كصلاته من الاموال * وتصدق بعرضه على اعدائه * كما تصدق باموال على اوليائه * ليكون الجود متكافئ الطرفين * والسؤدد متعادل الوصفين * ولئلا يبقى فى الكريم غاية الا انتهى اليها * ولا للمدح جليلة ولا دقيقة الا غاص عليها * فلان قد ابطأ على * فليت شعرى الريح قلعته * ام الارض ابتلعته * ام الافعى نهشته * ام السباع افترسته * ام الغول اغوته * ام الشياطين استهوته * ام اصابته بائقة * ام احرقته صاعقة * ام رفسته الجمال * ام اغتالته الاغوال * انتكس على ظهر جمل * ام تدحرج من رأس جبل * ام وقع فى بئر * ام انهار عليه جرف شفير * ام جفت يداه * ام قعدت رجلاه * ام ضربه الجذام * ام اصابه البرسام * ام جش غلاما فقتله الغلام * ام تاه فى البر * ام أغرق فى البحر * ام مات من الحر * ام سال به سيل زاعب * ام وقع فيه سهم من سهام الآجال صائب * ام عمل عمل لوط فارسلت عليه حجارة من طين منضود * مسومة عند ربك وما هو من الظالمين ببعيد * وكأني به وقد سمع هذا الفصل فغضب على

على * وشتم طرفى * وما اردت بما قلته غير الشفقة * ولا نطقت الا بلسان المقة * وانما اتبعت فيه السنة * فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة * وهذه مزحة خفيفة * وان كانت ثقيلة عليه * وظريفة وان كانت سخيفة لديه * ومحببة الى سامعها وان كانت بغيضة اليه * وقد اعتذرت والعذر وان قل * دواء كل ذنب وان جل * والسلام

﴿ وله الى بعض حكام الرساتيق لما رجع الى نيسابور ﴾

كتبت وقد اذن الدهر بالعتبى بعد العتب * وبالصلح بعد الحرب * ورد الله تعالى على من الاقبال * ما كان غصبنيه البخت الغاشم * والحظ الغادر * ورد كيد الساعى فى نحره * وردد غصته فى صدره * والحمد لله تعالى على انعامه علينا بما ليس له عندنا شكر * ودفعه عنا ما ليس لنا عليه صبر * فما اعظم النعم على غير الشاكر * وما اعجب زوال المحنة عمن ليس بصابر * ذكر سيدى حال تلك الضيعة الضائعة * التى اول عهدى بها آخر عهدى بالوجه المصون * والعرض المخزون والخطب ايد الله تعالى سيدى فى تلك الضيعة جليل * والحديث فيها طويل * لا اسع له حتى اعقد لعجائبها حسابا * واصنف فيه كتابا * واستأجر لتفصيل ذلك وشرحه كتابا * يرتبونه بابا بابا * ويجعلون له رؤوسا واذنابا * هذا بعد ان اشترى كاغد سمرقند كله * وابرى قصب الدنيا دقه وجله * ويكون مدادى ماء البحر * وعمرى عمر النسر بل الدهر * وماظن سيدى بضيعة الزمتنى الجزية بعد ان كنت الزمها الصغير والكبير * واستأديها الرعية والامير * واخرجتنى من عز السلاطين الى ذل الدهاقين * وجمعت على فتون الاغنياء وغم المساكين * وشغلنى صداعها عن اشغال الدنيا والدين * يستغل الناس الغلة * وانا استغل القلة والذلة * ويزرعون فى الارض حبا * فيحصدون حبوبا * وانا ازرع فى قلبى كربا * واحصد كروبا * وقد صرت من اجلها اخدم قوما كنت استخدمهم * واسلم على اناس كنت اذا كلمونى لا اكلمهم * ويحجبنى من لو حضر

بابى من قبل حجبته ويعرض عنى من لو سألنى فيما مضى ما اجبته * قد كنت ابغض الهوان اذا مر ببابى * فاليوم قد ادخلته دارى و بين ثيابى * و الى من يشكو المفعول به و هو الفاعل * و من يطلب بالقتيل و هو القاتل * والسلام

﴿ وكتب اليه ايضا ﴾

كان الحاكم قدم فى امر ضياعى وانا حاضر ما قوى حسن ظنى به و انا غائب وحفظ الصديق حاضرا ود * وحفظه غائبا عهد * ومن احسن مشاهدة فقد حفظ الاخاء * ومن حفظ على ظهر الغيب فقد رعى الوفاء * فلما غبت عن الناحية اصابت تلك الناحية عين الغير * ودب الى الحاكم حوادث البشر * ووقع فى تلك الضيعة من الصنيعة * وفى تلك الغلة من القلة * ما بغض الى المال * وحبب الى الفقر والاختلال * وتركنى كلما سمعت بذكر ضيعة قرأت المعوذتين * وانهزمت فرسخين * واقت ديدبانين على مرقبين * وانما يكره الفقر لما فيه من الهوان * ويستحب الغنى لما فيه من الصوان * فاذا نبغ الغم من تربة الغنى فالغنى هو الفقر * واليسر هو العسر * لا بل الفقر على هذه الصفة والحالة والقضية اجمل من الغنى حالا * واقل منه اشتغالا * لان الفقير خفيف الظهر من كل حق * منفك الرقبة من كل رق * لا يلزمه اداء الزكاة * ولا تتوجه اليه غوائل النائبات * ولا يستبطئه اخوانه * ولا تطمع فيه جيرانه * ولا ينتظر فى الفطر صدقته * ولا فى النحر اضحيته * ولا فى شهر رمضان مائدته * ولا فى الربيع باكورته * ولا فى الخريف فاكهته * ولا فى وقت الغلة شعيره وبره * ولا فى وقت الجباية خراجه وعشره * فانما هو مسجد يحمل اليه * ولا يحمل عليه * وعلوى يؤخذ بيديه ولا يؤخذ من يديه * يتجنبه الشرطى بالنهار * ويتوقاه العسس بالليل وفى الاسحار * فهو اما غانم او سالم والغنى انما هو كالغنم غنيمة كل يد سالبه * وصيد كل نفس طالبه * وطبق موضوع على شارعة النوائب * ومنصوب على مدرجة المطالب * تطمع فيه الاخوان * ويأخذ منه السلطان * ويتطرق اليه الحدثان * ويتحيف ماله النقصان * فاذا كانت حاله

حاله حالى فوقع عليه اسم الاغنياء * واصابه من الضرر ما يلحق بالفقراء * فقد نظم له بين المحنتين * وخرج عليه الزمان من كمينين * لان حقوق الاغنياء ترهقه من جانب * وتبذل الفقراء ومهاناتهم تلحقه من جوانب * فلا هو غنى فيتسلى بوفره * ولا هو فقير فيستريح الى فقره * فهو كمؤدى الخراج وليس له غلة * وكالراهب المعذب نفسه بالعبادة والخلوة وليست له ملة * فقد جمع المشقة والمضرة الحاضرة * وخسر الدنيا والآخرة * ولولا ان تضييع المال * ضرب من العجز والاخلال * وخصلة من خصال النساء لا الرجال * لكنت اترك تلك الضيعة نسيا منسيا * واجعل حديثها بساطا مطويا * ولكنى لا اغبن عن الصغير * كما لا ابخل بالكبير * ولا اغالط فى القليل من حيث لا اضايق فى الجليل * ولقد كسدت بخراسان لانى بها موجود والموجود مملول * كما ان المعدوم مسئول * وما ارخص الماء اذا وجد * واغلاه اذا فقد * وربما غلا الشئ الرخيص والله تعالى اسأل ان يهب ريح الكرم * ويطلع نجم الهمم * ويجلو عن خلقه صدأ هذه الاخلاق والشيم * بمنه وكرمه *

﴿ وله الى فقيه بلاد قومس وقد ورد عليه ابنه للقراءة ﴾

ورد على كتاب الفقيه بعد نزاع كان اليه * وحرص كان عليه * وبعد ان اقترحته على الدهر * وخلعت فيه ربقة العزاء والصبر * ولم ادر بايهما انا اشد سرورا ابالكتاب وهو ايسر واصل * ام بحامله وهو اجل حامل * فلان ولدى قد اقتطعت له من فراغى فلذة على انى لو درسته حتى تحفى الاقلام * ويفنى الكلام * وتحصر الافهام والاوهام * ثم لقمته العلم لقمة * وسبكت له الادب فقرة * والهمته جوامع الكلم وافرغت فى خاطره اداب العرب والعجم * وخرجت له من حد الافهام * الى حد الالهام * لكنت فيه عن قضاء حق من حقوق الفقيه قاصرا * ولكان وقوعى دون ادنى مواجبه على ظاهرا * ولكن الاقرار عذر قوى * كما ان الانكار ذنب طوى * وقدكان هذا الولد اديبا مجملا *

فصار بحمد الله تعالى اديبا مفضلا * وكان اغر فصار اغر محجلا * وارجو ان الله تعالى يحيى به مآثر سلفه الصالحين * ويعلى به منازل آبائه الاولين * وان يكون اولهم علما وادبا * وان كان آخرهم ميلادا ونسبا *

وله الى خلف بن احمد

ورد كتاب الامير متضمنا المواعظ التى تفلق الصخر * والحكم التى تشرح الصدر * يأمرنى فيه التأدب بادب الله تعالى والتنجز لموعوده ويشير على بان اتدرع درعا من التماسك * ترد عنى داعية التهالك * وفهمته ولعمرى ان الرزيئة بفلان رحمه الله تعالى وان كانت عظيمة تنسى العظائم * وتوهى العزائم * فان عظة الامير مما يهون الخطب * ويكشف الكرب * ويداوى القلب ولقد ضربنى الزمان بحد حسامه * ورمانى بانفذ سهامه * فان اجر على سبيلى الاولى فى الجزع * وادرع داعية الوجد والهلع * فلعظم خطب الرزية * ولثقل وطأة البلية * ونفوذ السهام النبلية * ولئن استسلمت للقضاء * واستقبلت قبلة الصبر والعزاء * فلبلاغة العظة * وللزوم الحجة * ولما وفق الامير له من مداواة القرحة * ورد ضالة السلوة * على انى اوثر الآخرة على الاولى * واحمل التأسى على الاسى * لاكتسب بذلك من رضى الله تعالى فى الآجل ذخرا * ومن طاعة الامير فى العاجل فخرا * فاكون قد نسقت بين الطاعتين * واستوجبت بهما الثواب فى الدارين * ولاكون قد اصبت بمصيبة احاط بها اجران * وابتليت بعسر اكتنفه يسران * فاذا المحنة فرادا * واذا النعمة مثنى * والله تعالى يرحم الماضى رحمة تضئ قبره * وتحط وزره * وتضاعف اجره * وتلحقه بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وعترته * وبمواليه وشيعته * ليرتع معه فى روضه * ويشرب بيده من حوضه * وليحشر فى اعلام اهل دينه * ويعطى كتابه بيمينه * ويطيل عمر الامير حتى تصير خدمه من ابنائه * ويعز نصره حتى يكون خدمه وحشمه

وحشمه من اولاد اعدائه * ان رأى الامير فى هذه المخاطبة لفظة ينبو عن قبولها طبعه * ويتجافى عن استماعها سمعه * صرف ذلك الى دهش الروعة * وشغل القلب بالفجعة * على انا ان اصبنا فبدواته * وان اخطأنا فلهيبته *

وكتب الى ابى قاسم بن ابى الفرج كاتب ركن الدولة لما عزل

انا اهنئ الدنيا يوم عزلك * كما كنت عزيتها يوم ولايتك * فلئن عد اقبالك فى مثالبها * لقد ذكر ادبارك فى مناقبها * ولئن كانت عوتبت يوم رفعتك * لقد اعتبت يوم وضعتك * وانت والله الجليل يسر بفراقه * والخليل هنئ بطلاقه * ولقد كان معرض النعمة قبيحا عليك * مستغيثا من يديك * كأنك ابا القاسم لم تتول الا لتصديق الاول

وكل ولاية لابد يوما * مغيرة الصديق على الصديق

ولم تعزل الا لتترجم عن قول الآخر

ستعزل ان عزلت ولا يساوى * صنيعك فى صديقك نصف فلس

لا بل كأنك ما قلدت الا ليشتد غيظ الاحرار * ويقوى طمع الاشرار * ولتصل زيادة فى ذنوب الايام الى الكرام * وحجة عليها للئام * ولقد خالفت قول الحجاف

نحن الذين اذا علوا لم يفخروا * يوم الهياج وان علوا لم يضجروا

فلقد ظفرت فلم تضبط نفسك نشاطا * ونكبت فلم تملك استك ضراطا * فضقت عن احتمال الفرحة * كما عجزت عن احتمال الترحة * فلم توجد يوم سعدك شاكرا * ولا يوم نحسك صابرا * فالحمد لله الذى جعل امسك لنا عبرة ويومك لنا نعمة * ولا عدمنا فلكا دار بردك الى قيمتك * وصير حالتك فى وزان آلتك * فلا زلت بعدها غضيض الطرف * راغم الانف * صديقك يرحمك *

وعدوك يظلمك و يتهضمك * اقرب الناس اليك * اكثرهم بكاء عليك * وادناهم منك * اشدهم هربا عنك * والسلام على من قال آمين

﴿ وكتب الى ابى على البلعمى بعد ابيات استبطأ جوابها ﴾

قد حلت الى حضرة الشيخ اياتا عاتبته بها * بل اعتبته فيها * وهى عروس كسوتها القوافى * وحليتها المعانى * ولعمرى لقد زففتها الى كفوء كريم * وعرضتها من كرمه على قيم عظيم * فان كانت حظيت ورضيت فبالرفاء والبنين * مائة سنة على مئين * وان كانت الاخرى فقد يصبر الكريم على من لا يحبه * ولا يميل اليه قلبه * والعاقل اذا ابغض انصف * واذا احب الطف * وعلى كل حال ان وجد الشيخ حرة فليسق الى مهرها * وان لم تكن حرة فليوفر على خدرها * وليعلم اننى غريمه فيها * وخصمه عنها * والسلام

﴿ وكتب الى تلميذ له من فقهاء نيسابور لما هرب من محمد بن ابراهيم ﴾

قد كنت ايها الفقيه عزمت ان اواتر عليك كتبى * وانبئك فيها بخبرى * وافضى اليك بعجرى وبجرى * واستأمنك فى جل احوالى ودقها * وفى باطل اشغالى وحقها * ولكنى عورضت من المحن بما لم يترك لى قلبا يعقل * ولا بنانا يعمل * واقل ما لحقنى غضب الامير على وهذه حالة يفقد بها العقل * ويشيب لها الطفل * ويتوقع معها الموت بل القتل * ولقد نشبت بين اظفار الخوف * وعقلت بحبالة الحتف * فلا انا لما ورآى آمن * ولا لما امامى آمل وما كنت احسب انى انظر الى قبرى * قبل انقضاء عمرى * ولا انى ارى شخص ملك الموت فى حياتى * قبل ان يجئ وقت وفاتى * ولعمرى لقد رأى الحاسد ما كفاه وشفاه * واضحكه منى مثل ما ابكاه * فلئن كان وشى بى الواشى لقد ابلغ * ولئن كان قد تعنى فى افناء اجلى لقد افرغ * ولقد كنت ارجو ان يسعنى ما

ما يسع الاحمر والاسود * ويشملنى ما شمل الادنى والابعد * ولقد اعتذرت فان عذرت * فاليوم قبرت ثم نشرت * وان تكن الاخرى فهذه غدرة الا تكن نفعت * فان صاحبها قد تاه فى البلد فالى اين المهرب من الفلك الدوار * ومن القدر الجبار * ومن خطر الليل الذى هو مدركى * وان خلت ان المنتأى عنه واسع * ومن المجير من رجل الانام داخل تحت ملكه * والايام منخرطة فى سلكه * وهل الهارب من المجدود الا كالهارب اليه * وهل الصادر عنه الا كالوارد عليه ومن ذا يزاحم ركن الزمان * ومن ذا يبيت على وساد الثعبان * ومن ذا يرجو الدواء والموت داؤه * ويثق بالاصدقاء والايام اعداؤه * فلان قد احسن المحضر * وحارب عنى القضاء والقدر * وليس الكرم عن مثله ببديع * ولا الجميل من اهل بيته ببزيع * فانما يجرى على عرق جاذب * ويعمل على قياس واجب * وانى لاتلهف عليه تلهف آدم على الجنة * واحبه حب الصحابة للسنة * واشتاق اليه شوقه الى وجه سؤاله * واعشقه عشقه لبذل نواله * والسلام

﴿ وكتب الى ابى على البلعمى لما بلغ منه عتبه وخرج توقيعه بالتقريع واللوم ﴾

ذكر الشيخ انى تنقلت بعرضه المصون * وتبذلت بقدره المكنون المخزون * وقد كنت احسب الشيخ امنع على السعاة جانبا من ان يقرعوا صفاة حلمه * ويخترقوا باباطيلهم طريق عزمه وحزمه * ولقد هدم على الوشاة * حصنا كنت اعددته * وحلوا عقدا وثيقا كنت عقدته * وسلبونى علقا نفيسا اشتريته بنفسى لا بمالى * وحاربونى بعدة كنت احسبها انها لى * ولقد كنت ارى البعيد به قريبا منى واسرى فى الظلماء بضوء رضاه عنى *

فمن لى بالعين التى كنت مرة * الى بها فى سالف الدهر تنظر

وها انا هارب من نفسى فانها ان غضب الشيخ على * كانت اقرب اعدائى الى *

و متهم لاعضائى فانها عيونه وجواسيسه لدى * و من عاداه الشيخ حاربته نفسه * وزحف اليه نحسه * و صار خير يومه امسه

و لا وساد على سم الاساود لى * و لا قرار على زأر من الاسد

لعن الله من يفسد ذات البين * ويسعى بالنميمة بين المحبين * فلقد حارب بسلاح كليل الا انه قطع * و ضرب بعضد واهية الا انه اوجع * و انما النمائم من سلاح النساء * و من حصون الضعفاء

﴿ وكتب اليه لما طال عتابه وكثرت رقاعه اليه ﴾

او بغير الماء حلقى شرقا * كنت كالغصان بالماء اعتصارى

كيف يقدر ابقى الله الشيخ على الدواء * من لا يهتدى الى وجه الداء * و كيف يدارى اعداءه من لا يعرف الاصدقاء من الاعداء * وكيف يعالج علة القرحة العمياء * ام كيف يسرى بلا دليل فى الظلماء * ام يخرج الهارب من بين الارض و السماء * الكريم ايد الله تعالى الشيخ اذا قدر غفر و اذا اوثق اطلق * و اذا اسر اعتق * و لقد هربت من الشيخ اليه * و تسلحت بعفوه عليه * و القيت ربقة حياتى و مماتى بيديه * فليذقنى حلاوة رضاه عنى * كما اذاقنى مرارة انتقامه منى * و لتلح على حالى غرة عفوه * كما لاحت عليها مواسب غضبه و سطوه * و ليعلم ان الحر * كريم الظفر * اذا نال اقال * وان العبد لئيم الظفر اذا نال استطال * و ليغنم التجاوز عن عثرات الاحرار * و لينتهز فرص الاقدار * و ليحمد الله تعالى الذى اقامه مقام من يرجى و يخشى * و ركب نصابه فى رتبة شاب الزمان و مجدها فتى * و اخلق العالم و ذكرها طرى * فجعله فى الميلاد كريمها و سليلها * و فى الرتبة قدوتها و جليلها * وليعتقد انه قد هابه من استتر * ولم يذنب اليه من اعتذر * و ان من رد عليه عذره فقد خرج الى الشجاعة بعد الجبن * و اخرج ذنبه الى صحن اليقين من ستره الظن * وفق الله تعالى الشيخ

لما يحفظ عليه قلوب اوليائه * و عصمه بما يزيد به فى جماجم اعدائه * و ليس بين الموالاة والمعاداة الا لقية بشعه * او لفظة قذعه *

﴿ وكتب الى ابن سمكة القمى وقد اهدى اليه مع كتابه هدية ﴾

لما وردت الناحية تسالبونى تسالب الطرفة * وتهادونى تهادى الشمامة ووزنونى بمعيار الامتحان * و اجرونى فى ميدان الرجحان و النقصان * فوجدونى بحمد الله تعالى جوادا يجرى ما وجد مذهبا * و هزوا سيفا يقطع ما صادف مضربا * و لقد عاينوا رجلا هون عليهم من قبله * و بغض اليهم من بعده * و اجلت الغبرة عن المزور وهو حامد * وعن الزائر وهو شاكر * حملت الى سيدى كذا غير طامع فى قضاء حق من حقوقه على * و لا شق غبار حسنة من حسناته لدى و لو اهديت اليه تاج كسرى * و خراج الدنيا * و خاتم سليمان * و ذخيرة الهرمزان * و صدقة البصرة * و جوهر الشمسرة * و كسوة الكعبة * مع الدرة اليتيمة * مع جواهر الخلافة * نعم و لو اتحفته بمال قارون الاسرائيلى * و كنز النطف بن حبر التميمى * و ملك عمرو بن حريث المخزومى * و لو كسوته البردة النبوية * و اعطيته الشطرنج الكسروية * و لو غرست شجرة طوبى فى داره * و اجريت نهر الكوثر على بابه * و جعلت ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد فى قبضته * و لو قلت فيه ما قال حسان بن ثابت فى آل جفنة * ومدحته بما مدح به زهير هرم بن سنان بن ابى حارثه * و شهدت له بما شهدت به الخنساء لاخويها صخر و معوية * و صنفت فيه ما صنفه الجاحظ فى محاسن احمد بن ابى داود الايادى * و اغرقت اغراق الامامية فى المهدى * و فضلته تفضيل الشيعة للوصى عليه السلام و اعتقدت فيه اعتقاد النصارى فى المسيح اولا * و اعتقاد المانوية فى مانى ثانيا * و انقطعت اليه انقطاع الاخطل الى بنى مروان * و اعتذرت اليه فى تقصيرى عن مدحته اعتذار النابغة الى النعمان * ثم لم ادع بيتا نادرا * و لا مثلا سائرا * الا جعلته سلكا انظم به محاسنه * و قيدا اقيد به مناقبه * حتى افنى فى ذلك بياض سمرقند

واحق اقلام مصر و واسط واشغل فيه وراقى الكوفة و كتاب السواد فانهم منبع هذه الصنعة * ومعدن هذه الحرفة * لا بل لو تجردت لمدحه تجرد السيف الحميرى للطالبين * وتجرد هروان بن ابى حفصة للعباسيين * واتعبت فى ذلك الكرام الكاتبين * حتى تركتهم محسودين لاعبين * لما كنت الا مقصرا ولكنى اذا قررت عذرى * واقررت بتقصير سيرى * وقصور قدرى * فقد جاوزت عقب الاستزادة وسيدى اعلم بخفايا عقدى * واعرف بحاله عندى * والسلام

﴿ وكتب الى تلميذ له لما تخلص من يد محمد بن ابراهيم ﴾

كتابى وقد خرجت من البلاء * خروج السيف من الجلاء * وبروز البدر من الظلماء * وقد فارقتنى المحنة وهى مفارق لايشتاق اليه * وودعتنى وهى مودع لايبكى عليه * والحمد لله تعالى على محنة يجليها * ونعمة يذيلها ويوليها * كنت اتوقع امس كتاب الشيخ بالتسلية * واليوم بالتهنئة * فلم يكاتبنى فى ايام البرحاء بانها غمته * ولا فى ايام ازخاء بانها سرته * وقد اعتذرت عنه الى نفسى * وجادلت عنه قلبى * فقلت اما اخلاله بالاولى فلأنه شغله الاهتمام بها عن الكلام فيها * واما تغافله عن الاخرى * فلأنه احب ان يوفر على مرتبة السابق الى الابتدآء * ويقتصر بنفسه على محل الاقتدآء * لتكون نعم الله تعالى موقوفة من كل جهة * ومحفوفة من كل رتبة * فان كنت احسنت الاعتذار عن سيدى فليعرف لى حق الاحسان * وليكتب الى بالاستحسان وان كنت اسأت فليخبرنى بعذره * فانه اعرف منى بسره * وليرض منى بانى حاربت عنه قلبى * واعتذرت عن ذنبه حتى كأنه ذنبى * وقلت يا نفس اعذرى اخاك * وخذى منه ما اعطاك * فع اليوم غد * والعود احمد *

﴿ وكتب الى احمد بن شبيب ﴾

ورد كتاب صاحب الجيش مكتوبا بيد خلقت للسيف والقلم * بل خلقت لبذل الدينار

الدينار و الدرهم * بل خلقت لامساك العنان والعلم * بل خلقت للنعم والنقم * بل خلقت لجميع آداب العرب والعجم * فرويته لما رأيته * وحفظته لما لحظته * ولو انصفته لجعلت الفلك صحيفته * والدهر راويته * ولما اجلت فكرى فيه * واحطت علما بمعانيه * ورتعت بطرفى وخاطرى فى مقاطعه ومباديه * وتفكرت فى رتبة صاحب الجيش فى الرتب * وفى رتبة كتابه فى الكتب * انشدت

ولما رأيت الناس دون محله * تيقنت ان الناس للناس ناقد

ولو انصفت هذا الكتاب لما فرغت منه * الى الجواب عنه * ولكن بعض الاجوبة خدمه * كما ان بعض الابتدآآت نعمه *

﴿ وكتب اليه لما خرج من حبس محمد بن ابراهيم ﴾

كتبت ايد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الاهوال * خروج المشرفى من الصقال * لا بل خروج البدر من خلل السحاب * وحالى الآن بين الرجا والقناعة متماسكة والحمد لله * وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله * وعلى آله صفوة الله * وصل كتاب صاحب الجيش و افادنى من خبر سلامته ما غفرت له ذنوب الايام الى * وجناياته على * وفهمته فوجدت صاحب الجيش فى غضبه على * رقيق صفحة الاحتمال * قريب غور الصفح والاجمال * مضايقا من حيث تتوسع الكرام * مخالفا لما توجبه الاحلام * يفطن للذنب الخفى * ويتغاضى عن العذر الجلى * لا ينزل فى المكافاة الا على حكم الاعدآء * ولا يستقبل بالمعاملة الا قبلة الاستيفاء * ولا يعلم ان للعبيد على الموالى ذمة وان كان عليهم حق * وان للماليك من طريق العشرة احرار وان لزمهم رق * هذه حالة المملوك فكيف بالحر الذى يأخذ مثل ما اعطى * ويستوفى على قدر ما اوفى * و اما انا فانما ادللت على صاحب الجيش لاطرق له على الى الاحتمال * ولاوفر له نصيبه من الفضل والادلال * على انه يحمل التواضع على الكبر * ويميل مع المحاباة

على القدر * فاذا اخذ بنا فى طريق المؤاخذة * وعاشرنا على المكايلة والموازنة * فما له عندى الا السكوت حتى يرضى * والسكوت بعد الرضى حتى يرضى الدهر فانى اظن ان الدهر لا يرضى عن ذلى الا بقتلى * ولا يتوفر من اعناتى * الا عند وفاتى * وهلا حاربنى الدهر بسلاح غير صاحب الجيش فيعلم كيف قراعى للاقران * وكيف صبرى عند الضراب و الطعان * ولقد رمانى الادبار بسهم على انى لم البس له جنة * و لم اعد لوقعه عدة * فانى والله لست بالصبور على مس العتاب * ولا بالقلب على وحشة الاحباب * و لانى لست على هجرك جلد القوى و لا على عتبك شاكى السلاح ومن غرائب القضاء * و نوادر اخبار السماء * انى ما قرأت لصاحب الجيش كتابا اطول من هذا طولا * و لا اضفى منه ذيولا * فليت شعرى لم طول هذا التطويل * وجاء بهذا الكلام العريض الطويل * الا انه لم يشف قلبه الا بلوغ النهاية فى الشكاية ام لانه ما وضعنى تحت القلم الا درت على اخلاف كتابته * وانهارت قوافى اجراف خطابته * ام لانه اراد ان يعرفنى انه طويل امد العربدة * مديد نفس المذمة و المحمدة * اذا شاء قال * واذا قال اطال * واذا غضب كان عقابه جليلا * واذا رضى كان ثوابه جزيلا * ولم يبق لى الآن شئ اعلل به قلبى العليل * واداوى به همى الدخيل * الا فرحى بما اسمعه من خبر سلامته فى نفسه نفس الله تعالى مدتها * و فى اسبابها حرس الله تعالى جنبتها * ولقد رضيت بالقليل ونزلت على الريح الطفيف ولكن كل اللباس يلبس العريان * وكل الطعام يأكل الغرثان * واستغفر الله ليس لى سلامة صاحب الجيش بالطفيف * ولا تؤذن الموهبة فيه بالخفيف * ولكن خوفى غضبه قد حيرنى حتى سلبنى عقلى * وحتى صيرنى لا املك قياد قولى * وما اعتذر من هيبتى فى مثل هذا المقام الهائل * ولا الام على دهشتى لهذا الخطب النازل * و الشجاعة فى غير مكانها خرق * والجلادة على ما لا يقتضى الحال حمق *

* * *

وكتب الى كاتب خوارزمشاه وقد تخلص من المصادرة يشتكى اليه وزير صاحبه

قرأت كتاب الشيخ فكاد سرورى بسلامته * لا يفى بندامتى على مفارقته * وذكر الشيخ ما فتحه الله تعالى عليه من ابواب المنن * واغلقه عليه من ابواب المحن * فسبحان من اذا اغلق بابا * فتح ابوابا * واذا قطع سببا اوصل اسبابا * واذا بخل عباده فخزائنه مفتوحة * واذا قبضوا ايديهم بالرزق فيده مبسوطة * و انا الى الشيخ مشتاق شوقا لو قسم على القلوب لملأها صبوة * ولم يدع فيها سلوة * وما اشكر نفسى على ان تشتاق الى من لا ترى منه بديلا * ولا تجد الى السلو عنه سبيلا * و يحسب الشيخ ان طرفى بطرفه معقود * وان باب نسيانه وتناسيه على مسدود * و انى ان اصدرت كتابى اليه بالسلامة مع ان قلبى غير سليم من الالم * ولا صحيح من الوان السقم * فانما اريد بذلك التفاؤل للكتاب * واتباع رسوم الكتاب * فلان قد بلغنى اطنابه فى ذكرى * وتفضيله لى على ابناء عصرى * وهذا سلف اسلفنيه * وانا بمعونة الله تعالى اؤديه * وما ازن نفسى بالصنجة التى بها يزننى * ولا ازينها بالفضل الذى به يزيننى * فان كان كما قال فلعل الفضل دب الى * وخرج من الكمين على * لانى عاشرته فاعدانى فضلا * وهذبنى قولا وفعلا * وانا فى ذلك جنيبته ان قبلنى جنيبه * وخليفته ان قبلنى خليفه * ولقد اغرب ذلك الحر على اهل دهره * وخالف طريقة غيره * حين ذكرنا ونحن اصدقاء العسرة * واخوان الفترة * فلم يغيره السلطان * ولم يطغه الشيطان * ولقد شهد له وحده بانه كريم * ومن اللؤم واللوم سليم * على قضية قول ابى تمام

وان اولى البرايا ان تؤاسيه * عند السرور لمن آساك فى الحزن
ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وشهادة ابى تمام فى الكرم * تقوم مقام شهادة امة بل امم * ولئن كان خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين عند الانبياء والحكام * فان ابا تمام ذو الشهادتين

عند الاحرار والكرام * ولى على ذلك الولد حق الابوة * كما ان له على حق البنوة * والآباء ابوان ابو ولادة * وابو افادة * فالاول سبب الحياة الجسمانية والآخر سبب الحياة الروحانية * والسلام

﴿ وله الى وزير خوارزمشاه لما نكب ﴾

قد امتدت مدة هذا البلاء * واوهمتنا ان الدار دار البقاء * لا دار الفنا * وصار الخطب فيها سببا من اسباب سوء الظن بالانام * وداعية الى قلة الاستنامة الى الايام * ونصرة لفعال اللئام على الكرام * ولقد عجبت من ذلك الامير كيف استبدل العبيد بالاحرار * وكيف تحول من ظهر الفرس الى ظهر الحمار * كأنه لم يسمع فى الخبر * بدل الاعور * اريد بذلك قول الشاعر

الفيت مذ قلنا غداة اتيتنا * بدل لعمرك من يزيد الاعور

ولما سمعت ايد الله الشيخ بهذه النادرة التى تضحك الثكلى * وتترك العقول حيرى * قلت لا اله الا الله وما اعرف لها فائدة الا انها انطقت الناس بالتوحيد * وان كان على وجه التعجب لا على وجه التهليل والتحميد * اللهم اجعلنا ممن يتعجب اذا رأى العجائب * ويتغرب اذا سمع الغرائب * فانه اذا كثر العجب زال التعجب كما قيل

على انها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

فاما الآن فقد كان ما كان فانى ارى للشيخ ان يلبس للدهر ثوبا من الصبر ثخينا * ويولى حوادثه ركنا من التماسك ركينا * وان تجده الايام حرا * وان تصفيه الحوادث اذا اذاقته مرا * وان يدارى مع ذلك سلطانه * ويصغر بلسانه اساءته * ويكبر احشاءه ويروض لسانه فى الخلق على شكره * لئلا يجمع به فى الجلوة الى غيره * فانما ايام المحنة موج من تطأطأ له تخطاه * ومن وقف على طريقه ارداه * ومن قابل ايام الادبار بوجهه صدمته * ومن قاتل عساكر الاقبال فى ايام كرها هزمته * ومن طالب السلطان بالنصفة طلب

عسيرا

عسيرا * ومن حاسب على قليل من العتب لقى كثيرا * وآفة الناصح آلته * وعيب الكامل فى وقت المحنة دالته * لانه يطالب بثمن نصيحته * ويدل على صاحبه بكفايته * ويعتقد ان طول الخدمة * آكد حرمة * وان تأكد الحرمة عنده قرابة ولحمة * ولعمرى ان ذلك كذلك ولكن الغضب ينسى الحرمات * ويدفن الحسنات * ويخلق للبرى جنايات *

وان امير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

﴿ وكتب الى ابى محمد العلوى ﴾

لولا انى لا احب ان افتح كتابى الى السيد بعتاب * وان اكلفه الى تكلف حجة وجواب * اوجد سهامى فى الملام مسددة * وسيوفى فى التقريع محددة * وعلم انى اذا ضربت بلسانى لم تقم ضريبتى * واذا رميت لم تنج رميتى * ورد كتاب الشريف ايده الله تعالى وهو الكتاب الشريف كاتبا * السعيد حاملا * المغبوط ناسخا * المحسود راويا * وفيه الكلام الذى لا يبليه الزمان * ولا تمجه الآذان * وقد افرد السيد فيه كل واحد من اوليائه وشيعته بلطف وتناوله من البر والتحفى بطرف غيرى وما كنت اعلم انى سكيت الحلبة * ولا انى ساقة الكتيبة * ولا ان اسمى آخر الجريدة * ولعمرى ان شيعة السيد الكبار ولكنى لا اصغر عنهم وانهم لكثير ولكن مثلى لا يضيع فيهم واعوذ بالله تعالى من الكساد * فانه اخو الفساد * واستجيره من اكون محبا غير محبوب فان المحبة شجرة لا تثمر الا على عرقين * وسقف لا يبقى الا على عمادين * وصفقة لا تتم الا بيعتين * وان قوما انا صغيرهم لكبار * وان امة ابو ذر شرها لخيار * خرج السيد فخبا نجم العلم وافلت شمس الادب وانهدم ركن السحاب وفل سيف العطاء وغارت عين الاريحية * وانثلم جانب الانسانية * وانهزمت عساكر الكرم * واغبر وجه السيف والقلم * ونضب ماء الحياء * وركدت ريح البهاء * وخرب بنيان العقل * وتضعضع جبل التوحيد والعدل * واخلقت ثياب الافضال والفضل * وتهافت نظم القول والفعل * وذلك

جبل السخاء والبذل * وانشد كل من وجد من فقده * ونظر الى ثكل المكارم من بعده * ما حال من كان له واحد * يؤخذ منه ذلك الواحد * وانا من بين الجماعة كالواله الثكلى * وكالفاقد الحرى * اقلب طرفى لا ارى من احبه * وفى الدار من لا احب كثير * اذا نظرت الى عرصات المكارم والمجد خاليه * والى ربوع الفضل عافيه * والى سدة الشرف وقد خلا جنابها * واصطفقت ابوابها * انشدت

واصبح بطن مكة مقشعرا * كأن الارض ليس بها هشام

وقد رحل السيد الى حضرة رجل هو للكرام انشى نفسا * وللفضل امثل شخصا * اذا ناظره العربى صار اعجميا * واذا ناظره الاعجمى صار عربيا * واذا رآه المعجب بنفسه طلق كبره * وفارق فخره * فهو رفيق الجود وخليله * وزميل الكرم ونزيله * وغرة الدهر وتحجيله * حضرته حضرة الآجال والاموال * لا بل حضرة الاقوال والافعال * لا بل حضرة الرجال والكمال * تنصب اليها مواد الرغبات * وتنشد فيها خيول الطلبات * من تأمله علم ان الله تعالى فرق المحاسن على اهل كل زمان * وجمعها فى زماننا هذا فى انسان * فسبحان من اذا شاء خص بعض عباده بالفضل * ورفع بعض بلاده على بعض بالاهل * من غير ان يكون ظلم احدا او حابى احدا وصف عراقى خراسان فقال * نسوانها كرجالنا * ورجالها كجبالنا * ورايت انا اصفهان فقلت * صبيها كرجلنا * ورجلها ككهلنا * وكهلها كشيخنا * وشيخها كنبينا * ولم لا تخرج اهل تلك البلدة فى قالب الكمال * ولا يستوفون شرائط الرجال * ولا ينظمون فى طرفى القول والفعال * وهم يرون كل يوم واردا * ويشهدون وافدا * ويسمعون نغمه * ويطالعون نعمه * لان فيهم مثابة الجود * وقرارة الوفود * وكعبة الآمال * ومحط رحال الرجال * وهم يلتقون على باب الوزير مع كل كاتب وحاسب * ويجالسون فى سدته مع كل ناثر وشاعر * ولا يعدمهم ان ينظروا الى ذى صناعة معاشية او معادية * والى ذى آلة رياضية اوعقلية * فترق السنتهم وتصفو اذهانهم * وتنتزه ابصارهم * وتدق افكارهم * لاقتباسهم علم كل مكان * واستماعهم تبيان

تبيان كل لسان * ولترددهم بين اللغات المختلفة * وبين الاخلاق المتمايزة * فهم يبصرون ويستبصرون * ويرون فيروون * ويسمعون فيحفظون * واين بهم عن ذلك وهم يترددون فى مغيض العلم و الادب * وينزلون فى موسم العجم والعرب * وهذا الى ما يسمعونه من كلام الوزير الذى لو سمعته الوحش لانست * ولو خوطبت به الخرس لنطقت * او استدعيت به الطير لنزلت * ومن جالس صاحب صناعة حذقها * ومن طال استماعه الحكم نطقها ونعم المعلم الجوار * ونعم الرسول الاسماع و الابصار * كتاب كذا يجب ان يجعل المنع منه صوانه * و العين بل القلب مكانه * فان الغيرة على الكتب من المكارم * لا بل هى اخت الغيرة على المحارم * و البخل بالعلم على غير اهله * قضاء لحقه ومعرفة لفضله * وانى لاحسد على الورقة من لا احسده على البدرة * وانافس فى حرف اوحرفين * ما لا انافس فى دينار او الفين * واغار على الادب الكريم * من المتأدب اللئيم *

و ارثى له من موقف السوء عنده * كمرثيتى للطرف و العلج راكبه

ولوددت لو ان يكون الادب فى جبهة الاسد * ولو اصبحت الدفاتر فى انياب الاساود و وددت لو ان كتب ورقة بدينار * او كتب دفتر بقنطار * فلا يتأدب الا شجاع كمى * ولا يحرز الدفاتر الا جواد سخى * طولت على السيد واكثرت * وهذيت فيما حررت واضجرت * ولسان الهذر * ناطق بالضجر * والسلام

﴿ وكتب الى ابى العباس كاتب محمد بن ابراهيم وقد طلب منه نسخة رسائله ﴾

قد اسلفت الشيخ من شكرى * ما اوجب عليه صلاح امرى * و السفارة بينى وبين دهرى * و السلف فى الدراهم محظور مستقبح * وفى الشكر مباح مستملح * وحاجتى هذه من صغار الحوائج ولكن كرم الشيخ يسع جلائل الامور ودقائقها وكنت طويت مسألة الشيخ فى ادراج المتاركة * ودخلت فى باب المساكنة * ثم ردنى اليه * انى لم ار معبر الكرم الا عليه * ولا ارى منبع الارزاق الا من يديه * طلب الشيخ شيئا من رسائلى فرحبا بانجح طالب *

واكرم خاطب * ومن سعادة الصهر كرم اختانه * ومن اقبال الكاتب والشاعر شرف من نظر فى ديوانه * ولو قدرت جلعت الورق من جلدى * بل من صحن خدى * والقلم من بنانى * والمداد من اجفانى * ولامليت هذه النسخة على السفرة البررة ليكتبوه بيد العصمة * ويجلدوه فى بيت الحكمة * بل لو علمت ان مثل الشيخ يطلبه * وان مثل يد الشيخ بسطها الله تعالى بالخيرات تكتبه * لحاسبت عليه قلبى ولسانى ادق حساب * وطالبت شيطانى بتنقيحه وتهذيبه اشد طلاب * ولقلت لخاطرى دقق طرزك * وجود بزك * فان المبتاع كريم * والثمن عظيم * وقد قيل الراوية احد الشاعرين * وانا اقول الراوية احد الشعرين

وكتب الى ابى الحسن عبد العزيز صاحب ديوان الرسائل

كتابى عن سلامة لا اتهنأ بها الا بسلامة الشيخ والحمد لله تعالى على سلامته وعلى سلامتى فى جملته * وصلى الله تعالى على سيدنا محمد النبى وعلى عترته * لما وردت هذه الناحية وجدت النجاح تقدمنى اليها * وانتظرنى لديها * فنزلت منه فى اوسع منزل * وعلى اكرم منزل * اكرمنى الشيخ نازلا * وشيعنى راحلا * وقضى حقى عاجلا وآجلا * وفى الجملة ان الشيخ وجد امرى ميتا فاحياه * ورأى النجاح منى بعيدا فادناه * وصادف اقبالى مريضا فداواه * ولقد اراحنى الشيخ ببره * بل اتعبنى بشكره * وفرغنى بصادق قيامه * لا بل شغلنى بتعديد احسانه وانعامه * وخفف ظهرى من ثقل المحن * لا بل اثقله باعباء المنن * واحيانى بتحقيق الرجاء * لا بل اماتنى بفرط الحياء * فانا له بعد اليوم عتيق * واسير بل طليق * ومن انقذ انسانا من الفقر * وانتاشه من مخالب الدهر * وفكه من اسار العصر * فقد اعتقه من الرق الاكبر * ونجاه من الموت الاحمر * والرق رقان * رق الملك ورق الهوان * والاسر اسران * اسر العدو واسر الزمان * ولست ارضى لشكر السيد لسانى ولا بنانى * ولا استصلح لذكر مآثره وآثاره كلامى * فانى ولا

ولا كفران لله كليل شفرة الكلام * سليم وقع الاقلام * قصير رشاء اللسان * قريب غور البيان * ولكنى استعين فى ذلك بالسنة اصدقائى * واقلام معارفى واودائى * فنجتمع عليه * ونهدى ما نلفقه بيننا اليه * لا زال الشيخ للاحرار عضدا * ولسانا ويدا * وعمادا معتمدا * ولا زالت الالسن عليه بالثناء ناطقة * والقلوب على مودته متطابقة * والشهادات بالفضل له متناسقة * ولا زالت اولياؤه مستدرين بافيائه * منيخين بافنائه وعفائه * مستعلين به على اعدائه * وجعلنى الله فداءه ان كنت اصلح لفدائه * واحسن عنى جزاءه اذ كان اوسع لجزائه * واطال بقاءه اذ كان بقاء المكارم فى بقائه *

وكتب الى ابى سعيد المتوفى بناحية محمد بن ابراهيم من هراة

وردت الناحية بعد ما قاسيت السير والسرى * وخضت غمار المهالك والردى * ونظرت الى الآخرة وانا فى الدنيا واول ما مر بى سوء الدخول على ظهر الحمار ومعاشرة الحمار * على ان الحمار ايضا حمار * الا انه قصير الاذنين * يمشى على رجلين * وكأنى كنت بين حمارين * الا انى كنت بين جنسين غير انى ادركت المراد * وحمدت المراد * وساعدنى الزمان وما كاد * ومن تعلق بذيل المقبل اقبل * ومن جعل مثل الشيخ سلما فقد وصل * فها انا ذا للشيخ صنيعه ولامره تابع وجنيبه وظيفتى * فى الملأ شكره * وفى الخلاء ذكره * والسلام

وله اليه

قضيت بهذه الناحية حاجتى * وعمرت بعد الخراب حالتى * اذ سرت اليها ممتطيا عناية الشيخ بى * ومرافقا نظره لى * ولولا سكون قلبى الى حفظه على ما ورائى * وقيامه دونى فى وجوه اعدائى * لما تقدمت الا وقلبى

متأخر ولا اقبلت الى مقصدى الا وعزمى متذبذب * فان القلب اذا اشتغل بما وراءه لم ينفذ رأيه فيما امامه * والرجل اذا قيدها عقال الوجل * لم تنطلق نحو مظنة الامل * فسبحان من ذخر لى كنزا * ووهب لى من جانبه شرفا وعزا * وجعلنى اطير بجناحيه * واتناول ما اريد من يديه * واذا مات ملكى احياه * واذا تبلد بختى امضاه * واذا سخط على دهرى ارضاه * فلا جرم لقد ملكني ملكا لا تحل عقدته * ولا تخاف عهدته * لا سلبنى الله تعالى النعمة ببقائه * ولا نزع عنى ثوب الجمال ببهائه *

﴿ وكتب الى فقيه هراة بعد ان خرج منها عليلا ﴾

تأخرت كتبى عن حضرة الفقيه لشواغل كثيرة القلة صغراها * والعقلة وسطاها * والغيبة كبراها * وما لى عذر فى واحدة منهن * ولا منهن كلهن * ولكن المحجوج بكل شئ ينطق * والغريق بكل حبل يتعلق * ولقد عققت الود * وظلمت العهد * ونصبت جنبى للملام * واستهدفت اسهام الكلام وكأنى بعساكر العتاب وقد زحفت الى * وحملت على * والتقريع على مقدمته * والتوبيخ على ساقته * والهجر الصرف على مجنبته * فارقت تلك الناحية والحمى رفيقى وزميلى * والنافض عديلى ونزيلى * وقد ودعت الدنيا * وحصلت فى مخالب ابى يحيى * حى اليأس والوسواس * ميت النفس والانفاس * لا تطاوعنى يدى و رجلى * ولا يساعدنى لسانى وعقلى * ابعد شئ عنى الحياة * واقرب شئ الى الوفاة * ولا اظن عمرى الا حسوة طائر * او لفتة ناظر * ثم ساق الله تعالى الى عافية اخرجت من الكمين * ولم تجس لى فى الظنون * فجاء اسمى من جريدة الموتى * ورجعت الى الاولى من الاخرى * وعاش الامل * ومات الوجل * ولولا انى معتزلى لقلت تأخر الاجل * فالحمد لله تعالى الذى قرب الاجل ثم اخره * واورده حوض المنية ثم اصدره * لا بل اماته ثم انشره * وحقيق ان يشكر ربا اذا ابتلى عوض الاجر * واذا غفر عرض للزيادة بالشكر * حمدا يتصل امداده * ولا يفنى اعداده *

و

﴿ وكتب الى تلميذ له ورد عليه كتابه بانه عليل ﴾

وصل كتابك ياسيدى فسرنى نظرى اليه * ثم غمنى اطلاعى عليه * لما تضمنه من ذكر علتك * جعل الله تعالى اولها كفارة وآخرها عافية * ولا اعدمك على الاولى اجرا * وعلى الاخرى شكرا * وبودى لو قرب على متناول عيادتك * فاحتملت عنك بالتعهد والمساعدة بعض اعباء علتك * فلقد خصنى من هذه العلة قسم كقسمك * ومرض قلبي لمرض جسمك * واظن انى لو لقيتك عليلا لانصرفت عنك وانا اعل منك فانى بحمد الله تعالى جلد على اوجاع اعضائى * غير جلد على اوجاع اصدقائى * ينبو عنى سهم الدهر اذا رمانى * وينفذ فى اذا رمى اخوانى * فاقرب سهامه منى * ابعد سهامه عنى * كما ان ابعدها عنى * اقربها منى * شفاك الله وعافاك * وكفانى فيك المحذور وكفاك * ورفع جنبك * وغفر ذنبك * وشرح قلبك * واعلى كعبك *

﴿ وكتب اليه وقد ورد كتابه بافاقته وحمل اليه تفاحا ﴾

وصل التفاح فى طيب نشرك * وحلاوة نظمك ونثرك * وحسن ذكرك * وكان اعبق من كل طيب غير خلقك * واحسن من كل حسن غير خلقك * وعدتنى بسرعة انكفائك * وذكرت افراقك من دائك * فما ادرى على اى الخبرين كان شكرى لله تعالى اكثر عددا * واكثف مددا * وباية البشارتين كانت نفسى اسر * وعينى اقر * صدق الله هذه البشرى * واتم عليك هذه النعمى * وها انا قد مددت الى الطريق عينى * واخذت اعد الخطى بينك وبينى * احسب كل انسان رسولا * وكل شخص كتابا الى محمولا * فجعل الله تعالى اتحافنا بنفسك * ولا احرمنا حظنا من انسك *

﴿ وكتب الى كاتب من كتاب الحضرة ﴾

تأخر عنى كتاب شيخى حتى نسيت ايام المراسلة * وصرت ارى فى المنام اوقات المكاتبة والمواصلة * وحتى ظننت ان الاقلام قد جفيت * وان القراطيس قد فنيت * وان الكتابة قد نسيت * وان المطالعة والمفاوضة قد طويت * وان المداد قد صار فى جبهة الاسد * او يجلب من السويس الابعد * وان الدواة قد اصبحت تامية * وان الدولة قد عادت اعجمية * ثم راجعت فناظرت نفسى * فوجدت الذنب مقسوما بينه وبينى * فتحملت حصته منه * وانفردت بجميعه عنه * وذلك انى خرجت وسافرت هذه السفرة * فوقعت فى الحال فترة * والغائب ملقى وملق * ومنسى اومتناسى * فلان كان افقر من الانبياء * فان فقراءهم اكثر من الاغنياء * واعرى من الحية * وانقى كيسا من الراحة * يده صفر * ومنزله قفر * وغداءه الخوى * وعشاؤه الطوى * ووطاؤه الارض * وغطاؤه السماء * وادامه التشهى * وطعامه التمنى * وراحته زوجته * ورجله مطيته * لا يرى الدرهم الا فى المنام * ولا يحس الدينار الا بالاوهام * ولا يشبع الا فى اضغاث احلام * بابه مجلس الغرماء * وذيله متعلق الخصماء * قد ضرب عليه الخذلان رواقا * وبنى فوقه الادبار طاقا * ونشز عليه الرزق * وحرمه الخالق والخلق * واسع المنى * ضيق الغنى * افرغ دارا من فؤاد ام موسى عليه السلام او مرت به الريح لاخذ منها * واوزار الذباب لطمع فيها * خصيب العين * جديب البطن * لان العين تشبع بنظاره * ولا يشبع البطن الا عن حقيقه * كأن الارزاق قسمت ورزقه غائب * وكأن البخوت وضعت وبخته هارب * وكأن الفلك يعاديه * والدهر يناويه * وكأنه اثكل الرزق ولدا * اوكسر له رجلا ويدا * فعمدت اليه فجبرت كسره * وطردت عنه فقره * وحاربت دهره * وزففته زف الهدى الى منى * وعللته تعليل الصبى بالمنى * ورأيت حاله قد انحرفت انحرافا لا يتدارك * وانحلت انحلالا لا يتماسك * فلم ازل ارفو خرقها * وارتق فتقها * واجلو عنها صدأ الادبار * واغسل عن اطرافها وضر العسر والاقتار

والاقتار * فما هو الا ان رأى بيده الدرهم والدينار * وطوى مراحل العسر الى اليسار * حتى نسى نفسه * وجحد امسه * وتطاول بيد قصيرة * وتعظم بنفس حقيرة * وقلب على مجن غادر * وصافح نعمتى عليه بيد كافر * وقبح لقاءه لى وكان حسنا * وخشن مسه على وكان لينا * فلما رأيت سوء جواره لنعمة الله تعالى وتركه التأدب بادب الله تبارك وجهله حق رزق الله تقدس رددته الى قيمته * وجعلت نقمته فى وزن نعمته * ونزعت عنه قميص عافية اساء لبسه واستعماله * ولم يعرف له بهاءه وجماله * وتعلقت بذيل ذلك المال وقد كاد يفوت * ورددت اليه روحه وقد ابتدأ يموت * فمن رآنى فليتهم على الدرهم يديه * وليوكل به عينيه * وليجعل وكيله نفسه * وقهرمانه كيسه * وشريكه فعله * وحارسه عقله * وخادمه خاتمه * وصديقه صناديقه * وليعلم ان درهمه اذا فارقه لم يرجع اليه * واذا صالح يد غيره لم يصالح يديه * واذا اعطى اباه او اخاه فقد زاد فى عدد اعدائه * كما نقص من عدد اصدقائه * ومن اراد ان يشترى الاعداء بماله * وان يحارب يمينه بشماله * فليخالف طريقى * ولا يقبل نصيحتى *

﴿ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة ﴾

كتابى الى الشيخ من الديوان * وانا فيه ملتحف بالحرمان * مشتمل بالذل والهوان * قاعد بين النقصان والخسران * عن يمينى مستخرجان * وعن يسارى وكيلان * والحمد الله على تصاريف الدهر واحواله * وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله * قد احفيت قلمى ويدى فى كتبى الى الشيخ اخطب نظره لى * وانشد ما اضللته من عنايته بى * فلم يعطف على عطفه * ولم يشغل بجانبى طرفه * واذا ادبارى مصمت لا يسمع الدعوى * ولا يقبل الرقى * وما اشكو الا نحسى * ولا اهجو الا نفسى * وما خصمى غير حرمانى * ولا قرنى الا زمانى * ورد علينا فلان * ونحن نيام نوم الامنة * وسكارى سكر الثروة * ومتكئون على فراش العدل والنصفة * فما زال يقدح

علينا ابواب المظالم * ويحتلب فينا ضرعى الدنانير والدراهم * ويسير فى بلادنا سيرة لا يسيرها السنور فى الفار * ولا يستخبرها المسلمون فى الكفار * حتى افتقر الاغنياء * وانكشف الفقرآء * وحتى ترك الدهقان ضيعته * وجحد صاحب الغلة غلته * وحتى اخرب البلاد * بل اخرب العباد * وحتى شوق الى الآخرة اهل الدنيا * وحبب الفقر الى اهل الغنى * وحتى نسف الزرع والضرع * واهلك الحرث والنسل * وحتى لقب بالجراد * وكنى ابا الفساد * وصار الدرهم فى ايامه * اقل من الصدق فى كلامه * وصار الامن فى اعماله * اعز من السداد فى افعاله * فليته اذ اوحش الرجال * حصل المال * وليته اذ ضيع المال * ارضى الرجال * ولكنه حرم الاثنين * فافلس من الجهتين * والله ما الذئب فى الغنم بالقياس اليه الا من المصلحين * ولا السوس فى الخز فى الصيف عنده الا من المحسنين * ولا الحجاج بن يوسف الثقفى فى اهل العراق الا اول العادلين * ولا يحسب الاثيم فى اهل فارس بالاضافة اليه الا من النبيين والصديقين * ولا فرعون فى بنى اسرائيل اذا قابلته به الا من الملائكة المقربين * فان كنا به معاقبين فقد تنقضى مدة العقاب * وتختم صفحة العذاب * وان كان الفلك غلط به * والزمان اخطأ فيه * فقد يراجع الغالط حسه * ويحاسب المخطئ نفسه * فيجبر ماكسر * ويتلافى ما بدر * والسلام

وكتب الى ابى الوفا صاحب جيش عضد الدولة

كتابى وانا بما يبلغنى من صالح اعمال الشيخ مغتبط ومسرور * وبما يعرفه الزمان واهله من اعتضادى به مصون وموفور * والله تعالى على الاولى محمود وعلى الاخرى مشكور * التطفل وان كان محظورا فى غير مواطنه * فانه مباح فى اماكنه * وان كان فى بعض الاحوال يجمع عارا ووزرا * فانه فى بعضها يجمع فخرا وذخرا * ورب فعل يصاب به وقته فيكون سنة * وهو فى غير وقته بدعة * وقد تطفلت على الشيخ بهذه الاحرف اخطب بها مودتى

مودتى عليه واسأله ان يرسم لى فى لسانى وقلبى رسما * ويختم عليهما ختما * وصرت وكيله فيهما فهما على غيره حمى لا يقرب * وبحيرة لا تحلب ولا تركب * ولما نظرت الى آثار الشيخ على الاحرار * ونشرت طراز محاسنه فى ايدى القاصدين والزوار * واقيمت له عندى بالفضل شهادة الاخبار والاشعار * وهما شاهدا عدل * بكل نقص وفضل * ثم لما رأيت نفسى غفلا من سمة مودته * وعطلا من جمال عشرته * حيت لها من ان يحمى عليها ورد مورود * ويحسر عنها ظل على الجميع ممدود * وعجبت من سحاب اخطأنى جوده وهو صيب وبحر عدانى سيله وهو مفعم

وبدر اضاء الافق شرقا ومغربا * وموضع رجلى منه اسود مظلم

وله الى ابى الحارث من ولد هاشم بن ماسجور وهو ملك الجبل وقد ارسله يستدعى كتابه

مكاتبة مثلى الامير سوء ادب ودعة * وقلة حياء ومسكة * وتركى مكاتبته بعد ما امكنتنى وقرب متناولها منى تضييع لفرصة من فرص العز * ونهزة من نهز الفوز * والعاقل يختار خير الشرين * ويميل مع اعدل الشقين * لم ازل ايد الله تعالى الامير اقترح على دهرى ان يسعدنى * وعلى عمرى ان يسعفنى * فاتعلق من تلك الخدمة بطرف * واتوصل الى تلك الحضرة بسبب ويأبى الدهر الا ان يحلئنى عن ورد احوم عليه برجائى * ويغلق على بابا استفتحه بدعائى * فلما غلبنى الدهر على مرادى * وخالف بين طريق اصدارى وايرادى * رضيت من المائدة باللقمة * ومن الفضل بالبلغة * وسلكت مع بختى طريق المصانعة * اذ كان قد سد على طريق المصادرة * وقلت لا اقل من ان ادس اسمى فى اسماء خدم تلك الحضرة الجليلة * واترب يدى بغبار تلك الصنائع الجليلة * واخدم ذلك السيد قولا * وان كنت لم ارزق خدمته فعلا * واكاتبه غائبا * اذ كنت لا اصل اليه حاضرا * فكتبت هذه

الاحرف اصل حبلى بحبله * واعرض بها نفسى لفضله * وانا اخرج الى الامير من عهدة هذه السلعة * واشهد انّى وسط فى هـذه الصنعة * فانّ الهيبة تحصر بنان الكاتب * وتعقل لسان الخاطب * فكيف حالها مع المتكاتب * وانا شاكر للامير وان كنت لم ارد بحره * ولم احتلب دره * لما سمعته من شكر الشاكرين لفضله * ومن اطباق الجميع على ذكر محاسن قوله وفعله * لا بل شكرى له عن غيرى اعظم * والحق لى فيه الزم * لانى لو شكرته عن نفسى شكرته عن انسان * واحتجت فى ذلك الى لسان * واذا شكرته عن الناس شكرته عن امة * واحتجت الى ألسنةٍ جمّة * على انى اطرى الحسام اذا مضى * وان كان يوم الروع غيرى حامله * جزى الله تعالى الامير عن الجود خيرا فقد اقام له سوقا كانت كاسده * واهب منه ريحا كانت راكده * واحيى منه ارضا كانت هامده * ولقد سلك الامير من الكرم طريقا يستوحش فيها لقلة سالكها * وعمّر للمعروف دارا لا يستأنس بها لعدم ساكنها * وبيته فى قفارها * لدروس آثارها * وانهدام منارها * اعانه الله تعالى على صعوبة الطريق * وقلة الرفيق * والهمه صبرا يهون عليه احتمال المغارم * ويقرب عليه مصافاة المكارم * فبالصبر تنال العلى * وعند الصباح يحمد القوم السرى *

﴿ وكتب الى حسين صاحب ديوان الحضرة ﴾

تأخر كتابى عنك يا ولدى لانى كرهت ان اكاتبك عن فكر متشعب * وقلب متقلب * واردت ان اخلى خاطرى لجوابك * وان اقضى بذلك حق كتابك * فمن صيانة صاحب الكتاب * ان لا يتجوز له فى الجواب * على ان مصون كلامى عند مثلك غير مبتذل * ومدخر برى عندك ليس بمستعمل * ولا اوم على الفقير * اذا حمل ما عنده من اليسير الى المياسير * وقد بذل جهده * واتى اقصى ما عنده *

* *
*

وله

﴿ وله الى كاتب بعض الامرآء وقد ورد عليه كتابه يشكو فيه الجرب ﴾

وقفت على ما شكاه سيدى من العلة شفاه الله تعالى منها * وعوضه الصحة عنها * وودت لو قبلتنى العلة فدآءه * وامكننى ان اقرض سيدى شفآءه * فكنت انقل اليه الصحة نقلا * وابذل له ما عندى من العافية بذلا * الجرب حكة عافى الله تعالى سيدى منها مادتها يبوسة وحرارة ووقود والتهاب * زندهما الذى يقتبسان منه طعام وشراب * وفضلة قدفتها الطبيعة الى الظاهر * ودفع الله تعالى شرها عن الباطن * وعسكر من عساكر البلآء * تمده القذارة وتهدمه الطهارة * وتنقص منه البرودة والرطوبة * كما تزيد فيه اليبوسة والحرارة * ومن داوى ظاهره * وترك باطنه * فانما يبل حائطا ورآءه النار الموقدة * ويرش على سطح بيت فيه الشرار المبثوثة * ويقعد تحت قول الاول

خليلى داويتما ظاهرا * فمن ذا يداوى جوى باطنا

وكيف تقطع مادة نار تطفى عن ظاهر الجسد * وهى تتوقد فى باطن الكبد * وكيف يزول دآء سمه مكايله * وترياقه موازنه * وكيف يصح جسم حميته دوآؤه * وغذآؤه دآؤه * وكيف يقوم قليل الترياق بكثير السم * او يفى صغير البناء بكبير الهدم * وكيف يرجو الشفآء من لا يضبط شهوته * ولا يملك يده * ولا يهاجر حبيبه * وطعامه وشرابه * حتى لا يراهما الا خلسة * ولا يذوق منهما الا بلغة * ارى لسيدى ان يصبر على الجوع مع مرارته * وعلى العطش مع حرارته * وان يقتصر من الطعام على ما يكون فى اوسط طبقات الرطوبة * وفى اعدل موازين البرودة * ولا بد من هجر اللحم والفاكهة ولا سبيل الى اطراقه فاما البقول فيجب ان لا ترى ولو فى المنام * ولا تمس ولو بالاوهام * والسمك وما ناسبه بلية * واللبن وما خرج منه منية * حتى اذا حس فى معدته بالخلآء * ووقف من طبيعته على الصفآء * ومن اخلاط جسمه بالاعتدال والاستوآء * استخار الله تعالى وشرب شربة قوية تكنس فضول السودآء * وتخرج خبايا الصفرآء * وتقمع سلطان البلغم *

وتصفى كدورة الدم * فاذا انجلى عنه خمار ضعفها * وتقشعت غيابة سكرها * امدها بفصاد يخص به الاكحل فانه نهر العروق * والطريق الذى يفضى منه الى كل طريق * تصعد اليه السفلى * وتنزل عليه العليا * وتلقى عليه الاولى والاخرى * فاذا فرغ منه * وخرج باذن الله تعالى سليما عنه * وعلم انه لم يبق من العارض الا هباؤه * ومن الخوف الا زبده وجفاؤه * يعالج حينئذ باللطوخ التى تغسل ظاهر الجسم * ويجلو صدأ السقم * ولا ينسين الاستكثار من الغسل والاغتسال * ومباشرة الماء الحار على كل حال * فان الجرب فى حيز الحرارة * كما ان الماء فى حيز البرودة * والبارد اذا لقى الحار اطفى بعضه * وان لم يقطع اصله * والضد اذا زاحم الضد وهن سلطانه * وان لم يهدم اركانه * وملاك الامر الحمية فانه لا يكون قوى الحمية الا من كان قوى الحمية * ومن غلبت شهوته على رأيه شهد على نفسه بالبهيمية * وانخلع عن ربقة الانسانية * وحق على العاقل ان يأكل ليعيش * لا يعيش ليأكل * وكفى بالمرء عارا ان يكون صريع مأكله * وقتيل انامله * وان يجنى ببعضه على كله * ويعين فرعه على اصله * فكم من لقمة اتلفت نفس حر * وكم من اكلة منعت اكلات دهر * وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت * وكم من عذوبة خلفها بشاعة الفوت * وكم من شهوة ذهبت بنفس لا تقوى لها العساكر * وقطعت جسدا كانت تنبو عنه السيوف البواتر * وهدمت عمرا هدمت به اعمار * وخربت بخرابه بيوت بل امصار * والعلل كلها وان لم يشملها اسم * ويجمعها حكم * فهى متباينة الاقدار * متمايزة المقدار * متخالفة الطبقات فى باب النقيصة والعيار * فعلة العشق دليل على لطف الغريزة والترحم عن الرقة الروحانية * وعن النفس الخاصة الانسانية * وعلة النقرس على التنعم والقعود * وعلى قلة تجشم الهبوط والصعود * وعلى ان صاحبها مخدوم مكفى * او ملك حظى * وعلة الجرب دليل على تضييع واجب النفس من التعهد * وعلى التفريط فى العلاج والتفقد * تنطق بان صاحبها ضعيف المنة فى التوقى * اسير فى يد الحرص والتشهى * غاش لنفسه * قليل البقيا

على

على روحه * وكيف يحفظ اصدقاءه * من لا يحفظ اعضاءه * وكيف يبقى على غيره * من لا يبقى على نفسه * وكيف يؤتمن على من لا يتماين عنه * من لا يؤتمن على بعض منه * وهذه علة تكسب صاحبها خزيا وحياء * وتورثه خجلا واسترخاء * ينظر الى الناس بعين المريب * ويتستر عنهم كتستر المعيب * تنفر عنه الطباع وتستقذره النفوس * وتنبو عن مواكلته العيون * واقل ما يصيبه انه يحرم آلة المطاعم وهى يداه * وآلة اللقاء والزيارة وهى رجلاه ولو لم يكن من دقائق آفاتها * ومن عجيب هناتها * الا انها تشيخ الفتيان * وتمسخ الانسان * وتجعله اميا بعد ان كان غير امى * واعجميا وليس باعجمى * تنفر عن نفسه نفسه * وتهرب من فراشه عرسه * ويتباعد عنه اقرب الناس منه لقد كانت جديرة ان يحتشد لدوائها * وتبذل الرغائب فى افنائها ثم هى ربع من ارباع الخذلان * وقسم من اقسام الحرمان * قال الشاعر

اعاذك الله من اشياء اربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وما ظن سيدى بداء قد سارت به الامثال * وقيلت فيه دون سائر الادواء الاقوال * قال رؤبة وقد ذكر علة * هى اعدى من الجرب * عند العرب *

﴿ وقال ابو تمام ﴾

لما رأت اختها بالامس قد خربت * كان الخراب لها اعدى من الجرب

﴿ وقال لبيد ﴾

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

فجعله رأس الادواء * ووصفه بانه غاية البلاء * وانما ذكرت فيه ما ذكرت لازيد سيدى فيه فى الهرب منه رغبة * وفى الصبر عليه زهادة * من الله تعالى على سيدنا بالشفاء * وجعل عهده بهذا الداء * آخر عهده بالادواء * انه طبيب الاطباء * وخالق الداء والدواء * وكاشف البلاء *

* * *

﴿ وله الى قاضى الرى ابى الحسن الهمدانى ﴾

قد ملأت مسمع قاضى القضاة ايده الله تعالى بكتبى اليه فى الحاجات وانى لأعلم انى قد دللت عليه حتى املات * واوجفت حتى اجحفت * ولكنى اتطير بنعمة الله تعالى عليه من ان اعرضها لليأس منها * وانسى جوابها ابرد الناس عنها * والسلام

﴿ وله الى ابى المعالى وزير صاحب الجبل ﴾

وصل كتاب الشيخ بعد ان احتلمت به وسنان * وهذيت بذكره يقظان * فلما رأيته خررت له ساجدا * وشكرت الله تعالى باديا وعائدا * والحمد لله تعالى الذى ارانى محنة الشيخ قد ادبرت بقفا مبتور * ودولته قد اقبلت بوجه مسرور * وادال ايام سعده على ايام نحسه * وابعد ما بين الحوادث وبين نفسه وجعل يومه خيرا من امسه * وشر من المحنة كثرة الشامتين * وخير من انكشافها كثرة الشاكرين * فان الذى يشمت بالناس فى وقت الرحمة لئيم * وان الذى يثبت الناس على وده بعد العزل لكريم * والشيخ بحمد الله تعالى ومنه لما امتحن انطق الله تعالى بالدعاء له السنا * وابكى بالشفقة عليه اعينا * لا زال البكاء بعد هذا مقصورا على عيون اعدآءه فان اعدآء * الفاضل اعدآء فضله واضداده اضداد فعله * وكل امرئ صديق امثاله وشكله *

﴿ وله الى سعيد بن سمكة ﴾

نظرت الى ذنبى الذى استحققت به الهجران * وتقصيت طرق افعالى لاقف منها على الفعل الذى اوجب الحرمان * فوجدت نفسى قد كلفت الشيخ حوائج وحملت اليه بالغرائر الرسائل والسفاتج * ولو تركت مكاتبتى الى الشيخ نقية الاطراف

الاطراف من وضر السؤال * خفيفة الاكناف من ثقل الادلال * لما بخل على بالمقال * من لا يبخل على بالمال * وضايقنى فى العرض اليسير * من لا يضايق فى الجوهر الكثير * ليبرزلنى الشيخ ايده الله تعالى من قلبه * حيث انزلتنى الثقة به وليضعنى من نفسه بحيث وضعنى الود منه * وليعلم انى سيفه الذى لا يفله طول الضرب * ولا يمله مراس الحرب * ولسانه الذى يذب عنه فى الملا * ويدعو له فى الخلا * واخوه الذى ان لم تصرفه اخوة الولاد * صرفته اخوة الوداد * ويجاوز ذلك الى الممازجة والاتحاد * فلان قد استشارنى فى مشايخ تلك الحضرة فعرفته انهم بساط والشيخ صدره * وافق هو بدره * وان ماتفرق فيهم من الفضل ففيه متجمع * وعنه متفرع *

﴿ وله الى ابى نصر الميكالى يشكره على اصطناعه فقيها من تلامذته ﴾

ابلغ قتادة غير سائله * جزل العطاء وعاجل النعم
انى شكرتك للعشيرة اذ * جائت اليك برقة العظم

المحمدة اطال الله تعالى بقاء الشيخ لذاتها حسنة * كما ان المذمة لنفسها قبيحة منقصة * والمحسن الى الناس كلهم حبيب * ومن القلوب كلها قريب * يمدحونه وان لم يحسن اليهم * ويشكرونه وان لم يفضل عليهم * كما ان المسئ فى النفوس صغير وان كثر مالا وحالا * وقبيح وان حسن زينا وجمالا * على هذا اسست البنية * وعليه وضعت الفطرة * وفيه اتفقت الخاصة والعامة * ثم ان الاحسان وان كان كله حسنا على طبقات * كما ان الاساءة سيئة وان كانت كلها على درجات * فمن اصاب بالاحسان بقعة لا يخلف شجرها * ولا يمر ثمرها * واسداه الى كريم يرب الصنيعة بلسانه * ويخرج الاحسان فى موضع استحسانه فقد سددت رميته * واصيبت رميته * وزكا صنعه * ونما ربعه * وما اعرف اهل بيت احسن لموضع الصنائع ارتيادا * واجود لاهلها انتقادا * واصوب

لها اصدارا و ايرادا * من اهل بيت الشيخ ابقى الله تعالى مشايخهم وشبانهم وجمل بهم مكانهم وزمانهم * والشيخ بحمد الله تعالى على سبيلهم نهج وعلى منوالهم نسج * فصنائعه فى قوالب الحمد والشكر * وعلى طريق الاجر والذخر * لا يقع الا بين الشرف والثواب * ولا يوجد الا بين العلوم والآداب * فهو ككافل الكريمة لا يزوجها حتى يستكرم صهرا * او يحكم مهرا * او كبائع الجوهرة النفيسة لا يبرزها حتى يرى ثمنا * او يأمن غبنا * والجواد محتكر بر * لا محتكر بر * والكريم تاجر جمال * وان لم يكن تاجر مال * والحر وقاية الحر من فقره * وسلاحه على دهره * ولله تعالى بقايا من عباده * فى بلاده * خلقهم ليعيش بهم العاسر * ويشد بازرهم الفاقر * ويحيى بحياتهم المعالى والمآثر * فهم ملح الارض اذا فسدت * وعمارة الدنيا اذا خربت * ومعرض الايام والليالى اذا حشدت * بلغنى ما صنعه الشيخ مع فلان فما استكثرته قياسا على قدره العظيم * وبره الجسيم * ولم اتعجب من ولد تقبل قبلة الوالد * ومن طريف نازع التالد * ومن غصن من اغصان الشرف * نما على عرقه فى السلف * ومن نفس رضعت ثدى المكارم * وربيت فى حجر الاكارم * فجرت على سنن اوائلها * واحيت فضائلهم بفضائلها * وانما تعجبت من حسن ما تحرى الشيخ لمعروفه وارتاد * ومن صواب ما عزا واراد فما اكثر من اخطأ بصنعه طريق المصنع * وخالف بزرعه موضع المزرع * وما اكثر من يلد معروفه فلا ينجب مما ولد * ولا يبلغ به صاحب المقصد * وهذا الفقيه بين نفس مقبلة * ودولة مقتبلة * يرمى به كماله ورآه ميلاده * ويسبق فضله غايات آبائه واجداده * وللدهر فيه مقاصد * وللايام فيه مواعد * ولله تعالى لطائف سيبلغ الكتاب منها اجله * ويكمل الاقبال فى تمامها عمله * والحمد لله تعالى الذى جعل الشيخ ممن ابى عذره اصطناعه * واول من بسطت يده ومد باعه * والحمد لله تعالى الذى جعل همم الشبان مصروفة الى افتراع ابكار الجوارى * وهمة الشيخ مقصورة على افتراع ابكار المعالى * فالمصطنع فى الرؤساء والامراء * كالمصطنع فى العلماء والفقهاء * فسبحان من وفق بين الشكلين * وزاوج بين المثلين * وجعل الصنيعة غضة طرية من جانبين *

وصيرها شابة من النشأتين هذا وقد نسج الشيخ الفقيه من شكر الشيخ طرازا لا يبلى * واوقد من ذكره شهابا لا يخفى * فملأ بقوله الاسماع والنواظر * بل القلوب والخواطر * بل الكتب والدفاتر * حتى لم يبق رئيس الا تمنى لو انه كان المصطنع * كما لم يبق فقيه الا تمنى انه كان المصطنع * وحتى قلنا

ما القينا من احمد بن على * ترك الناس كلهم فقهاء
اونسينا ما القينا من جود فضل بن يحيى * ترك الناس كلهم شعراء

لا زال الشيخ يستولى على امد كل غاية بفعله وقوله * وينفرد بحمى كل مكرمة بفضله وطوله * ولا زال يستبضع اليه الشكر من البلدان * فيشتريه باغلى الاثمان *

﴿ وكتب الى حاكم سرخس وقد اهدى اليه كتابا طلبه منه ﴾

تأخرت حاجة الحاكم وختم الله تعالى دولة الحمد بقضائها * ونبت عن طالبها فى اقتضائها * فكنت الخصم والحاكم * والمحاكم والحاكم * وما ابطأ من اجدى * ولا اسرع من اكدى * وارتدت نسخة مقروءة قد عمل فيها القلم والبنان * واثر فيها التبيين والبيان * وسودت حواشيها * ولاحت مياسم التصفح فيها * ولم تكن فى حسن خط كاتبها * ولا جودة تجليد صاحبها * ولا استقامة حروفها * ولا تساوى جوانبها وحروفها * بعد ان سلمت من التحريف والتصحيف * ومن سقم الاشكال والحروف * فانما الكتاب الحسن ظاهرا السقيم باطنا مثل المرأة الحسناء العاهرة يسرك خلقها * ويسوءك خلقها * ومثل الروضة الغناء الوبيئة تحمدها العين ويذمها البطن وكانت تقع بيدى النسخة الاولى التى هى مائدة منقوشة ليس عليها دسم * وكيس مصرر ليس فيه درهم * وتقع الثانية خلافها كالعجوز المنتقبة * وكالقفل على الخربة * فانما هى كسوة عامى غبى * او مقبرة يهودى غنى * وتقع فى يدى الثالثة وهى اسم ولا جسم * ودعوى ولا علم * قد قرئت على متعالم غير عالم لا يدرى * ولا يدرى انه لا يدرى * فراؤها زاء * وميمها حاء * وطاؤها

ظاء * والنظر فيها يعمى * والاستدلال بهـا يعمى * ومن آفة العلم خيانة الوراقين * وتخلف المعلمين * كما ان من آفات الدين * فسق المتكلمين و جهل المتعبدين * وكما ان من آفات الدنيـا كثرة العامه * وقلة الخاصه * و كما ان من آفات الكرم ان الجود ضد المنع * والبخل سبب الجمع * وان المـال فى ايدى البخلاء * دون ايدى الاسخيـاء * وكما ان من آفات الحلم ان الحليم مأمون الجنبه * و ان السفيه منيع الحوزه * قاعد فى خفارة البذاء والسفاهة وكما ان من آفات المال اذا صنته فقد عرضته للفساد * و اذا ابرزته عرضته للنفاد * وكما ان من افات الشكر انك اذا قصرت عن غايته ذممت من اصطنعك * و اذا بلغتها وابلغت فيـه اوهمت من سمعك * وكما ان من آفات الشراب انك اذا اقللت منه حاربت شهوتك * ولم تقض نهمتك * واذا استكثرت اعترضت الاثم والعار * وابرزت صفحتـك للالم والخمار * وكما ان من آفات المماليك انك اذا باسطتهم افسدت آدابهم و اذهـانهم * واذا قبضتهم افسدت وجوههم و الوانهم * وكما ان من آفات الاصدقاء انك اذا استكثرت منهم لزمتك مواجبهم * و ثقلت عليك نوائبهم وكسبت الاعداء من الاصدقاء * كما يكتسب الداء من الغـذاء * وكما ان من آفات المغنين ان الوسط منهم يميت الطرب * والحاذق ينسى الادب * وكما ان من آفات النساء انهن اذا اكرمن قبح خلقهن * واذا اهن فسد خلقهن * فلما تمـادت مدة الاكداء * ولم اصل الى ما ينظم طرفى مرادى بهبة ولاشراء * نزلت على حكم الامكان * وجريت فى التجوز على رسم الزمان * و حملت نسخة ان لم تكن بتلك السليمه * فليست بتلك السقيمه * و انا اعتذر اليوم منها قولا * و غدا فعلا * واحصل اخرى ولو بروحى ومهجتى * و بدنياى وآخرتى *

وكتب الى ابى بكر بن سمرد

انا مترجح بين ان اقر للشيخ بذنبى * واخبره بعيبى * وبين ان اسكت سكتة متجاهل و اصفح صفحة متغافل * وان كنت اعلم ان العفو الى المقر * اسرع منه الى المصر * وان وضر الذنوب لايغسله الا الاقرار * ولايزيله الا الاعتذار * و قد كان

كان فى حكم ما اولانيه من نعمه التى يفنى الابد ولاتفنى * ويخفى الصباح ولاتخفى ويبلى الجديدان ولا تبلى * وينسى القوم ولاتنسى * ان يكون لى عنده كل يوم فتح قاصد * بل رسول وارد * لابل كان ينبغى ان اجعل رسولى اليه الريح فانها اسرع * واكتب اليه فى الفلك فانه اوسع * ولا تطلع شمس الا و جنبها منى اليه كتاب * اما ابتداء واما جواب * ولكن ابن آدم للنعمة كفور * وبالعهد غدور غافل عن غده ناس لامسه مرتهن بيومه وانى لاحسد كتابى اذا ورد ذلك الباب * ونزل ذلك الجناب * واود لوكنت سطرا فيه * او حاشية من حواشيه * وللايام عندى اذا وصلتنى بالشيخ نعمة لا اسع عنهـا الثواب * ولها على اذا ابعدتنى جناية لا اقدر على كفائها من العقاب * وقـد كنت اعيب من الشعراء من مدح انسانا ثم هجاه * وانسبه الى ضعف المسكة والى وهن العزيمة وانحلال العقدة حتى بليت الآن بهجـاء الدهر وطالمـا مدحته * ودفعت الى حربه وطالمـا صالحته * قد تعرفت للشيخ عوارف حيرتنى بين طيها ونشرها ورجحت بين تركها وذكرها * فان ذكرتها قصر عنان الطاقة عن مقتضى حكم النية وان تركت ذكرها لاحت على فعلى سمة الكفران * وعرفت بسوء مجازاة الاحسان * وحرمت نفسى ثمرة اللسان * فقد اسكت الشيخ لسانى من حيث انطقه * وحصر بنانى من حيث اطلقه * وعلى ذلك فقد اسمعت شكرى كل من له اذن * واريت اثر صنيعته كل من له عين * حتى لقـد حسدنى عليه الاقارب * وتعرف الى فيه الاجانب * وهـابنى ورجانى منذ عرفته الحاضر والغـائب * ثم لم يرض ان احسن بى * حتى احسن الى من يرسل اليه بكتبى * فاضاف النعمة الاخرى الى الاولى * وعقب الصنيعة الكبرى بالصغرى * على ان اصغر صنائعه كبير * كما ان اكبر شكرى له صغير * ولكن الكبير من الكبير يصغر * كما ان الصغير من الصغير يكبر * فكيف اهلنى الشيخ لاحسانه ثانيا * ولم اقض حق احسانه باديا * وكيف حملنى النفل وقد تقاعدت عن اداء الفرض وجمع على الكل وقد ضعفت عن البعض * وكيف نبع على بره من كل منبع وطلع الى السعد به من كل مطلع * ودب الى احسانه من كل مكمن وكان سبيلى

ان يستوفى على قبل ان اوفى وان احاسب على الحاصل الاول قبل ان يثنى وان اعامل على قول الاول

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن كان غرما على غرم

وكتب الى تلميذ له عن كتاب وقصيدة

وردت القصيدة الغراء * بل الدرة العذراء * بل الهدية العظيمة * بل الشمسة الكريمة * بل الياقوتة اليتيمة * بل فريدة الدر * بل غرة الغر * بل شمس الكرام * وغريبة الايام * بل الخطاب الجزل * والمنطق الفصل * بل الحسن والاحسان * بل التبيين والبيان * بل واحدة القصائد * وخاتمة القلائد * وآبدة الاوابد * بل اميرة النظم و النثر * بل ملكة الرجز و الشعر * بل حسنة الالسن * و نزهة القلوب و الاعين * بل بستان الافكار * و جلاء الابصار * بل روح المعانى والمبانى * و هيكل الاوزان و القوافى * بل عقيلة الدهر * و نادرة العصر * و ثمرة العمر * و بيضة العقر * و ترياق القلب بل ملبسى تاج الفخر * و مورثى كنز الذخر * لا بل ليلة القدر * فانها خير من الف شهر * و هذه خير من الف بيت شعر * ولم اعن بيت الموزون * انما اردت البيت المسكون * ففتحت كتابها عن النور المنثور * وعن الديباج المنشور * و فليت معانيها عن روح البديع و قلبه * و مبانيها والفاظها عن حب الفصيح ولبه * ورددت طرفى منها فى روضة سقاها اللسان و عملها البنان * و نافس عليها زمانها الازمان * ولم يبق فيها بيت الا رويته * ولا فصل الا حكيته * ولا لفظ الا كررته وثنيته * و وددت لو كانت اعضائى كلها للنظر اجفانا * ولاستماعها آذانا * و لتناولها و جسها ايديا و بنانا * بل لو كان الحرف منها سطرا * و الكلمة من كلماتها عشرا * فيمتد نفس استيفائها روية و روايه * و يعظم حجم استقصائها فهما و درايه * وغرت عليها من هذا الزمان الذى لا يستحق ان يكون له ولد نجيب * ولايقتضى ان ينبغ فيه عالم ولا اديب * ثم رجعت الى الحقائق فعلمت ان الانسان ابن امه وابيه * لا ابن ايامه و لياليه

و لياليه * وان قول الناس ابناء الدهر لفظ مجازى * ومعنى اصطلاحى * و قد نحلنى فيها من هذا الفضل ما ان طوابت بجدواه * لم اخرج من عهدة دعواه * فان تكن تلك شهادة منك اسلفتنيها * وسلعة جازفت لى فيها * فقد يسامح الكريم اخاه * ويحابى الحر من بايعه وشاراه * وان كنت تظن فى هذا الفضل فاسأل الله تعالى ان لايجمع بيننا فانك ان شاهدتنى رجعت عن ظنك * و رددت بعينك حكم اذنك * وانا المعيدى وان لم يكن لى فى العرب نسب * ولا بينى و بين معد قرابة ولا سبب *

وكتب الى ابى الفرج خليفة الوزير بنيسابور

فهمت ما ذكره الشيخ فى كتابه * و جعلت قبولى عظته بدلا من جوابه * ذكر الشيخ انى لو اقتصرت على خدمة الامير * وعلى منادمة الوزير * لمالت الصروف عن جانبى ناكبه * وولت الخطوب عنى هاربه * ولو لم انتجع غير نيسابور بلدا * ولا غير من بها احدا * لعشت معهم عيشة رغدا * وجواب الشيخ تحت قول الاول *

فبالخير لا بالشر فاطلب مودتى * واى فتى يقتال منه الترهب

مثلى ايد الله تعالى الشيخ لايحمل على الخدمة بالتقريع و التثريب * ولا بالتهديد و الترهيب * ولاتحتلب اخلاف مودته بالاذلال * ولايدرك مصون ما عنده بالامتهان والابتذال * و انما يحبس مثلى بالرغبه * ويقيد بقيد من الذهب والفضه ويرضى منه بالحياء و الوفاء كفيلين * وبالشكر و التذمم ضمينين * و انما الحر زجاج رقيق ثمين اذا رفق به واستعمل فى موضع مثله زين المجالس * وامتع المجالس * وكان مالا الا انه جمال * وجمالا الا انه مال * و اذا خرق به انكسر فعقر الكاسر * و اتعب الجابر * و غم السامع والناظر * وكان ينبغى لاصحابنا ان يقتنصونى بحبالة الاحسان و البر * ويرتبطونى بحبال الحفاظ و الشكر * ويعلموا ان البازى العتيق لا يصبر على الاضاعه * ولايقيم فى بيت المجاعه * ومن اصطنع

اليوم شكر غدا * ومن وجد الاحسان قيدا تقيد * ولكن كيف يصون الادب مغرم * ولم يؤد عنه الى المؤدب درهم * وكيف يخالف الانسان مقتضى نسبته * ويطيب الثمر مع خبث تربته * هيهات ان الفرس الجواد يجرى على عتقه * وان الفرع ينزع الى عرقه *

وان مقامى حيث خيمت محنة * تدل على فهم الكرام الاجاود

ولكن جزى الله اصحابنا عن تعليمهم خيرا * فقد تحولت شكايتى لهم شكرا * وذلك انهم عرفونى بمقادير الكرام * وقاموا فى تأديبى مقام تصاريف الايام * ودبغتنى بهم التجارب * وراضتنى بايديهم النوائب * ولاحت لى ببركاتهم الغيوب والعواقب * فانا تلميذهم فى اتمام الايام * وخريجهم فى معرفة احوال الانام * والمستفيد فيهم وبهم معرفة سياقة ما بين الفعل والكلام فكيف لا اشكر قوما افادونى عقلا * وان لم يفيدونى نيلا * وزادونى ادبا * وان لم يزيدونى نشبا * وعهدى وانا بالعراق مفيد * فاصبحت وانا بخراسان مستفيد * وهذه الزيادة من عطايا هذه الحضرة وهذه النادرة التى توجهت الى من بركات هذه الدولة والسلام

﴿ وكتب الى كثير بن احمد لما هرب الى الرى ﴾

ورد على كتاب الشيخ وفهمته * والمواعيد التى اراد الشيخ ان يسحرنى برقاها * ويخدعنى عن بواطن عيوبها بظواهر حلاها * فقد طلبت عنها ثوابا * ولها جوابا * فلم اجد غير قول عبيد

لا اعرفنك بعد الموت تندبنى * وفى حياتى ما زودتنى زادا

انا ايد الله الشيخ رجل قد اخترت نيسابور دارا * واخترت سلطانها من الملوك جارا * حتى جعلتها بيتا اعمره * والدنيا جسرا اعبره * لآمن بها على مالى وولدى بعد مماتى * ولا اخاف بها على روحى وعرضى فى حياتى * ولو علمت انى اسام خدمة من ليس له اثر على * واصادر على نعمة لم تصل الى * لفارقت دار

دار الهوان * ولكان جناحى وافر الطيران * ذكر انه تلطف بالامير حتى سل منه السخيمه * وحمله على ان اغتفر الجريمه * وما عرفت لى جرما يحتمل معذره * او ذنبا يستوجب مغفره * فان كان الامير غفر لى ما سأجنيه من السيئات * فهلا شكرنى على ماسآتيه من الحسنات * وكيف استخار السلف فيما يتعلق بالعقوبه * ولم يستخره فيما يتعلق بالمثوبه * فان كان مراده ان اقر على نفسى بذنب ما اتيته والتزم بشكر جميل ما اوتيته * فهذه صدقة قد سامنيها والصدقة لاتحل من الفقراء الى الاغنياء * ولا يحسن بالامراء قبولها من الشعراء * وان كان يريد ان يتوصل بهذا الى اجتناء ثمرات اللسان * ويحب ان يسير ذكره فى اثناء هذه المعانى الحسان *

فالناس اكيس من ان يحمدوا رجلا * ما لم يروا عنده آثار احسان

وانما لسانى خادم من خدم فؤادى * ومتصرف من متصرفى مرادى * فكيف يفتات على بشكر غيره * وكيف يجود بما هو متصرف فيه لغيره * وانما لسان الشاعر روضة لاتسلف الزهر * حتى تستسلف المطر * ولاتضحك فى وجه السماء * الا بعد ان تستوفى حقها من الانداء * وان كان الشيخ يرضى بعد هذا كله بظاهر اعتذارى * فقد خرجت اليه من عهدة اضمارى * وانا اقر بذنوب العالمين * حتى بذنب ابليس فى الاولين * وحتى بذنب هاروت وماروت فى المتقدمين * والتزم كل المعايب حتى معايب بنى اميه * ومعايب بغلة ابى دلامه واقول قد ادبنى الليل والنهار * وثقفتنى الاحوال والاطوار * فابصرت قصدى * وتبينت رشدى * فليلبسنى الامير برضاه عن ثوب العزه * كما البسنى بغضبه على ثوب الذله * وليجعلنى عبدا اعوج فقوم * وجهل فعلم * فلما عرف نفسه * وتلافى يومه امسه * رد عليه مكانه * ورجع اليه زمانه * فادعى ان النابغة الذبيانى ما اعتذر الا عنى * ولم يك لسانه الا بضعة منى * وانتحل قول على بن الجهم

ليس عندى وان تغضبت الا * طاعة حرة وقلب سليم

وانتظار الرضا فان رضا السا * دات عفو وعتبهم تقويم

وكتب الى رئيس قم

بسطنى الشيخ ثم انقبض عنى * ودعانى ثم هرب منى * وكان وليس له مثل الاكمن خطب الى حر كريمته فلما زفها اليه اغلق عنها بابه * وارخى دونها حجابه * فعرض الصهر للهجنه * والعروس للتهمه * ولعلى اتيت منى * واصبت الشيخ بعينى * لما رأيته قد احيا مواتا من الود * وسبق الى باكورة من كرم العهد * وقد ثبت من ان انظر الى اصدقائى بعين العجب بهم * وارمقهم بما يدعونى الى الحب لهم * لابل سأتعامى عن محاسنهم ان رأيتها * واتغابى عنها وان دريتها * ان شاء الله تعالى

وكتب الى مؤدب امير خوزستان

ذكر الشيخ من غمه بغيبتى فيما كان * وفرحه باوبتى الآن * ما قلبى عليه شاهد * وعلى الشهادة زائد * لانه لا يمين على شاهد * وانا احلف على هذه الشهاده * فاكون قد وفيت بما وعدته من الزياده * ولقد رأيت الاخوان غير شيخى ومودتهم خلق يبيعونه ممن اشتراه * ويعرضونه على كل من رآه * ومهر هذه الحال قلبى فقد احتوى عليه * وودى فقد تمسك بطرفيه * والاحرار تستعبد بالاحسان * من حيث تستعبد المماليك باغلى الاثمان * على ان المملوك يعتق بلفظه * ويباع فى صفقة ويزول عنه الرق فى لحظه * والحر لا تزيده الايام الا رقا لمن اصطنعه * وتواضعا لمن رفعه * ولقد عجبت من محاسبة الشيخ نفسه عن اصدقائه * ومؤاخذته قلبه بشرائط وفائه * مع انه فى زمان قد مرجت فيه عهود الاخوان * واعطوا واخذوا اموالهم بالميزان * ومالوا مع الرجحان على النقصان * ورضوا من القلب باللسان * ومن الغيب بالعيان * واذا تبين التاجر كساد السلعه * تجوز فى الصنعه * واذا قل المتاع * فتر البياع * والحمد لله الذى رزقنى من شيخى صديقا يجمل بقربه * ويوثق بغيبه * ولا يخاف الغير من لسانه ويده * فلا سلبت

هذه

هذه النعمى * ولا حوسبت على هذه الموهبة العظمى * فان الايام قلما رأت بيدى علقا نفيسا الا سلبتنى * وقلما اعطتنى مما احب شيئا الا حاسبتنى * حتى انى او صادفت الهوآء لجعلته حمى لا يطال جانبه * ولو اختصصت بالماء لصيرته منبعا لا يروى شاربه * فاما الناس فما احصى فيهم عددا ممن ابتعته فباعنى * وحفظته فاضاعنى * واستعنت به على الزمان فاعانه على * واستظهرت بمكانه على الاعداء فكان مقدمهم الى * اللهم نفق سوق الوفاء فقد كسدت * واصلح قلوب الناس فقد فسدت * ولا تمتنى حتى يبور الجهل * كما بار العقل * ويموت النقص كما مات الفضل *

وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى

بشرنى كتاب الشيخ من سلامته ببشارة صغرت عندى البشائر * وفاتت النظائر * وملأت المسامع والنواظر * فلا زالت امداد صنع الله تعالى له متناسقة * والايام له بما يهوى موافقة * وجعل الله تعالى تلك العثرة غلطة تاب الدهر منها * وخطيئة انكرها ورجع عنها * فان الشيخ يحسن فى لباس النعمة * ويقبح فى زى المحنة * وان غيره اذا لبس النعمة كانت عليه اجنبية ويعلم انه اخذها عارية اليسير الذى رسم لى الشيخ به حملت اليه جملته ولو اخذنى فيما اخذه منى لاستقلالته له واستصغرته دونه والذى ارجع اليه فهو مقسوم بينه وبينى * فان اذن فهوله دونى * حملت الى الخزانة نسخة رسائلى فنصفها مصحف * ونصفها محرف * والكلام الوسط بالخط الوسط كالعجوز السوداء تجلى على العيون فينضاف قبح الجلوة * الى قبح الكسوة * وتغطى على ظلمة الدواء * ظلمة الوعاء * وتتضاعف السماجة ضعفين * وتقذى العين من لونين * فيصير القلب اسير العين * بلغنى ان الشيخ قد اغتم لما ندب لعمل يصغر فيه ويكبر عنه فانكرت ذلك من فعله * وكتبته فى هفوات عقله * العمل ايد الله تعالى الشيخ ثوب يحسن بصاحبه * ومركب يجل براكبه * فالصغير منه بالكبير كبير * والكبير منه بالصغير صغير * وكأنى بالتميز وقد

نبع منة نابع * و بدولة الانتقاد و قد طلع من سعودها طالع * و برجالات الحضرة و قد تذاكروا مظان الآجال * و مساقط الرجال * فعثروا باسم الشيخ فردوا عليه رتبته * و قوموه قيمته * وجاء الدهر يعترف بما اقترف * ويأتنف خلاف ما سلف * و انما خدمة السلطان نار * بينما هى شرار * اذ ملأت دارا * واحرقت اوقارا * وصيرت الليل نهارا * و لا صغير من الولاية كما لا كبير من العطلة و السلام

﴿وكتب الى جماعة الشيعة بنيسابور لما قصدهم محمد بن ابراهيم واليها﴾

سمعت ارشد الله سعيكم * وجمع على التقوى امركم * ما تكلم به السلطان الذى لا يتحامل الا على العدل * و لا يميل الا على جانب الفضل * و لا يبالى بان يمزق دينه اذا رفا دنياه * و لا يفكر فى ان لا يقدم رضا الله اذا وجد رضاه و انتم و نحن اصلحنا الله و اياكم عصابة لم يرض الله لنا الدنيا فذخرنا للدار الاخرى ورغب بنا عن ثواب العاجل * فاعد لنا ثواب الآجل * و قسمنا قسمين قسما مات شهيدا * وقسما عاش شريدا * فالحى يحسد الميت على ما صار اليه * و لا يرغب بنفسه عما جرى اليه * قال امير المؤمنين ويعسوب الدين عليه السلام المحن الى شيعتنا اسرع من الماء الى الحدور و هذه مقالة اسست على المحن * وولد اهلها فى طالع الهزاهز و الفتن * فحياة اهلها نغص * وقلوبهم حشوها غصص * و الايام عليهم متحاملة * و الدنيا عنهم مائلة * فاذا كنا شيعة ائمتنا فى الفرائض و السنن * ومتبعى آثارهم فى كل قبيح وحسن فينبغى ان نتبع آثارهم فى المحن * غصبت سيدتنا فاطمة صلوات الله عليها و على آلها ميراث ابيها صلوات الله عليه وعلى آله يوم السقيفة وآخر امير المؤمنين عن الخلافة وسم الحسن رضى الله عنه سرا * و قتل اخوه كرم الله وجهه جهرا * وصلب زيد بن على بالكناسة و قطع رأس زيد بن على فى المعركة و قتل ابناه محمد و ابراهيم على يد عيسى بن موسى العباسى و مات موسى ابن جعفر فى حبس هرون وسم على بن موسى بيد المأمون و هزم ادريس بفخ

حتى

حتى وقع الى الاندلس فريدا * ومات عيسى بن زيد طريدا شريدا * و قتل يحيى بن عبد الله بعد الامان و الايمان * وبعد تاكيد العهود و الضمان * هذا غير ما فعل يعقوب بن الليث بعلوية طبرستان * وغير قتل محمد بن زيد والحسن ابن القاسم الداعى على ايدى آل ساسان * وغير ما صنعه ابو الساح (كذا) فى علوية المدينة حملهم بلا غطاء و لا وطاء من الحجاز الى سامرا وهذا بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلى لابن عمر بن على حين اخذه بأبويه و قد ستر نفسه * و وارى شخصه * يصانع عن حياته * و يدافع عن وفاته * و لا كما فعله الحسين بن اسمعيل المصعبى بيحيى بن عمر الزيدى خاصة * و ما فعله مزاحم بن خاقان بعلوية الكوفة كافة * و بحسبكم انه ليست فى بيضة الاسلام بلدة الا وفيها لقتيل طالبى ترة تشارك فى قتلهم الاموى و العباسى * و اطبق عليهم العدنانى و القحطانى *

فليس حى من الاحياء نعرفه * من ذى يمان و لا بكر و لا مضر
الا وهم شركاء فى دمائهم * كما تشارك ايسار على جزر

فادتهم الحمية الى المنية * وكرهوا عيش الذلة فماتوا موت العزة * و وثقوا بما لهم فى الدار الباقية * فسخت نفوسهم عن هذه الفانية * ثم لم يشربوا كاسا من الموت الا شربها شيعتهم و اولياؤهم * ولا قاسوا لونا من الشدائد الا قاساه انصارهم و اتباعهم * داس عثمان بن عفان بطن عمار بن ياسر بالمدينة و نفى ابا ذر الغفارى الى الربذة و اشخص عامر بن عبد قيس التميمى * و غرب الاشتر النخعى * وعدى ابن حاتم الطائى * و سير عمر بن زرارة الى الشام و نفى كميل بن زياد الى العراق و جفا ابى بن كعب و اقصاه * و عادى محمد بن حذيفة و ناواه * و عمل فى دم محمد ابن سالم ما عمل * و فعل مع كعب ذى الخطبة ما فعل * و اتبعه فى سيرته بنو امية يقتلون من حاربهم * و يغدرون بمن سالمهم * لا يحفلون المهاجرى * و لا يصونون الانصارى * و لا يخافون الله ولا يحتشمون الناس قد اتخذوا عباد الله خولا * ومال الله دولا * يهدمون الكعبة * و يستعبدون الصحابة * و يعطلون الصلاة الموقوتة و يختمون اعناق الاحرار * و يسيرون فى حرم المسلمين سيرتهم فى حرم الكفار * و اذا فسق الاموى فلم يأت بالضلالة * عن كلالة * قتل معاوية حجر بن عدى الكندى * و عمرو بن الحمق الخزاعى بعد

الايمان المؤكدة والمواثيق المغلظة و قتل زياد بن سمية الاوف من شيعة الكوفة و شيعة البصرة صبرا * و اوسعهم حبسا و اسرا * حتى قبض الله معاوية على اسوأ اعماله * وختم عمره بشر احواله * فاتبعه ابنه يجهز على جرحاه و يقتل ابناء قتلاه * الى ان قتل هانئ بن عروة المرادى و مسلم بن عقيل الهاشمى اولا وعقب بالحرث بن زياد الرياحى * وبابى موسى عمرو بن قرطة الانصارى * وحبيب بن مظهر الاسدى * وسعيد بن عبد الله الحنفى * و نافع بن هلال الجملى * و حنظلة بن اسعد الشامى * و عابس بن ابى شبيب الشاكرى * فى نيف و سبعين من جماعة شيعة و امر بالحسين عليه السلام يوم كربلا ثانيا ثم سلط عليهم الدعى ابن الدعى عبيد الله بن زياد يصلبهم على جذوع النخل * و يقتلهم الوان القتل * حتى اجتث الله دابره ثقيل الظهر بدمائهم التى سفك * عظيم التبعة بجريهم الذى انتهك * فانتبهت لنصرة اهل البيت طائفة اراد الله ان يخرجهم من عهدة ما صنعوا و يغسل عنهم وضر ما اجترحوا فصمدوا صمد الفئة الباغية * و طلبوا بدم الشهيد الدعى ابن الزانية * لا يزيدهم قلة عددهم * وانقطاع مددهم * وكثرة سواد اهل الكوفة بازائهم الا اقداما على القتل و القتال * و سخاء بالنفوس و الاموال * حتى قتل سلمان بن صرد الخزاعى و المسيب بن نجية الفزارى و عبد الله بن وال التيمى فى رجال من خيار المؤمنين * و علية التابعين * و مصابيح الانام * و فرسان الاسلام * ثم تسلط ابن الزبير على الحجاز و العراق فقتل المختار * بعد ان شفى الاوتار * و ادرك الثار * و افنى الاشرار * وطلب بدم المظلوم الغريب فقتل قاتله * و نفى خاذله * و اتبعوه ابا عمر بن كيسان و احمر بن شميط و رفاعة بن يزيد و السائب بن مالك و عبد الله بن كامل و تلقطوا بقايا الشيعة يمثلون بهم كل مثلة * و يقتلونهم شر قتلة * حتى طهر الله من عبد الله بن الزبير البلاد * و اراح من اخيه مصعب العباد * فقتلهما عبد الملك بن مروان كذلك تولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون بعد ما حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية واراد احراقه * و نفى عبد الله بن العباس و اكثر ارهاقه * فلما خلت البلاد لآل مروان سلطوا الحجاج على الحجازيين * ثم على العراقيين *

فتلعب

فتلعب بالهاشميين و اخاف الفاطميين * وقتل شيعة على و محا آثار بيت النبى وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعى * واتصل البلاء مدة ملك المروانية الى الايام العباسية حتى اذا اراد الله ان يختم مدتهم بأكثر آثامهم * و يجعل اعظم ذنوبهم فى آخر ايامهم * بعث على بقية الحق المهمل * و الدين المعطل * زيد ابن على فخذله منافقوا اهل العراق و قتله احزاب اهل الشام و قتل معه من شيعته نصر بن خزيمة الاسدى * و معاوية بن اسحق الانصارى * و جماعة من شايعه و تابعه وحتى من زوجه و ادناه وحتى من كلمه و ماشاه * فلما انتهكوا ذلك الحريم * و اقترفوا ذلك الاثم العظيم * غضب الله عليهم * و انتزع الملك منهم * فبعث عليهم ابا مجرم * لا ابا مسلم * فنظر لا نظر الله اليه الى صلابة العلوية و الى لين العباسية فترك تقاه * واتبع هواه * و باع آخرته بدنياه * وافتتح عمله بقتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب و سلط طواغيت خراسان * و خوارج سجستان * و اكراد اصفهان على آل ابى طالب يقتلهم تحت كل حجر و مدر و يطلبهم فى كل سهل و جبل حتى سلط عليه * احب الناس اليه * فقتله كما قتل الناس فى طاعته * واخذه بما اخذ الناس فى بيعته * و لم ينفعه ان اسخط الله برضاه * و ان ركب مالا يهواه * و خلت من الدوانيقى الدنيا فخبط فيها عسفا * و تقضى فيها جورا و حيفا * الى ان مات وقد امتلأت سجونه باهل بيت الرسالة و معدن الطيب و الطهارة قد تتبع غائبهم و تلقط حاضرهم * حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسنى بالسند على يد عمر بن هشام بن عمر التغلبى فما ظنك بمن قرب متناوله عليه * ولان مسه على يديه * و هذا قليل فى جنب ما قتله هرون منهم * و فعله موسى قبله بهم * فقد عرفتم ما توجه على الحسن بن على بفخ من موسى و ما اتفق على على بن الافطس الحسينى من هارون و ما جرى على احمد بن على الزيدى و على القاسم بن على الحسنى من حبسه و على ابن غسان حاضر الخزاعى حين اخذ من قبله و الجملة ان هرون مات وقد حصد شجرة النبوة و اقتلع غرس الامامة و انتم اصلحكم الله اعظم نصيبا فى الدين من الاعمش فقد شتموه * و من شريك فقد عزلوه *

و من هشام بن الحكم فقد اخافوه * و من على بن يقطين فقد اتهموه * فاما فى الصدر الاول فقد قتل زيد بن صرحان العبدى * و عوقب عثمان بن حنيف الانصارى * و نفى حارثة بن قدامة السعدى * و جندب بن زهير الازدى * و شريح بن هانئ المرادى * و مالك بن كعب الارحبى * و معقل بن قيس الرياحى * و الحرث الاعور الهمدانى * و ابو الطفيل الكنانى * و ما فيهم الا من خر على وجهه قتيلا * او عاش فى بيته ذليلا * يسمع شتمة الوصى فلا ينكر * و يرى قتلة الاوصياء و اولادهم فلا يغير * و لايخفى عليكم حرج عامتهم و حيرتهم كجابر الجعفى * وكرشيد الهجرى و كزرارة بن اعين و كفلان و ابى فلان ليس الا انهم رحمهم الله كانوا يتولون اولياء الله * و يتبرؤن من اعداء الله * و كفى به جرما عظيما عندهم * و عيبا كبيرا بينهم * و قل فى بنى العباس فانك ستجد بحمد الله تعالى مقالا * و جل فى عجائبهم فانك ترى ما شئت مجالا * يجبى فيؤهم فيفرق على الديلمى و التركى * و يحمل الى المغربى و الفرغانى * و يموت امام من ائمة الهدى و سيد من سادات بيت المصطفى فلا تتبع جنازته * و لا تجصص مقبرته * و يموت ضراط لهم او لاعب * او مسخرة او ضارب * فتحضر جنازاته العدول و القضاء * و يعمر مسجد التعزية عنه القواد و الولاه * و يسلم فيهم من يعرفونه دهريا او سوفسطائيا و لايتعرضون لمن يدرس كتابا فلسفيا و مانويا و يقتلون من عرفوه شيعيا * و يسفكون دم من سمى ابنه عليا * و لو لم يقتل من شيعة اهل البيت غير المعلى بن حبيش قتيل داود بن على و لو لم يحبس فيهم غير ابى تراب المروزى لكان ذلك جرحا لا يبرأ * و نائرة لا تطفأ * و صدعا لايلتئم * و جرحا لايلتحم * و كفاهم ان شعراء قريش قالوا فى الجاهلية اشعارا يهجون بها امير المؤمنين عليه السلام و يعارضون فيها اشعار المسلمين فحملت اشعارهم * ودونت اخبارهم * و رواها الرواة مثل الواقدى ووهب بن منبه التميمى و مثل الكلبى و الشرقى بن القطامى و الهيثم بن عدى وداب بن الكنانى و ان بعض شعراء الشيعة يتكلم فى ذكر مناقب الوصى بل فى ذكر معجزات النبى صلى الله عليه و سلم فيقطع لسانه * و يمزق ديوانه * كما فعل بعبد الله بن عمار البرقى * و كما اريد بالكميت بن زيد الاسدى * و كما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمرى * و كما دمر على دعبل بن على الخزاعى * مع

رفقتهم

رفقتهم من مروان بن ابى حفصة اليمامى و من على بن الجهم الشامى ليس الا لغلوهما فى النصب * و استيجابهما مقت الرب * حتى ان هرون ابن الخيزران * و جعفرا المتوكل على الشيطان لا على الرحمن * كانا لا يعطيان مالا و لا يبذلان نوالا * الا لمن شتم آل ابى طالب * و نصر مذهب النواصب * مثل عبد الله بن مصعب الزبيرى و وهب بن وهب البخترى و من الشعراء مثل مروان بن ابى حفصة الاموى و من الادباء مثل عبد الملك بن قريب الاصمعى فاما فى ايام جعفر فمثل بكار بن عبد الله الزبيرى و ابى السمط بن ابى الجون الاموى و ابن ابى الشوارب العيشمى و نحن ارشدكم الله قد تمسكنا بالعروة الوثقى و آثرنا الدين على الدنيا و ليس يزيدنا بصيرة زيادة من زاد فينا * و لن يحل لنا عقيدة نقصان من نقص منا * فان الاسلام بدأ غريبا و سيعود كما بدأ كلمة من الله * و وصية من رسول الله * يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين و مع اليوم غد * و بعد السبت احد * قال عمار بن ياسر رضى الله عنه يوم صفين لو ضربونا حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا انا على الحق و انهم على الباطل و لقد هزم رسول الله صلوات الله عليه ثم هزم * و لقد تأخر امر الاسلام ثم تقدم * ألم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون و لولا محنة المؤمنين و قلتهم * و دولة الكافرين و كثرتهم * لما امتلأت جهنم حتى تقول هل من مزيد و لما قال الله تعالى و لكن اكثرهم لا يعلمون و لما تبين الجزوع من الصبور * و لا عرف الشكور من الكفور * و لما استحق المطيع الاجر * و لا احتقب العاصى الوزر * فان اصابتنا نكبة فذلك ما قد تعودناه * و ان رجعت لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه * و عندنا بحمد الله تعالى لكل حالة آلة * و لكل مقامة مقالة * فعند المحن الصبر * و عند النعم الشكر * و لقد شتم امير المؤمنين عليه السلام على المنابر الف شهر * فما شككنا فى وصيته * و كذب محمد صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة فما اتهمناه فى نبوته * و عاش ابليس مدة تزيد على المدد فلم نرتب فى لعنته * و ابتلينا بفترة الحق و نحن مستيقنون بدولته * و دفعنا الى قتل الامام بعد الامام و الرضا بعد الرضا و لا مرية عندنا فى صحة امامته * و كان وعد الله مفعولا * و كان امر الله قدرا مقدورا * كلا سوف تعلمون * ثم كلا

سوف تعلمون * و سيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون * و لتعلمن نبأه بعد حين اعلموا رحمكم الله ان بنى امية الشجرة الملعونة فى القرآن * و اتباع الطاغوت والشيطان * جهدوا فى دفن محاسن الوصى و استأجروا من كذب فى الاحاديث على النبى صلى الله عليه وسلم و حولوا الجوار الى بيت المقدس عن المدينة و الخلافة زعموا الى دمشق عن الكوفة و بذلوا فى طمس هذا الامر الاموال * و قلدوا عليه الاعمال * و اصطنعوا فيه الرجال * فما قدروا على دفن حديث من احاديث رسول الله صلى الله عليه و على آله و لا على تحريف آية من كتاب الله تعالى و لا على دس احد من اعداء الله فى اولياء الله و لقد كان ينادى على رؤسهم بفضائل العترة و يبكت بعضهم بعضا بالدليل و الحجة لا تنفع فى ذلك هيبة * و لا يمنع منه رغبة و لا رهبة * والحق عزيز و ان استذل اهله * وكثير و ان قل حزبه * و الباطل ذليل و ان رصع بالشبهة و قبيح و ان غطى وجهه بكل مليح قال عبد الرحمن بن الحكم و هو من انفس بنى امية

سمية امسى نسلها عدد الحصا * و بنت رسول الله ليس لها نسل

﴿ غيره ﴾

لعن الله من يسب عليا * وحسينا من سوقة و امام

و قال ابو دهبل الجمحى فى حمة سلطان بنى امية و ولاية آل بنى سفيان

تبيت السكارى من امية نوما * و بالطف قتلى ما ينام حميمها

﴿ و قال سليمان بن قتة ﴾

و ان قتيل الطف من آل هاشم * اذل رقاب المسلمين فذلت

و قال الكميت بن زيد و هو جار خالد بن عبد الله القسرى

فقل لبنى امية حيث حلوا * و ان خفت المهند و القطيعا

اجاع الله من اشبعتموه * واشبع من بجوركم اجيعا

و ما هذا باعجب من صياح شعراء بنى العباس على رؤسهم بالحق و ان كرهوه و بتفضيل من نقصوه و قتلوه قال المنصور بن الزبرقان على بساط هرون

آل

آل النبى ومن يحبهم * يتطامنون مخافة القتل
ومن النصارى و اليهود وهم * من امة التوحيد فى ازل

و قال دعبل بن على و هو صنيعة بنى العباس وشاعرهم

ألم ترانى مذ ثمانين حجة * اروح و اغدو دائم الحسرات
ارى فيأهم فى غيرهم متقسما * و ايديهم من فيئهم صفرات

و قال على بن العباس الرومى و هو مولى المعتصم

تأليت ان لا يبرح المرء منكم * يتل على حر الجبين فيعفج
كذاك بنو العباس تصبر منكم * و يصبر للسيف الكمى المدجج
لكل اوان للنبى محمد * قتيل زكى بالدماء مضرج

و قال ابراهيم بن العباس الصولى و هو كاتب القوم و عاملهم فى الرضا لما قربه المأمون

يمن عليكم باموالكم * و تعطون من مائة واحدا

و كيف لا ينتقصون قوما يقتلون بنى عمهم جوعا و سغبا * و يملأون ديار الترك و الديلم فضة و ذهبا * يستنصرون المغربى و الفرغانى * و يجفون المهاجرى و الانصارى * و يولون انباط السواد وزارتهم * و قلف العجم و الطماطم قيادتهم * و يمنعون آل ابى طالب ميراث امهم و فئ جدهم يشتهى العلوى الاكلة فيحرمها * و يقترح على الايام الشهوة فلا يطعمها * و خراج مصر و الاهواز * و صدقات الحرمين و الحجاز * تصرف الى ابن ابى مريم المدينى و الى ابراهيم الموصلى و ابن جامع السهمى و الى زلزل الضارب و برصوما الزامر و اقطاع بختيشوع النصرانى قوت اهل بلد و جارى بغا التركى و الافشين الاشروسنى كفاية امة ذات عدد و المتوكل زعموا يتسرى باثنى عشر الف سرية * و السيد من سادات اهل البيت يتعفف بزنجية او سندية * و صفوة مال الخراج مقصور على ارزاق الصفاعنة * و على موائد المخانثة * و على طعمة الكلابين * و رسوم القرادين * و على مخارق و علوية المغنى و على زرزر و عمر بن بانة الملهى و يبخلون على الفاطمى باكلة او شربة * و يصارفونه

على دانق و حبة * و يشترون العوادة بالبدر * و يجرون لها ما يفى برزق عسكر * و القوم الذين احل لهم الخمس و حرمت عليهم الصدقة و فرضت لهم الكرامة و المحبة يتكففون ضرا * و يهلكون فقرا * و يرهن احدهم سيفه * و يبيع ثوبه * و ينظر الى فيئه بعين مريضة * و يتشدد على دهره بنفس ضعيفة * ليس له ذنب الا ان جده النبي و ابوه الوصى و امه فاطمة و جدته خديجة و مذهبه الايمان * و امامه القرآن * و حقوقه مصروفة الى القهرمانة و المضرطة * والى المغمزة و الى المزررة * و خمسه مقسوم على نقار الديكة الدمية و القردة * و على عرس اللعبة و اللعبة * و على مربية الرحلة * و ماذا اقول فى قوم حملوا الوحوش على النساء المسلمات * و اجروا لعباده و ذويه الجرايات * و حرثوا تربة الحسين عليه السلام بالفدان * و نفوا زواره الى البلدان * و ما اصف من قوم هم نطف السكارى فى ارحام القيان * و ماذا يقال فى اهل بيت منهم نبغ البغا و فيهم راح التخنيث و غدا و بهم عرف اللواط كان ابراهيم بن المهدى مغنيا و كان المتوكل مؤنثا موضعا و كان المعتز مخنثا و كان ابن زبيدة معتوها مفركا و قتل المأمون اخاه * و قتل المنتصر اباه * و سم موسى ابن المهدى امه * و سم المعتضد عمه * و لقد كانت فى بنى امية مخازى تذكر * و معايب تؤثر * كان معاوية قاتل الصحابة و التابعين * و امه آكلة اكباد الشهداء الطاهرين * و ابنه يزيد القرود * مربى الفهود * و هادم الكعبة و منهب المدينة و قاتل العترة * و صاحب يوم الحرة * و كان مروان الوزغ ابن الوزغ لعن النبى صلى الله عليه و على آله اباه و هو فى صلبه * فلحقته لعنة الله ربه * و كان عبد الملك صاحب الخطيئة التى طبقت الارض و شملت * و هى توليته الحجاج بن يوسف الثقفى فاتك العباد * و قاتل العباد * و مبيد الاوتاد * و مخرب البلاد * و خبيث امة محمد الذى جاءت به النذر * و ورد فيه الاثر * و كان الوليد جبار بنى اميه و ولى الحجاج على المشرق و قرة بن شريك على المغرب و كان سليمان صاحب البطن الذى قتله بطنه كظه و مات بشما و تخمة و كان يزيد صاحب سلامة و حبابة الذى نسخ الجهاد بالخمر * و قصر ايام خلافته على العود و الزمر * و اول من اغلى سعر المغنيات * و اعلن

بالفاحشات

بالفاحشات * و ماذا اقول فيمن اعرق فيه مروان من جانب * و يزيد بن معاوية من جانب * فهو ملعون بين ملعونين * و عريق فى الكفر بين كافرين * و كان هشام قاتل زيد بن على مولى يوسف بن عمر الثقفى و كان الوليد بن يزيد خليع بنى مروان * الكافر بالرحمن * الممزق بالسهام القرآن * و اول من قال الشعر فى نفى الايمان * و جاهر بالفسوق و العصيان * و الذى غشى امهات اولاد ابيه * و قذف بغشيان اخيه * و هذه المثالب مع عظمها و كثرتها * و مع قبحها و شنعتها * صغيرة و قليلة فى جنب مثالب بنى العباس الذين بنوا مدينة الجبارين و فرقوا فى الملاهى و المعاصى اموال المسلمين * هؤلاء ارشدكم الله الائمة المهديون الراشدون * الذين قضوا بالحق و به يعدلون * بذلك يقف خطيب جمعتهم * و بذلك تقوم صلاة جماعتهم * فان كسد التشيع بخراسان فقد نفق بالحجاز و الحرمين * و الشام و العراقين * و بالجزيرة و الثغرين * و بالجبل و اليغارين * و ان تحامل علينا وزير او امير فانا نتوكل على الامير الذى لايعزل * و على القاضى الذى لم يزل يعدل * و على الحكم الذى لايقبل رشوة و لايطلب سجلا و لاشهادة و اياه تعالى نحمد على طهارة المولد * و طيب المحتد * و نسأله ان لايكلنا الى انفسنا * و لايحاسبنا على مقتضى عملنا * و ان يعيذنا من رعونة الحشوية * و من لجاج الحرورية * و شك الواقفية * و ارجاء الحنفية * و تخالف اقوال الشافعية * و مكابرة البكرية * و نصب المالكية * و اجبار الجهمية و النجارية و كسل الراوندية * و روايات الكيسانية * و جحد العثمانية * و تشبيه الحنبلية و كذب الغلاة الخطابية * و ان لا يحشرنا على نصب اصفهانى و لا على بغض لاهل البيت طوسى او شاشى و لا على ارجاء كوفى و لا على تشبيه قمى و لا على جهل شامى و لا على تحنبل بغدادى و لا على قول بالباطن مغربى و لا على عشق لابى حنيفة بلخى و لا على تناقض فى القول حجازى و لا على مروق سجزى و لا غلو فى التشيع كرخى و ان يحشرنا فى زمرة من احببناه * و يرزقنا شفاعة من تولیناه * اذا دعا كل اناس بامامهم * و ساق كل فريق تحت لوائهم * انه سميع قريب * يسمع و يستجيب *

وكتب الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته

فهمت ماذكره الشيخ من توبة الدهر اليه من ذنبه * و خطبته لسلمه بعد حربه * وما لا يزال يتعرفه مذ انقشعت ضبابة المحنة * و انجلت غمرة الكربة * من صنع جديد فى ظل يوم جديد لم نحتسبه * وعز مؤتنف فى كل ساعة لم نحسبه * حتى لقد اشتم روائح عود الحال الى مائها الناضب * و رجوع الدولة الى رسمها الذاهب * و هكذا تكون احوال المقبلين * فان الايام اذا غالطت فجنت عليهم * رجعت فاعتذرت اليهم * والزمان اذا حاربهم خطأً سالمهم عمدا فيستوفون فى الحالين اجر المحنة * و زيادة بشكر النعمة * ثم يختم لهم بما هو بحالهم اليق وبمقاديرهم اوفق * والمحنة اذا كانت بعرض زوال فليست بمحنة * كما ان النعمة اذا انتظر بها التغيير فليست بنعمة * وانما الانسان من دهره فى يومه فاما امسه فافل * واما غده فامل * وكل غم سبب السرور فهو سرور * و كل ظلمة كانت طريقا الى النور فهى نور * ومن محاسن ايام المحن ان الانسان يعرف بها غش الاصدقاء * و يقف منها على اوزان الثقات و الاولياء * ويميز بين من هو صديق البلاء * و صديق الرخاء * ومن فوائدها انها تعلم المرء مقدار العافية و تعرفه اخراج زكاة الجاه والدولة و تحلى فى فمه ما يجده بعدها من طعم السلامة ومن منافعها انها تطلع الناس على مقادير قوم لولا المحنة لم يطلعوا عليها * و تظهر كفاية اناس لولا غيبتهم وحضور البدل منهم لم يهتدوا اليها والآن عرف الشيخ بحقيقته * و وزن بزنته * و وقف السلطان و الرعية على تفصيله وجملته * بحضور غيره و غيبته * وانما يعرف حق الافاضل * من دفع بعدهم الى عشرة الاراذل * ويشد يده بالخاصة * من ابتلى بعده بالعامة و ما اغلى الماء على من فقده * و ارخصه عند من وجده * هذا وقد صقلت هذه الفترة خلائق الشيخ بالتجارب * و وضعت فى يده مرآة النظر فى العواقب * و هذبت افعاله من كل شوب * و غسلت عنه وضر كل عيب * على انه لم يزل مبرأ من كل رذيلة * ومخصوصا بكل فضيلة * ولكن الايام عملها فى التعليم * وخاصتها فى باب التنبيه و التقويم * فالحمد لله الذى رد الى ذلك الامير جماله وبهاءه

و بهاءه * وعمر بابه وفناءه * وسر شيعته واولياءه * وغم حسدته و اعداءه ولم يفجعه بالعلق النفيس الذى لايشترى بالاثمان * ولا يوزن بالميزان * ولا يكال بالقفزان * ولا يرى مثله فى هذا الزمان * كما لم ير فى سائر الازمان * ثم الحمد لله الذى حول كتبى من التعزية الى التهنئة واخرج القاضى من ميدان الصبر * الى ميدان الشكر * وجعلنى رطب اللسان بالحمد لله * بعدما كنت رطب اللسان بانا لله * ثم الحمد لله الذى استجاب دعائى * ورحم بكائى وعلمنى كيف تطلب الحاجات * ومتى تستجاب الدعوات * وعرفنى ان الدهر غريم ربما يفى بما يعد * وحبلى ربما تتم فيما تلد * ثم الحمد لله الذى ارانى اهل خوارزم وقد عرفوا رجحان من فقدوه بمن وجدوه * كما عرفوا نقصان من وجدوه بمن كانوا فقدوه * وانشدوا قول حنظلة بن عرادة التميمى

عتبت على سلم فلما فقدته * وعاشرت اقواما رجعت الى سلم

و قول دعبل

و ترجعنى اليك وان تناءت * ديارى عنك تجربة الرجال

وكتب الى رئيس سمرقند

وصل كتاب سيدى بعد ان كنت ظننت لتأخره ظنونا اعيذه بل اعيذنى بالله من ان تصدق بها فراستى * او تتحقق مخيلتى * وظن المحب متوزع * والشفيق بسوء الظن متولع * الكتاب الذى ذكر سيدى لم يصل * ولقد كان الكاغد للجواب عنه موجودا * و الكاتب مشهودا * والوقت بحمد الله تعالى و منه طويلا ممدودا * افهم غير المفهوم وليت شعرى كيف سلط على كتبنا حتى اقتطعها دوننا سليك بن السلكة السعدى و اوفى بن مطر المازنى و عمرو بن براقة الهمدانى والشنفرى الازدى وتأبط شرا الفهمى والسمهرى العكلى و مالك ابن الريب المازنى و شظاظ وبرجان وكعب حدر ومالك بن خزيم وعمرو الكلب الهذلى * وجحدر البكرى و المنتشر بن وهيب الباهلى * و ابو

النشناش الحنظلى * و القتال الكلابى * و ابو حردبة و الحطيم التيمى * و اكتل و رزام الخربان * و اسكاب و الغداف القاطعان * و طهمان و من مثل طهمان و عبد العزيز و عرقل التيميان و و برة الغفارى و حاجر بن عمرو الازدى هؤلاء اصوص العرب و صعاليكها الذين كانوا يسلبون الناس سلبا * و يأخذون كل سفينة غصبا * و اما بعد اليوم اذا كتبت الى سيدى كتابا قرأت عليه المعوذتين * و علقت فى جيده تميمتين * و اخذت من حامله كفيلين * احدهما ذو الجناحين * و الآخر ذو النورين * حاجتى فى كذا قضيت بسيدى لا زال قيامه بالحوائج يحل ما يعقد * و يسهل ما يشدد * و لا زالت عنايته تفك اسيرا * و تيسر عسيرا * لا جرم لقد كتب على سجل رق * و قلد رقبتى له حقا يوفى على كل حق * و ان رجلا نقل هذا الدهر اللئيم من المذمة الى المحمدة * و علمه انجاز الموعدة * لرجل يحسن ان يغير الشيم * و ان يعلم اللئيم الكرم * فلا زالت اتحمل لسيدى عارفة تضاف الى سائر عوارفه * و آنف صنيع ينضم الى سالفه * حتى تسود حواشى جريدة نعمه على * و اياديه الى * فاعمل جريدة غيرها * و اضيف اليها مثلها *

﴿ وكتب الى ابى سعيد احمد بن شبيب جوابا عن كتاب له ورد عليه ﴾
﴿ يبشره فيه بخلاص وزير خوارزم شاه من المحنة ﴾

كان كتاب صاحب الجيش ورد مشحونا ببشارتين * اوردتا فرحتين * و اوجبتا شكرين * احداهما و هى كبراهما خبر سلامته * و سلامة احواله و نعمة الله تعالى عليه فى جملته * و الثانية خبر ما اتاح الله تعالى للوزير ابى فلان من الفرج الذى وافى بغتة * و ورد على القلوب و الاسماع فلتة * فما ادرى باية النعمتين كنت اكبر اعتدادا * و اكثرهما لمحاسن الايام تعدادا * و باية البشارتين كان سرورى اكبر حجما * و اعظم جرما * و لاية الفرحتين كان قلبى اطرب * و لسانى بشكر الله تعالى ارطب * على ان سلامة صاحب الجيش و ان كانت البشارة

البشارة التى توفى على البشائر * و النعمة التى تربى على النعم البواطن و الظواهر * فانها جرت مجرى الشيب اذا كانت متطلعة متشوفة * و متوقعة متوكفة * وردت على شيخ ينتظر موردها * و على قلب يتنجز موعدها * و خبر نعمة الله تعالى على ذلك الوزير و قد جرى مجرى بيضة العقر * و قام سماعه مقام افتراع البكر * ورد و القلوب فيه غير طامعة * و النفوس اليه غير منازعة * و اليأس قد ارتج باب الرجاء * و البلاء قد نسخ آيات الرخاء * و طول ايام الفترة * قد هزم بجيش الهم جيش المسرة * و كأن نعمة خرجت من بيت نقمة * و فرحة نبتت فى ارض غمة * و خبرا سارا مر على اذن طالما قرعها خبر البلاء * و على عين طالما باتت على السهر و اصبحت على البكاء * و السرور اذا خرج من الكمين كان انفس للزينة * و الضحك اذا وجد فى ساعة البكاء كان اغرب فى السماع والرؤية * و الحمد لله الذى جعل صاحب الجيش يهدى البشائر الى مضاعفة * و ينعم على النعم متراكمة مترادفة * و يورد على خبر سلامته فى نفسه التى هى اعز النفوس على * ممزوجا بخبر سلامة احب الناس بعده الى * لتكون ريح المسرة قد هبت على جنوبا و شمالا * و جناح الانس و الطرب قد رفرف حولى يمينا و شمالا * كأن الخيرات لا تعرف طريقا الى الا من بابه * و كأن البشائر لا تحسن ان تطلع على الا من كتابه و خطابه * و فهمته و عظم اعتدادى بورده لصاحب الجيش على انى لو انصفته لشكرته بلسانين * و احببته بقلبين * و كتبت بيدى بقلمين * و واليت ايامه و دولته بنفسين * كما انه يحسن الى من جهتين * و يبشرنى من جانبين * و يهدى الى الهدية ذات الطرفين * فاما ان نعمته على مثنى مثنى * و مكافاتى له عنها فرادى * فتلك اذن قسمة ضيزى و لكن متى استوفى فعل محسن و حال شاكر * و متى ربح رئيس على شاعر * و متى استوى من يطلب سائلا * و من يطلب نائلا * لا عدمت صاحب الجيش سيدا و سندا * و مددا و عضدا * و ركنا مؤيدا * و سنانا محددا * و سهما مسددا * و سيفا مجردا مهندا * و جندا مجندا * و عزا مؤبدا سرمدا * و لا خلوت منه ابدا *

وكتب الى خوارزم شاه

ورد على كتاب الامير مع فلان فلا ادرى ايهما كان اشد أسرورى بالرسول * ام سرورى بالمحمول * وفهمته ولما عرضته على اصدقائى * صار يحسدنى عليه اعدائى * فلما اجتلوا محاسن الكلام بقلوبهم * ومحاسن الخط بعيونهم علموا ان بخوارزم قوما من النجار الافضل * ومن الطراز الاول * اذا اخذوا الاقلام كتبوا * واذا اخذوا السيوف ضربوا * وان كان الامير رأس الجريدة وفارس الكتيبة ونكتة المسئلة وطراز الكسوة ووجه الرزمة وصدر الدست واول التخت * وخال الخد ودق الدق ولب اللب ويحسب الامير ان هذا الكتاب وافانى ليلا فاحببت له الليل حب كثير عزة وعشقته عشق جميل بثينة وابغضت له النهار بغض العاشق الفراق * وبغض العروس الطلاق * ولقد تركت الاسماع به مشحونة * والقلوب مفتونة * واتانى خلال ذلك فرح لا يسعنى جلدى منه فرحا * ولا تحملنى اعواد سرجى مرحا * فانشدت

واذا نظرت الى اميرى زادنى * ضناً به نظرى الى الامراء

ولقد قال لى من لا يدع فضلا الا تنقصه * ولا جميلا الا غمصه * هذه كتابة الوزير * لا كتابة الامير * فقلت له ما زدت على ان جعلت الفضل خادمه * والكمال تابعه * ومن خدمه الفضلاء فقد خدمه الفضل * ومن تصرف فى عمله العقلاء فقد تصرف له العقل * وكيف يخدم الفضلاء غير فاضل * ام كيف يرضى الكملة بالمقام على غير كامل * واصدرت الجواب الى حضرة الامير عمرها الله تعالى بوفود الرجاء * وملأ رحابها وابوابها برسل الملوك والرؤساء * وصرف اليها زمام كل رغبة * وثنى نحوها عنان كل رهبة * وجعلت هذه الاحرف جنيبة للجواب وجنائب القول من جنائب الخيل

وكتب الى العامل على البريد بالاهواز

كنت ظننت بك يا اخى ظنا كذبه قبح فعالك * وضعف هجرك ووصالك * فانك

فانك لا تعمل فيهما على قياس واجب ولا تصبر منهما على طعام واحد فلا جرم لقد رجعت فى ودى لك وما كنت ارجع فى هبة * وندمت على ثقتى بك وعهدى بى ان لا اندم على حسنة * وهذا ايدك الله تعالى رزقى من كل من اصفيته حبى * ووضعت فى يديه قلبى * فانا ابدا بين صديق اشكوه وقد كنت اشكره * واعذله وقد كنت اعذره * وارتجع قلبى منه كرها وقد سلمته اليه طوعا حتى لقد اشتغل قلبى بخوف الاصدقاء * عن خوف الاعداء * واشتغل شعرى بالعتاب عن المديح والهجاء * حتى لقد صرت اعد سوء الظن حزما وارى المساهلة غبنا واحسب المكافاة على القبيح عدلا * ومعاشرة الناس بالغش عقلا * وان كان هذا ليس جميلا فانا فيه تلميذ اصدقائى وهم فى الحمد عليه شركائى *

وكتب الى ابى حامد بن روزبه اديب قومس

وصل كتاب شيخى مكتوبا بخط ينطق بغير لسان * ويفصح من غير بيان * احسن من كل شئ غير كلام صاحبه * والطف من كل شئ غير اخلاق كاتبه * القصيدة قد حفظتها لما لحظتها * ورويتها لما رأيتها * ولو اجبت عنها * لسرقت الجواب منها * اذ كانت قد جمعت نشر البديع * وضمت اطراف الرصف والترصيع * ولو فعلت ذلك لكنت قد اهديت الى شيخى من ماله وخلعت عليه من يده وضربته بسيفه على انى قد طلقنى الشعر ولا اقول طلقته وانما الشعر بالطرب * او بالرغب او بالرهب * وما بقى شئ يسر به فاطرب * ولا بقى كريم فارغب * ولا بقى وجل فارهب

وكتب الى ابى زيد جوابا عن كتابه

وصل يا ولدى كتابك القصير نجدا * المختصر جدا * وفهمته ذكرت انك مشتاق الى اللقاء * ومستبطئ فى ذلك القدر والقضاء * والمسافة بيننا صغيرة

البقعة * ضيقة الرقعة * اذا ذرعت بذراع الهوى * ومسحت بيد الذكرى * وهى بعيدة اذا مسحت بيد التسلى * و نظر اليها بعين التغافل و التناسى * والبعيد قريب اذا التقى العزم و التوفيق * كما ان القريب بعيد اذا التقى التفريط والتعويق * فلا تتعلق باذناب العلل * لو صح منك الهوى ارشدت للحيل *

و كتب الى ابى حامد ايضا الاديب بقومس

ورد على كتاب الشيخ وهو اعز كتاب على الا انه كان صغيرا كايام لقائى له * قصيرا كمدة انسى به * على انه لا قليل من البر * و لا صغير من الذكر * على ان صغير البر الطف و اطيب * كما ان قليل الذكر اشهى و اعذب * عاتبنى الشيخ عتابا انسانى الرعد القاصف * والريح العاصف * و البرق الخاطف * و اردت جوابه فعقل لسانى عنه ذكر ايام تفض العزائم * و تسل السخائم * وما كل انسان يعطى السلطان على قلبه فيقلبه * و على شيطانه فيغلبه * فلم نزع شيخى قيصا من حسن العشرة ولم يزل يلبسه * واطلق لسانا لم يزل يحبسه * انا بكتاب شيخى اذا ورد على اشد سرورا من المشتاق الى التلاق * بعد طول الفراق * و من العاشق بالعناق * و من الاسير بالاطلاق * و من الفارك بالطلاق * فليتحفنى به * وليؤهلنى له * ان شاء الله تعالى

و كتب اليه ايضا

كتبت الى شيخى كتابا سامحت فيه يدى وخاطرى * و غالطت فى انتقاده قلبى وناظرى * لان رسوله كان اعجل من اير دخل نصفه * و من عامل حضر مشخصه * و من حاج لم يبق بينه و بين الموقف سوى ليلة * او بياض غدوة * وهو على فراسخ بعيدة * و فوق مطية بليدة * ومن منهزم رأى خلفه سواد الطلب * وخاف عاقبة فوات الروح والسلب * و من الحشرى يوم الجمعة وقد سمع الاذان * و ركب السلطان * فلازمنى حتى ضغطنى ضغط الغريم * وضبطنى

و ضبطنى ضبط الخصيم * و شغلنى عن بسم الله الرحمن الرحيم * فكتبت ويدى ترتعش * و قلبى ذهل دهش * و انا ارى لشيخى ان يستعمل هذا الرسول فى جباية المال * واستحثاث العمال * و اجتلاب الصدقات و الجوال * فانه يحاسب على اللحظة * و يضايق فى اللفظة * و يتقاضى تقاضيا يزهق النفس * و يقطع النفس * فلو عرف ملك الموت سره * لجعله خليفته و فوض اليه امره * فانه اكره منه لقاء * و اشد اقتضاء * وحاجتى ان لا يرده شيخى الى فانى ارحم الارض من ثقله * و احب بطنها و ابغض ظهرها من اجله * و السلام

و كتب تعزية الى ابى بكر

بلغنى ما قاساه شيخى ايده الله تعالى فى هذه المصيبة من غم يشكى * بل يبكى * و جزع يضنى * بل يفنى * والموت خطب ثقل حتى خف وكثر حتى قل وهان على الباقى لما رآه بالماضى و على المعزى لما نظره فى المعزى و دخل الجميع تحت قول المتنبى

يدفن بعضنا بعضا ويمشى * اواخرنا على هام الاوالى

وشيخى اعرف بالله * واقرأ لكتاب الله * واروى لاخبار رسول الله * من ان يتأدب بغير ادب الله * ولا يسلم لقضاء الله * ولكن لمفاجأة المصيبة لذعة يستراح منها الى مباثة الصديق * والى تسلية الاخ الشقيق * فقد يأنس المريض الى العائد وان علم انه لا يملك شفاءه * ولا يدفع بلاءه * جعلنا الله تعالى ممن يتنجز بالصبر ما وعده من البشرى * والصلوات والرحمة والهدى فانه تعالى ذكره ذكر الصابرين * فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة و اولئك هم المهتدون * والهمنا العزاء عما استأثر به * والشكر على ما اخلف منه * و السلام

و كتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى

كتابى و قد عفا بيننا رسم المكاتبة و المراسلة * ونسى اسم المطالعة و المواصلة * والذنب فى ذلك لاحدنا فان كنته فنى المعذرة * و من الشيخ الصفح و المغفرة * و ان كان هو فقد عذرته قبل ان يعتذر * و غفرت ذنبه قبل ان يستغفر * و طفلت عليه بنصبى لسانى نائبا عنه * و خليفة له * ورد ولدى فلان فنظرت منه وفيه الى ابيه و رأيت الايام قد كسته رداء جمال و كمال * و صقلته بيدى اقبال و اقتبال * و خرجت نجيبا اخجل النجباء * و ابنا احيا الآباء * و رأيته

يطلب شأو امرأين قدما حسنا * بذا الملوك و فاتا هذه السوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا
او يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ما قدما من صالح سبقا

و ما اجم هذا الولد النجيب على سبقه الى المدى * وعلى ارتفاعه فى الذروة العليا * و قد رسخ عرقه فى تلك الدرة الكريمة * و فرعت غصونه على تلك الدوحة العميمة * لا بل لو اقام على مربط الشيخ فرس لما اعتددت له ان يكون جوادا * ولو بات فى خزانته سيف لما شكرته على ان يكون حساما * فكيف بولده * ومن هو قطعة من كبده * كانت الايام امتعتنى بلقاء الشيخ مديدة قصيرة كان نهارها لقصره ظهرا و عصرا * و ليلها عتمة و فجرا * فلما شكرتها رجعت فيما وهبت * و ندمت على ما صنعت * و ذلك رسم اللئيم فانه اذا شكر على احسان غلط به تنبه للؤمه فاساء * و ندم على ما سبقه من المسرة فساء * و الكريم اذا شكرته قابل الشكر بالمزيد * و تجاوز الصنع القديم الى الجديد * فان عادت الايام بمثل تلك الغلطة * و ظفرت بتلك الفلتة * كتمتها شانى * و شكرتها بضميرى دون لسانى * بلغنى خبر تلك العثرة التى كانت عينا اصابت الاحسان * و عيبا لحق الزمان و السلطان * فزاد ذلك فى جراح الايام بى * و فى وقائعها بقلبى * ثم تذكرت ان الدولة للمحسنين * و العاقبة للمتقين * و ان الدهر يخطئ ثم يصيب * و يذنب ثم يتوب * لا يخل على الشيخ بكتبه فلو

فلو لم استفد منها الا خبر سلامته لكانت الضالة التى تطلب * و العلق الذى لا يعار و لا يوهب * فكيف و فيها الفاظه التى تشوق العجوز الى شبابها * و الشابة الى احبابها * فما قرأتها قط الا حسد طرفى لسانى على لفظه * و حسد لسانى طرفى على لحظه *

فو الله ما ادرى أزيدت ملاحة * على الخلق ام رأى المحب فلا ادرى

و انا وان كنت شاعر اللسان فلست شاعر الخلق * و لا شاعر الوفاء والصدق * و لا شاعر الصداقة و الود * و لا شاعر الديانة و العقد * لا تتلون اخلاقى الوانا و لا اكون على صديق و من يشكو الى زمانا * و لا اكون اخاه ايام دولته و عدوه ايام عطلته * و قد غشت المروءات * و انثلمت المودات * و مات الوفاء و الثبات *

و كتب الى ابن العميد الحاكم

كتابى الى الشيخ عن سلامة تهنأتها منذ ورد على خبر سلامته * و نعمة اسبغت على منذ وقفت على ما اسبغه الله تعالى عليه من نعمته * ورد على كتاب الشيخ الذى كل سطر من سطوره كتّاب * و كل لفظة من الفاظه باب بل ابواب * المفيد باطنه و ظاهره * البديع اوله و آخره * الذى ما ورد على الا حسدنى عليه من رآه بيدى * وود انه لو كانت عيناه عينى * و علم انى قد حويت فى الحظوظ بقسم وافر * و انه قد حصل منها على غبن ظاهر * لا زال الشيخ ابا عذر كل كلمة سائرة * و كل فعلة نادرة * و لا زالت اخلاقه مظنة لحفظ العهد * و محطا لرحال الحمد * و شريعة موردوة لزوار المجد * و بابا مفتوحا لمستخرجى الرفد * فلان قد غضب على و ما اعرف لى ذنبا * يستوجب منه عتبا * و لا انسبه مع ذلك الى التجنى * و لا اضع فعله موضع الظلم و التعدى * و لكن من الذنوب ما يظهر لمن رآه * ويخفى على من جناه * و قد يرى الانسان من عيب غيره * مالا يراه من عيوب نفسه * و لذلك قيل

ان المرائى لا تريـ * ـك عيوب وجهك فى صداها
وكذاك نفسك لا تريـ * ـك عيوب نفسك فى هواها

اسأل الشيخ ان يرد على من صلحه ما فقدته * و يوجدنى من عفوه ما نشدته * ليكون قد صار طبيبا لاخـلاق اخوانه يداويها من داء الهجران * و يصلحهـا من فساد الزمان * ولتكون نعمه على متفرقة اغصانها * ومتلونة الوانها * فان النعمة اذا تكافأت مذاهبها * و تعادلت جوانبها * اتسع فيهـا مجال الشكر والذكر * و طالت فيها خطوة النظم و النثر *

وكتب الى ابى القاسم الابى البندار

خرج الشيخ الى ناحية عمله خروج السارق * لابل خروج الآبق * قد كتم اخوانه حاله * ولم يستكفهم اشغاله * وخصنى من بينهم بالقسم الاوفر من الكتمان * لا بل بالقسط الاوفر من الحرمان * و ما كان يضره لو صحبت ركابه * وكثرت بسوادى اصحابه * وقد الزمته الذنب دونى * وان كان مقسوما بينه وبينى * كان ينبغى لى ان اقيم على بابه حارسا * و بكل درب من دروب محلته فارسا * و اتعرف خبر رحيله * و اقف على كثير ما يأتى و قليله * اذا رحل شيعته بجسمى مرحلتين * و بقلبى مائتين * على ان قلبى قد شيعته حيث هو معه فليتفضل برده على * ولينفذه بل يقدمه رسولا قاصدا الى * فان غاية المشيع ان يرجع * وعاقبة الضيف ان يودع * ولا يأخذ قلوب اصدقائه فى مرافق اعماله ولا يكثر بشيعه سواد اضيافه ولا يتركنى بلا قلب فانى احتاج فى مكاتبته الى قلوب وللنظر فى كتبه الى عيون وللصبر على فراقه الى نفوس ولا يقل هو عندى تذكرة منك * و نائب على بابى عنك * فانما يحتاج الى التذكرة من ينسى * والشيخ بحمد الله تعالى لا ينسى ولا ينسى *

وكتب الى ابى سمكة بقم

انا الح على شيخى فى السؤال * واتجاوز حد الادلال * الى حد الاملال * لان

لان الذى اسأله لا يوجد منه عوض * ولا يقوم عنه جوهر و لا عرض * ومن طلب خطيرا * احتمل كبيرا * وعلى قدر نفاسة المتاع رغبة المبتاع * و بحسب عظم النائل * ضراعة السائل * و ليس يرد كتاب شيخى على من هو اضن منى به * ولا ارغب منى فيه * ولا اروى منى له * ولا اشكر منى عليه * ولا اتوق منى اليه * واظن شيخى يستخشن مس عتابى له وعتاب عن قلب نقى وصدر برى خير من ملق فوقه برد سابرى وتحته غش خفى فقد يكتم البغض فى زوايا الهوى * وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * و لو لا انى قد اصبحت تحت نعمة الشيخ مستورا * واصبح لسانى بعدها مقصورا * لسألته كتاب كذا ولكنى الى الخروج من الحواصل * احوج منى الى طلب النوافل * ولقـد نقص شيخى الى الادباء * وصغر فى عينى العظماء * وصـارت اخلاقه لى مرآة ارى فيها الحسن والقبيح * واتبين فيها السقيم والصحيح * وثمرة الادب العقل الراجح * وثمرة العلم العمل الصـالح * فاما ادباء اهل زماننا فتطرقوا بالادب الى الجهل * فحصدوا النقص من زرع الفضل * لا نعدم فى كل زاوية منهم صغيرا يتكبر * وقليلا يتكثر * لا يفيد من دونه بخلا * ولا يستفيد ممن فوقه جهلا * ولو تعلم لعلم جهله * ولو علم لحفظ علمـه * والبخل وحده قبيح فكيف اذا قارنه الجهل * والجهل بنفسه نقص كبير فكيف اذا كان معه البخل * ومن عجائب البخل انه داء يعدى فان الجواد يبخل اذا بخل عليه * ويتحول داء غيره اليه * فشر الادواء داء اعدى * و شر العيوب عيب تعدى * امتع الله تعالى شيخى بمحـاسنه التى هى مبيت المدح ومقيله * و غرة الدهر وتحجيله * و اطال بقاءه * وجعلنى فداءه *

وكتب الى ابى بكر النحوى اديب الجبل و اصبهان

بذلت فى حاجة الاديب مجهودى * واليه تنتهى غاية جودى * فان اكن بلغت منهـا رضاه * فذلك الذى اريده واتحراه * وان تكن الاخرى فالرمية قصرت عن الرمية * والسعى وقع دون مقتضى الامنية والنية * فانما الذنب

لرسوله الذى زعم انه اكفى * وقال لى حسبك وكفى * فان الطبيب يخرج من الدواء * مقدار ما يشكى اليه من الداء * ذكر الاديب فى كتابه ان سوق الادب كاسدة وانما الكاسد ما اشترى بدون قيمته * وقرب ربح تجارته * فاما ما لا يشترى ولا يكترى ولا يذكر ولا يسمى فقد تجاوز الكساد * وبار بل باد * كتاب شيخى اذا ورد بخطه نظرت منه الى روضة البصر * والى نزهة الفكر * ورأيت منه جمالا يراه القلب قبل الطرف * وشممت منه ريحا تشمه الروح قبل الانف * وانى لاشتاق الى وروده على شوق المهجور الى الوصل * والغائب الى الاهل * فاذا انقطع عنى * وانقطع دونى * ثكلت املى * وفجعت بسرورى وجذلى * وغزى بعساكر الهم صدرى * وخلا لها ظهرى * وشيخى يتفضل فينظم الطرق الى به * ويكون شفيعى الى لسانه وقلبه * ان شاء الله تعالى

﴿ وكتب الى ابى بكر بن شيمرد ﴾

لو علمت بخروج الشيخ لاخذت بحظى من حلاوة تشييعه * ومرارة توديعه * وقمت بالواجب على من الاخذ بركابه * ومن تسوية ثيابه * على انى لو شيعته لاصبحت مشيعا وصديقا * وامسيت معه صاحبا ورفيقا * ولما تركنى الشوق ارجع عنه * ولا خلانى اخلو منه * وكنت اصير زيادة فى اشغاله * بل زيادة فى عياله * فاذا انا قد طلبت الاحسان فاسأت * وارتدت الصواب فاخطأت ولقد تركنى الشيخ بجميل عشرته * وكريم صحبته * ابغض كل من احبته * واباعد كل من قاربته * * وكأنه انما بعث الى * ليفسد الاخوان على * فقد ضيق خلقى * وان كان وسع رزقى * وافسد افعالى * وان كان اصلح احوالى * ومن العجب وجود الحر فى هذا الزمان الذى صار فيه اللؤم سنة متبعة * واصبح الكرم بدعة مبتدعة * ورخص الثناء حتى ما يبتاع * وغلا السخاء حتى ما يباع * والكلام فى هذا الباب شرط بطين يستهلك الناس مع عزته * ويستفرغ الفراغ مع قلته * وانى لاعتب على شكرى للشيخ وانسبه الى النزارة وهو غزير والى الصغر وهو طويل عريض

ولقد

ولقد شكرته شكرا لو شكرت الزمان به لاصبح لى شتاؤه ربيعا * وجدبه خصيبا مريعا * ومدحته مدحا لو مدحت به الفلك لما دار الا بمرادى * ولا تصرفت بروجه الا على اسعادى * ولا سعى الا فى مصالح معاشى ومعادى * وليس يخلو شكرى لصنيعة سيدى ان يكون دونه او فوقه او مثله فان كان دونه فالظن بمثل الشيخ ان تكون يده العليا على من عامله * وصنيعته الراجحة على شكر من شكر له * وان كان فوقه فقد ربح على الشيخ فليردنى الى رأس المال * فان ربح الرؤساء على الشعراء من المحال * وان كان مثله فقد اخذ منى مثل ما اعطى واستأدانى كفاء ما ادى فليستأنف الآن برا * استأنف شكرا * وليجدد نعمه * اجدد خدمه * هذا ايد الله الشيخ مزاح حمل عليه بطر الغنى والشيخ هو الذى اغنانى فليحتمل بطرى وهذيانى * وكيف احاسب من نفسى بعض صنائعه الى * وروحى بعض ودائعه لدى * ومن افعاله الجميلة عندى تفنى كل حساب * وتملأ كل كتاب * الشيخ صاحب الديوان رفعت اليه حاجتى فاستقبلنى بوجه مانع * فوليته قفا صبور قانع * ليعلم ان الكريم الوف عروف * وصدوف عزوف * يشكر على اليسير * وتلطف نفسه على الكثير * نسخة الرسائل قد حملتها وما تساوى عندى ان تهدى الى احد * او تحمل من بلد الى بلد * ولكن الشيخ اشتهاها شهوة راكب الخيل لركوب الحمار والبغل * وشهوة آكل الطبيخ لاكل الخل والبقل * وتطرف بطلبتها تطرف الغنى بلبس الودارى وهو غريق فى الوشى والعتابى وقادر على الديباج الخسروانى ولعله اراد ان يضحك منها ندماءه * ويتحف بها جلساءه * فيكون بابا من ابواب الهزل * او جنسا من اجناس النقل

﴿ وكتب الى الوزير بالحضرة ﴾

ما اقرب الاشياء حين يسوقها * قدر وابعدها اذا لم تقدر

كانت ايد الله الشيخ حاجتى فى وعاء المطال * وفى ضمان الايام والليال * فاكسنى فيها الزمان * وارجف لى بها الاخوان * قد اخلق ثوب الرجاء لها حتى تمزق *

و تراجع حسن الظن بها حتى تمحق * و طابت النفس عنها * بيد الياس منها * حتى دفعت زمامها الى الشيخ فانشطها من عقال التعذر * و اقامها من صرعة التعسر * و قضاها قضاء سبق الاقتضاء * و نسخ باليقين الرجاء * فكان غيثا سبق صيبه دعوة المستسقى * وماء سيحا قد كفى مؤنة المستقى * وانما كنت ايد الله تعالى الشيخ مجدا على الطريق مطروحا * وبابا من ابواب المكارم مفتوحا * لا المجد يحصل * و لا الباب يدخل * حتى كانت يد الشيخ اول من جنى تلك الباكورة * واحتوى تلك المكرمة المذخوره * فالحمد لله الذى وفقه لحفظ ما ضيعوه * ورفع ما وضعوه * و لقد اشترى من الشكر سلعة قليلة الطلاب فياليت اللئيم يشم رائحة افعاله * او يلاحظ شخص خصاله * و يا ليت البخيل يعطى من رزقه * قيمة خلقه فى سعته و ضيقه * و يا ليت المخالف للوعد تصير المواعيد فى رقبته * او حقائب على عاتقه * فلعلها اذا اثقلت ظهره * ضيقت صدره * فلا يعود بعدها الى وعد يخلفه * و حر يسوفه *

و ليت رزق اناس مثل جودهم * ليعلموا انهم بئس الذى صنعوا

تأخر ما رسم الشيخ حمله من الرسائل لانى اردت ان يحصل بخط لا يورث العين قذى * ولا القلب اذى * ولولا انى رابع الكتاب و الشعراء بالباء لا بالياء لما احتجت لتلك النسخة الى هذا الاحتشاد * ولنا سخها الى كل هذا الارتياد * و لكنى كابى الدمية لا يألو جهدا فى جودة كساها * وكثرة حلاها * يشترى لها المطوى والملوى * و يكسوها الدبيقى و المروى * و يتجاوز فى جهازها الفضة الى الذهب * و الشعر الى القصب * ثم هو مع هذا كله خائف عليها ان ترجع اليه مطرودة * و عليه مردودة * و لو كانت بنته حسناء لزفها و لو انها من الثياب عارية * و من الجمال كاسية * و من الحلى عاطلة خاليه * و من وجهها حاليه * لعلمه ان لها من نفسها شافعا لا ترد شفاعته * و بائعا لا تنقض بياعته * و بعد هذا كله فانى مقر على نفسى بالتقصير * و مستحق للوم الكثير * فان المحال اذا نصر زاد بردا * و ان الخطأ اذا احتج له صار عمدا * فلان قد اصحبته كتابى بالوصاية * و صنعت له ما يسعه رجاؤه و شكره من الرعاية * وارجو ان الشيخ لا يلوم من جر اليه حمد الاحرار بزمامه * و وقف الثناء والاجر على مدرجة بره

وانعامه

و انعامه * وانما انا دلال من دلالى الشكر * و سمسار من سماسرة الثواب و الاجر * ولم ار لهاتين السلعتين مشتريا اصح من الشيخ عقدا * و لا اجود منه نقدا * فجهزت اليه باعة البضاعة * و دللت عليه الباعة * و السلام

﴿ وكتب الى تلميذ له ﴾

ان كنت اعزك الله تعالى لا ترانا موضعا للزيارة * فنحن فى موضع الاستزارة * و ان كنت تعتقد انك قد استوفيت ما كان لدينا * فسقط حقنا عنك و بقى حقك علينا * فقد يزور الصحيح الطبيب بعد خروجه من دائه * و استغنائه عن دوائه * و قد تجتاز الرعية على باب الامير المعزول فتجمل له و لا تعيره عزله * و لو لم تزرنا الا لترينا رجحانك * كما طالما رأينا نقصانك * لكان ذلك فعلا صائبا * و فى القياس واجبا *

﴿ وكتب الى حاكم نيسابور من اصفهان ﴾

وردت ايد الله تعالى الحاكم من الوزير على رجل يستطيل اليوم اذا بعدت عنه * و يستقصر الدهر اذا قربت منه * ابدع فى اكرامى بدائع لو كانت كلمات لكانت امثالا * و لو كانت ابياتا لكانت افرادا * وكسانى طرازا من الصيانة ضفت على ذيوله * ولاحت على صفحات احوالى غرره و حجوله * و خاطبنى بكلام كأنما خلق من خلقه حسنا و رقة * وكأنما اقتطع من كلامه لطفا و دقة * و وعدنى مواعيد * فى صحبة العدل و التوحيد * و رقانى فى غاية تزلق رجل المنى * و تقصر دونها همم الورى * و تخجل خلفها الدرجات العلى * اردت مطالعة الحاكم بهذه البشرى * و اتحافه بشرح حال هذه النعمى الكبرى * ليعلم ان تلك الفترة كانت خيرة و غيرة * و ان هذه العاقبة كانت دولة و كرة * و ان الدهر اوفانا كيل المسرة * كما اوفانا كيل المضرة * و تحمل الينا من الخير * مقدار ما

تحامل علينا فى المكر * ومهد لنا ايام اليسر * عدد ما مد لنا من ايام العسر * فقد انصف وهو ظلوم * وتكرم وهو لئيم *

﴿ وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم ﴾

قد انتظرت من الشيخ ان يسبقنى الى خطبة الوصل * كما لم يزل سابقا الى غاية كل فضل * فأبى كسله الا ان اسبقه اليها * واغلبه عليها * فابتدأته بالمكاتبة حين ضاق مسلك الصبر * وحين اتسع مجال النزع فى الصدر * وحين رأيت الحظ يضيع بين هيبتى وتغافله * والربح يذهب بين اشغاله وتشاغله * وقد بلغ الله تعالى الشيخ رتبة لا يضعه معها ان يتواضع * ولا يزيد فى ارتفاع قدره ان يترفع * فليستدم نعمة الله تعالى عليه بان يرب مودات الاحرار اوفى ربابة * ويعمر ما بينهم وبينه اوفى عمارة * وليعلم ان عليه زكاة للشرف اخراجها انمى للمال * وابقى للحال * ومنعها تمحيق للوفر * وتعريض لحوادث الدهر * وليزد اخوانه على قدر زيادة الله تعالى عنده فان العادة مطلوبة * والزيادة فى النفوس محسوبة * زاده الله تعالى مما عنده * واطلع عليه سعده * واعلى جده * وجعل حاسده عبده * ورد فلان هذه الناحية فملأ العيون جمالا * والقلوب كمالا * والاسماع مقالا * وغمر الاعداء فضلا والاولياء افضالا ونوالا * ورأينا فى قيصه رجلا بل رجالا * وعجبت من ملك كيف سمح بمفارقة هذا الشخص النفيس لبابه * وخروجه من حيز اصحابه * ولقد ضيع منه ما لا يوزن به عوض * ولا يقوم مقامه عرض * وقدر انه يصيب فى كل زاوية من يسير فى اقسام النجابة * ويجمع بين الفروسية والكتابة * فاذا به على النقصان وهو ينتظر الزيادة واذا هو يلتزم خراجا ويحسب انه يحصل الغلة واسأل الله تعالى ان يصلح حال تلك البقعة فانى اراها تلفظ الرجال * وتنفى عن نفسها الكمال * وان امرأ تعق منه الآباء والاجداد * ويخالف به تدبير الاولياء والبلاد * لحقيق بان لا تخشى فاتحته * ولا ترجى عاقبته *

وكتب

﴿ وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى ﴾

وصل الى كتاب الشيخ وعقبته * اذ لم اطر فرحا لما رأيته * ولم انطح الفلك فخرا وعجبا لما فككته * ولقد استخفنى الفرح به واشتغلت بلحظه عن حفظه وتصرفت من فصوله فى رياض سقتها الخواطر * لا الغيوث المواطر * وطلعت على شمس البها * لا شمس الضحى * لا بل روضة الخط احسن من روضة النبات لان روضة النبات مداس للخف والحافر * وطريق للسابل والعابر * وتلحظها اعين اللئام * وتدوسها ارجل العامة والطغام * وهذه الروضة عن اكثر العيون مكنونة * وعن اكثر الايدى مصونة * لا يرتع فيها الا ناظر خاصى * ولا تمسها الا يد نبيل سوى * قال ديك الجن

لو كنت املك للرياض صيانة * يوما لما وطى اللئام ترابها

رأيت الشيخ يرفعنى فى خطابه الى غاية تتقاصر عنها قيمتى * ولا تطمح نحوها همتى * فعلمت انه يسلفنى نعمته لادخل فى غرامه * واصير واحدا من جملة انعامه * وليكون قد تناولنى بالبر من كل طرقه قولا وفعلا وجوهرا وعرضا ولسانا وبيانا والله تعالى يكافئه ويكفيه * ويبقيه ويقيه * ويدنيه كما ارتجيه * ويرينى ما احب له فيه *

﴿ وكتب الى الوزير ابى القاسم اسماعيل بن عباد رحمه الله ﴾

كتابى الى الوزير وانا على بعد الدار سالم فى جملته * مستظهر على الايام بدولته والحمد لله تعالى على سلامتى فى سلامته * وصلى الله على سيدنا محمد وعترته اذا رأيت كتاب الوزير وقد ورد على غيرى غرت عليه غيرة الفحل على الشول * بل غيرة المرأة على البعل * ولوددت ان لم يكاتب به غيرى * او من يشكره مثل شكرى * فانى مع استقصارى لنفسى فى ذلك قد اتعبت الوراقين * بل اتعبت الكرام الكاتبين * وابقيت للخواطر والالسن شغلا طويلا * وطرحت عليها

عبثا ثقيلا * ولقد كانت ايامى بحضرة الوزير قصارا * وكان ليلى بها نهارا * وساعاتى فيها اسحارا * كما ان ايام فراقه ليال طوال * وليلة فراقه تعد بليال * وانى بعد صبرى على فراقه لجلد على وقع سهام الهجر * واسع المجال فى ميدان الصبر * ولقد اصابت عين الزمان وفائى * وسلبتنى حسنتى وهى جزعى بفراق اصدقائى * فاجرنى الله تعالى على هذه المصيبه * ولا حرمنى عليها جميل الاجر والمثوبه * لايبعنى الوزير وقد اشتريته باهل الدنيا * ولايبعدنى عنه * وقد قربنى الحب منه * ولا يبخل على بكتبه * فعهدى به لا يبخل على بفضته ولابذهبه * وليأنف من ان يكتب اسمه فى جريدة البخلاء * بعدما صدرت به جرائد الاجواد والسمحاء * ان شاء الله تعالى

﴿ وكتب الى ابى الحسن الحكمى ﴾

انا لامر سيدى الشيخ ممتثل * ولقبلة مراده مستقبل * ولكن فلان طرقنى والشوق قائده * والحب سائقه * فليوفر الشيخ علينا يومنا فلا يقدر ان يضمن لنا غدا وليعلم انه من سلب اخاه ثوب الفرح * واقامه من بين يدى الطاس والقدح * فقد قطع عليه طريق السرور * وقام بازائه مقام حوادث الدهور وقطاع الطريق على الناس * اقل وزرا من قطاع طريق الطاس والكاس * لان الذى يأخذه اولئك من المال قد يصاب منه بديل * ويوجد الى العوض منه سبيل * والذى يأخذه هؤلاء من العمر * ويقطعونه من ايام الدهر * لاسبيل الى ارتجاعه * ولا التئام لجراحة اقتطاعه * هذا والضيف مولاى والمضيف عبده فهل يرى الشيخ ان افتات على مولاى * وان اخالف هواه بهواى * وقد علم ما جاء فى الاثر من ذم العبد اذا عصى مولاه * وخرج الى سخطه من رضاه *

﴿ وكتب الى تلميذ له وقد ظهر عليه الجدرى ﴾

وصلنى خبر الجدرى فنال منى وهيج حزنى * وراع قلبى واسهر عينى * وهذه العلة

العلة وان كانت موجعة * وفى رأى العين فظيعة شنعة * فانها الى السلامة اقرب * وطريقها الى الحياة اقصد * لان عين الطبيب تقع عليها * ويد الممرض والمعالج تصل اليها * وانما هى قرح نبهته الطبيعة ودم اثارته الحرارة وظاهر الداء اسلم من باطنه * وبارز الجرح اهون من كامنه * وهذه بعد علة تعم الابدان * وتشمل الصبيان * واذا كانت العلة عامة كانت اكثر طبا ودواء واخف على القلوب اعباء * لان النفس تستريح الى المشاركة وتأنس بالجماعة كما تستوحش من الوحدة ولعمرى انها تورث سواد اللون * وتذهب من الوجه بديباجة الحسن * ولكن ذلك يسير فى جنب السلامة للروح اللطيفة * والنفس الشريفة * وفى الشر خيار * ومن المحنة الى المنحة صروف ومقدار * واذا اخطأت سهام الايام جانبا * واصابت جانبا * فقد سرت اكثر مما اساءت لان الحسنة فيها تستبعد وتستغرب * والسيئة منها تنتظر وترتقب * ولست استطيع لك غير الدعاء * ولا اكلم فى بابك الا طبيب الاطباء * ولا اصانعه عنك الا بالثقة والرجاء * لا اسال صحتك * الا ممن خلق علتك * وارى لك ان تحسن ظنك بربك * وتستغفره من ذنبك * وتجعل الصدقة شفيعك * واليقين طبيبك * وتعلم انه لا داء ادوأ من اجل * ولا دواء اشفى من مهل * ولا فراش اوطأ من امل * شفاك الله تعالى وكفاك * وسلمك وعافاك * وبلغك رضاك وحسبك به طبيبا وكفاك *

﴿ وكتب الى فقيه من تلامذته ﴾

كتبت اليك من حضرة الغرائب والرغائب وهى حضرة الوزير وانا متردد بين فائدتين من فعاله ومقاله * وراتع بين روضتين جاهه وماله * والحمدلله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين * انتظرت كتابك فتأخر وطلبت له عذرا فاعوز * واخذت احتال صبرا عنك فاعجز * وعرضت معاملتك لى على الود بيننا فاباها * وقدمت افعالك معى الى القلب فما ارتضاها * فراجع رحمك الله تعالى ما طلقته من ودنا * واذكر او تذكر

ما نسيته او تناسيته من عهدنا * و اعلم انك اذا انفقت اصدقاءك واحدا واحدا او شكت نفقتك ان تدعك مفلسا منهم * و خاليا عنهم * حملت اليك نسخة رسائل الوزير و هى كالحلقة لايدرى اين طرفاها * و كالشمس لا يفضل اولاها على اخراها * كلها خيار * و كل حروفها اختيار * فاعرها من اذا استعارها منك قبل يديك * واذا ردها عليك قبل رجليك * واعلم ان قدر هذا الكلام فى الكلام كقدر صاحبه فى الانام * فلان قد نصب لنا الحبائل * واراد بنا الغوائل * ولقد قرع باب البلاء و وطئ ذنب الحية الصماء * وادخل يده جحر الاسود * وقعد لملك الموت بالمرصد * و نطح برأسه الجبل * واستبطأ الاجل * وطرد العافية عن باب داره * وانزل النحس فى جواره * واستهدف اسهام الحتف * ووطئ على حد السيف * فلا جرم اصبح نقل كل لسان * وضحكة كل انسان * وحملت امهاته سفاتج الى البلدان * و اجلت غيرة جهله عن اديمه وقد عرك * وعن ماء وجهه و قد سفك * وعن ستره و قد هتك * وهكذا يكون حال من عرض عرضه السقيم * و اصله اللئيم * لمكر العقلاء * و قول الفصحاء * و السنة الشعراء * و اقلام البلغاء * و ليس وراءه لسان تقرع به الآذان * و لا عرض يعارض به الاقران *

﴿ وكتب الى الملك لما أصيب بابنه عن خوارزم شاه ﴾

كتبت و انا مقسم بين فرحة و ترحة * و مردد بين محنة و منحة * اشكو جليل الرزية * و اشكر جزيل العطية * و اسأل الله تعالى للامير الماضى الغفران والرحمة * و للامير السيد التأييد و النعمة * فان المصيبة بالماضى و ان كانت تستوعب الصبر * فان الموهبة فى الباقى تستنفد الشكر * و الحمد لله الذى كسر ثم جبر وسلب ثم وهب وابتلى ثم اولى واخذ ثم اعطى كتب على المشرق خاصة * بل على الدنيا كافة * ان تطمس آثارها * و تظلم اقطارها * وتهب ريح الخراب عليها * و تنظر عين الكمال اليها * حتى ذبلت شجرة المملكة و وهن ركن الملة * وطرف ناظر الدولة * و انثلم جانب الدعوة ثم استدرك الله

الله تعالى برحمته خلقه * فرد الى الامير حقه * و قرت الدولة فى قرارها * و عادت النعمة الى نصابها * و طلعت الشمس من مطلعها * و وضعت الرئاسة فى موضعها * فانا الآن بين شكاية الايام و شكرها و بين حرب الدهر و سلمه ابكى و انا ضاحك واضحك و انا باكى العين الا ان الضحك على اغلب * والفرح الى من الغم اقرب * لان المصيبة ماضية * و النعمة باقية * رحم الله تعالى الماضى رحمة تهون علينا مصرعه * وتبرد له مضجعه * و تضاعف حسناته * و تمحوا سيئاته * واعان الامير على رعاية ما استرعاه * و الهمه شكر ما اعطاه * و تولاه فيما ولاه * و والاه جزيل ما اولاه * وايد بالهيبة سلطانه * و ثبت بالبقاء اركانه * و حرس من الغير زمانه *

﴿ وكتب الى ابى منصور ملك الصغانيان يعزيه فى عمه ابى سعيد ﴾

كتابى الى الامير وقد ملك الجزع صبرى وعزائى * و جعل ناظرى فى اسار دمعى و بكائى * و القلب دهش * و البنان مرتعش * و انا من البقاء فى الدنيا مستوحش * و الجفن غرق * و القلب محترق * وما اجتمع قبله غرق و حرق * للمصيبة التى ثلث عرش السلطان * و طمست نور الزمان * و جعلت الصبر سيئة * و الجزع حسنة * والاسى سنة * و الاسا بدعة * و حق لمن اصيب بمثل فلان ان يصاب بصبره * و ان يدفن معه الفرح فى قبره * و ان يجعل يومه تاريخا لجدع انف الكرم * و ركود ريح الهمم * وانكسار تاج العجم * واذا تفكرت فى عظم هذا النازل * و اربائه على سائر المصائب و النوازل * انشدت

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

و اذا تذكرت بقاء الامير و هو البقاء الذى لا وقع معه لخطب و ان كان مؤلما * و لا خطة بعده لمصاب وان كان مستعظما * انشدت

اذا مقرم منا ذرا حد نابه * تخمط منا ناب آخر مقرم

وان بيت الامير الماضى سلفه * و الامير الباقى ايده الله تعالى خلفه * ابيت عظيم المصائب * عظيم المواهب * محنتهم اجل المحن * و منة الله تعالى عليهم اكبر المنن * ولن يسقط عرش مثل الامير قائمته * ولا يخرب بيت هو بقيته * اللهم ارحم الماضى فانك رحيم بالكرام * منعم على اهل الانعام * و احفظ الباقى من عين الكمال * فانها اكبر آفات الرجال * و انفذ سهام الايام والليال * و اطل بقاءه فانه بقاء المجد * و ادم عزه فانه عز الشكر و الحمد * و اجعل فداءه من لايرضى بان يكون فداءه * ولا يفتخر بان يكون وجهه حذاءه *

وكتب الى ابى القاسم بن على صاحب جيش الصغانيان

لم يزل يبلغنى ما يرتفع على يد الامير من الفتوح التى تفتح لها ابواب السماء * ويفوح منها روائح العز و السناء * فى اولئك الاعداء الذين امتنعوا بشدة كلبهم * وقلة سلبهم * و متاركة المسلمين قديما لهم * ورضاهم رأسا برأس منهم * حتى لقد حقنت الدماء * وسكنت الدهماء * و امنت السبل * واجتمع الشمل * ورجع النافر * وعمر الغامر * واجتمعت الكلمه و اتفقت البيضة و اغمد السيف وركز الرمح وقرت الامور قرارها * ووضعت الحرب اوزارها * و هذا صنع لم يخص الله تعالى به اهل افق دون افق * و لا افرد بمزيته سكان غرب دون سكان شرق * اذ كانت النعم فيه عمت كل من عرف الاسلام و فضله * و عادى الشرك واهله * لا زال الامير يرى كل يوم بسيفه فتحا يعظم به الخطب * وتستبق فيه الكتب ولا زال الشرك من قتلاه * و النفاق من جرحاه * و الفساد فى الارض من اسراه * حتى تملأ فتوحه كل سامع و ناظر * و تشغل كل كاتب و شاعر *

وكتب الى فقيه فى تعهد مسجد

احق الاماكن بان يصان و لا يهان * واولاها بان ينحى عن مدرجة الاختلال * ويرفع

و يرفع عن ان تتناوله يد الابتذال * مكان بنى ليجمع شمل التعبد * و يضم نشر التهجد * و ترفع منه الحوائج الى من لا يضجر من السؤال * ولا يتبرم بكثرة السؤال * و هو الكبير المتعال * فان صيانة هذا المكان صيانة الدين * بل صيانة الاسلام و المسلمين * وكبت الكفر و الكافرين * و ما ظنك بموضع هو بيت من بيوت الله * و مظنة لقراءة وحى الله * تصف فيه الاقدام بين يدى الله * و يتميز فيه اولياء الله من اعداء الله * و هو من بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه و هو مسكن من مساكن الابرار * ومجلس من مجالس الاخيار * و حصن من حصون المسلمين على الكفار * و جسر بين الجنة و النار * دخوله عبادة * و المقام به سعادة * و الاعتكاف فيه سنة مستحسنة * لايخترقه كافر * ولا يقربه الا طاهر * من عمره عمر طريق الآخره * و من بناه بنى له بيت فى الجنة * و بلغنى ما انت فيه من بناء مسجد محلتك * ضاعف الله تعالى لك عليه ثوابك * واكرم مآبك * ورضى عنك * و تقبل منك * فتوسع رحمك الله فى نفقتك * فانما تعامل و تسلف كريما سخيا * و لاتحاسب نفسك على دخلك وخرجك فانك بصدد اضعاف ذلك من الثواب * و انما يوفى المحسن اجره بغير حساب * و تذكر قول الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله و اليوم الآخر

وكتب الى ابى شجاع بن محمد كاتب ابن قراتكين

كتابى و قد وجدت فلانا لايضر ولا ينفع * ولايضع ولا يرفع * وانما هو مشط يقلبه خصى اصلع * و ان مجال الشكاية فيه لرحب و ان طريق المذمة عليه لسهل ولكنى لا اقطع يدى بيدى * ولا اضرب بعضى ببعضى * ولا ارمى يسراى عن يمناى و لا اتباعد عن قريبى الاصل منه * و لا اضربه بالسيف الذى طالما ضربت به عنه * ورأسى رأسى و ان كان اصلع * وانفى منى و ان كان اجدع * واما فلان فان المشرق عاطل هو حليته * وعريان هو كسوته *

وجاد هو روحه * واعزل هو سلاحه * واخرس هو لسانه * لا فجع الله به عيني و لا قلبي فان عيني بعده لا تقر * كما ان قلبي بعده لا يسر *

وكتب الى رئيس نيسابور

ارجو ان الشيخ لا يلقي امري بيد الاغفال * و لا يسلك بحاجتي طريق المطال * ولا يكلني الى غيره في حاجة كتبتها عليه * و وضعت عنانها بيديه * فمن المحال ان استمد النهر * وانا جار البحر * وان احتاج الى النجم و انا اسرى في ضوء البدر * وقد كان الشيخ في تلك الحالة الاولى امهل * حتى كأنه اهمل * و تغافل حتى كأنه غفل * ولست اشكو يومه * لاني ارجو غده *

وكتب الى علي بن كامه

كتابي الى الامير عن سلامة اسأل الله تعالى ان يديمها * لاتوصل الى خدمته بها * والحمد لله تعالى و نعمة الامير على النعمة المجملة المفصلة * الغراء المحجلة * التي ان سكت عن شكرها شكرها عني اثرها علي * و ان كتمتها افشاها دوني من رآها لدي * و انما انا غرس نعمته * و نبات راحته * نادمته و انا مقتبل الشباب * حدث الاتراب * وها انا قد الجمني الكبر بلجامه * ولثمني البياض بلثامه * و اذا عنقت المنادمة صارت سببا دانيا * وكانت رضاعا ثانيا * لا بل رضاع الخمر اقوى في حكم الفتوة سببا من رضاع الدر * لان رضاع اللبن معروف الامد * منقطع المدد * و رضاع الشراب ربما دام الشهر و الدهر * و استوعب المدة والعمر * ولأن رضاع اللبن يحرم من طريق النكاح و ان كان يعقد قرابة ووصلة من طريق الولادة فهو يعطي من حيث يمنع * و يصل من حيث يقطع * و يبعد سببا * من حيث يقرب نسبا * و رضاع الشراب يصل من كل جوانبه * ويعقد حرمة من جميع مذاهبه * ولان رضاع اللبن يقع بين الاطفال

الاطفال الذين لا يتبينون احوالهم * و لا يعرفون ما عليهم مما لهم * ورضاع الشراب لا يقع الا بين الرجال الذين يعقلون كيف يصلون وكيف يقطعون

اقر السلام على الامير و قل له * ان المنادمة الرضاع الثاني
ان المنادمة التي نادمتني * رفعت عناني فوق كل عنان

واقل ما في هذه الحال ان اشكرها فعلا * من حيث اشكرها قولا * وهو ان ازور تلك الحضرة الجليلة كما تزار عظام المشاهد * واعتكف فيها كما يعتكف في المساجد * فانها وان لم تكن مشهد حرم و صلوات * فانها معتكف عطايا وصلات * وان لم يكن صاحبها امام خلافة يرجى ثواب زيارته في الآجل * فانه امام سماحة ينال ثواب زيارته في العاجل * ولكني رجل قد طال ذيلي * و ازدحم شغلي * وقيدت السن رجلي * فلا اقل الآن من ان اوجه رسولي وهما قلبي ولساني * على ظهر مركبي وهما قلمي وبناني * وان انظم في شكر نعمة الامير قلائد لا السارق يسرقها * ولا النار تحرقها * ولا الماء يغرقها * كل ناطق عندها ابكم * وكل شاعر بازائها مفحم * وسابلغ من ذلك ما يقيم لي عذرا * ويصير لي و لعقبي عدة و ذخرا * ان شاء الله تعالى

وكتب اليه لما ولي قومس

كتبت والولاية التي شرفت بالامير و لم يشرف بها * وتسببت له ولم يتسبب لها * وصغرت قياسا الى شانه * من حيث كبرت قياسا الى مقادير اهل زمانه * قد بلغني خبرها فجررت ذيلي فرحا * ورحت لا تحملني اعواد سرجي مرحا * و وددت او شربت طربا عليه البحر المحيط قدحا * واين بالامير عن افتراع المنابر * وقيادة العساكر * وهو من اهل بيت يحكم بالملك صغيرهم * ويشيب عليه كبيرهم * تقر باسمائهم المنابر النافرة * وتسكن باعلامهم البلاد الشاغرة * لم يرضعوا الا ثدي ولايه * ولم يروا الا تحت رأيه * ولم يغتذوا الا في حجر سياسة ورئاسة * فلا زال يترقى ذروة رتبة بعد رتبة * ولا زال اسمه يفترع خطبة بكرا

بعد خطبة * و لا زال الملك سليله و نتيجه * و العز صنيعته و خريجه * حتى يملك الاقاليم * و يفترش السرير العظيم * فيعطى القوس باريها * و يملك الزعامة من يليق بها و يحسن فيها *

وكتب الى ابى طاهر وزير ابى على بن الياس بكرمان

كتبت و لما اتصل بى خبر المصيبة لم املك من قلبى الا ما شغلته بها * و لا من عينى الا ما بكيت به لها * و نزل بى ما ينزل بمن قارعه الزمان عن واحده و نازعه الموت فى بعض نفسه وزل عن يده الذخر الذى ادخره لصروف الزمان * وسلب السيف الذى لم يزل يعده للقاء الاقران * ثم تنجزت موعود الله تعالى بالصبر و العزاء * ثم بالتسليم للقضاء * و قلت انا لله و انا اليه راجعون كما امرت * و انتظرت الصلاة و الرحمة كما وعدت * و لقد كانت المصيبة بفلان جراحة لا دواء لها الا الصبر * و خسرانا لا جبر له الا الاجر * و لقد سلبته علقا من اعلاق الفضل لايخاف من حصله غبنا * و لا يستعظم له ثمنا * سهم المنايا بالذخائر مولع ولقد طلق من الدنيا عروسا غدارة * مكارة غرارة ختارة * طالما قتلت بعلها * وخانت اهلها * فها انا ايد الله تعالى الشيخ جريح يد الدهر و لا طبيب لمن جرحه * و سليب يد الموت و لا ضامن لمن اجترحه * و قد دفنت يدى بيدى * و بكيت على عينى بعينى * و افردت فى نفسى عن نفسى و الرزية بمثل فلان رزايا * كما ان العطية كانت ببقائه عطايا * ولكن لا كثير من المصائب مع التأدب بادب الله تعالى * كما لا قليل من المواهب مع الايمان بالله تعالى *
رحم الله فلانا الجامع لمحاسن الآداب * الشيخ حلما وان كان غض الشباب * فلقد اختضر و هو فتى السن * و اهتصر وهو رطب الغصن * وكسوف البدر عند تمامه اوقع * و كسر العود عند اعتداله اوجع *

ان الفجيعة بالرياض نواضرا * لاشد منها بالرياض ذوابلا

و كتب

وكتب الى حاجب الوزير ابى القاسم بن عباد حين ورد خراسان وحمل اليه نزلا

حملت الى الخزانة عمرها الله تعالى ببقاء الحاجب * كما عمر حالى ببقاء الصاحب * شيئا من الطين الخراسانى * و الشراب الخسروانى * فليتفضل بقبوله فان الطين تراب لا يعد * و معار لا يرد * على انى لو حملت اليه حياتى * و اهديت اليه صومى و صلاتى * و كتبت فى صحيفته حياتى و قاسمته عمرى * و جعلت له حظى من سعود دهرى * و وضعت ذلك كله بين طبق من قلبى * و مكبة من صدرى ما كنت الا بالعجز موسوما * و على التفريط ملوما * و انما جلبت هذا اليسير الحقير * النزر الصغير * من داره الصغرى * الى داره الكبرى * و حولته الى يده اليمنى من يده اليسرى فان رأى الحاجب ان يتواضع بنا * و يخفض جناحه لنا * فعل ان شاء الله تعالى

وكتب الى ابى محمد العلوى

كتابى عن سلامة اسأل الله تعالى للسيد مثلها * بل لا ارضى له ضعفها * و وصل كتاب السيد المشحون لطفا و برا * المفيد فخرا و ذخرا * الموجب الحمد لله شكرا * الذى كل حرف منه فائدة بل كل نكتة بل كل فقرة بل كل تصنيف و خطبة تشغل بتخليدها الاقلام * و بحفظها الافهام * ذكر السيد فى كتابه ان اهل اصفهان تزاحموا عليه * واستعاروا كتابى اليه * و ذكروا انى اكتب من اخذ قلما * ونثر كلما * و هذا باب ما قرعته * و شأن ما اتبعته * و صناعة ما درت حولها * فان كان الاقبال ساق الى هذه الغريبة * و الاتفاق اعطانى هذه الرغيبة * فما ارد نعمة الله تعالى اذا صارت الى * و لا ادفع فى بحر السعادة اذا طلعت على * و لا شك ان هذه ثمرة محبتى للعترة الطاهرة * صلوات الله تعالى عليهم اجمعين وقد كنت اذهب فى رد العدوى الى حكم

الخبر * فى العدوى و الهامة و الصفر * والآن اتهمت من رواه * و كذبت من حكاه * و تأولت ان السيد اعدانى بكتابته * واعطانى بعض براعته * بجمع اسمى مع اسمه * و بجعل فهمى جنيبة لفهمه * الحاجة التى استبطأت فيها السيد انما خرج كلامى مخرج الادلال وليس بعجب تسحب الشيعى على الرافضى و لا تحكم الملحف على السخى سمعت كلام فلان و بمثل ذلك الكلام يتسلى الاخرس على بكمه * ويفرح الاصم بصممه * و لمثله رزق الصمت المحبة و اعطى الانصاف الفضيلة و لكن ماذا اقول فى معايب قوم هم جيرانى فى الدار * واخوانى فى النجار * و بيضتى التى تفلقت عنى * و غيضتى التى التفت حولى * و بلدهم عشى الذى درجت فيه * وبيتى الذى خرجت منه * فمحاسنهم الى منسوبة * و مساويهم على محسوبة *

و هل انا الا من غزية ان غوت * غويت و ان ترشد غزية ارشد

و بودى لو وجدت لهؤلاء القوم فى درج الفضل ادنى مرقاه * و رأيت لهم فى مساعى السبق اقل مسعاه * فجعلت الخطوة ميلا * و ادعيت القليل جليلا * و لكن ادعاء الفضل من غير معونة نقيصة * كما ان الاقرار بالنقص من حيث الاعتذار فضيلة * و القتال عن العسكر المنهزم ضرب من المحال * و تعرض لسهام الآجال *

ولو ان قومى انطقتنى رماحهم * نطقت ولكن الرماح اجرت

على انى احمد الله تعالى اذ كان قائل ذلك الكلام فى الاصول كلابيا * و فى الفروع ناصبيا * و لو كان لمنطقه حظ من الطراوة و الطلاوة * او برز كلامه فى معرض من القبول و الحلاوة * لصار شبكة من شباك الشبهة * و بابا من ابواب الضلال والفتنة * و حبالة من حبائل الشيطان * و رقية من رقى البهتان * و لفتح علينا بابا يفسد المذهب * و يورث التعب * و الله تعالى الطف بالاسلام * و ارحم للانام * من ان يعطى عدوه سلاحا يغلب به اولياءه * و ينصر به اعداءه * ذكر السيد شهادة الوزير لى * و اعتداده بى * و هذه نعمة طالما تدرعت جمالها * و تسربلت سربالها * و جررت اذيالها * لا زال الفضل ببقاء ذلك السيد ثابت

ثابت المناكب * مقبل الجوانب * عامر الطرق بالجائى والذاهب * ولا سلب الله تعالى الزمان جماله بذكره * ولا العباد دنياهم بطول عمره * ولا زال جاهه مبذولا * و بابه مأهولا * و فضله مأمولا * وسيفه على اعداء الله تعالى مسلولا * و عدوه بحده مقتولا * و لا زال الشرق يفاخر به الغرب * والعجم تفاخر به العرب * بل لا زالت اصبهان تفاخر به البلاد * و اهلها يباهون به العباد *

و هذا دعاء لو سكت كفيته * فانى سألت الله فيه و قد فعل

ولم يبق الا ان يرزق عمرا يسع نعمته * و دهرا يساوى قيمته * فان هذا الزمان يضيق عن نفسه * و ان كان يتسع لشخصه * و كان الله تعالى لم يخلقه الا ليعلم خلقه كيف يحيى ميت الكرم * و كيف يرد ذاهب الهمم * و ليلزم حجته من جحد احياء الموتى و قال بقدم الدهر و الدنيا فان من قدر على ان يحيى ميت الخلق * قدر على ان يحيى ميت الخلق * و ليكذب عبيد بن الابرص فى قوله * و غائب الموت لا يؤوب * و لبيد بن ربيعة فى قوله

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * و بقيت فى خلف كجلد الاجرب

فقد رأينا من يعيش فى كنفه الاعداء * فكيف الاولياء * و يرد بحره المفحمون فكيف الشعراء *

﴿ و كتب الى قاضى القضاة ﴾

كتابى الى القاضى عن سلامة من الله تعالى بها بعد اليأس منها * و قربها بعد البعد عنها * و اهلنى لها اضعف ما كنت املا * و اسوأ ما كنت عملا * و اقبح ما كان بينى و بين الله تعالى اثرا حين انحلت عقدة الرجاء * و لحظتنى عين البلاء * وامرضنى طبيب الاطباء * و بعدت على مسافة الشفاء * و تقاصرت عن علاجى خطوة الدواء * و افلست من العافية كما ايسرت من الحمى * وقربت من الآخرة كما بعدت من الدنيا * و وقفت على جسر قدامه الوفاة * و خلفه الحياة * و نظرت الى المنية عن عين كريه نظرها * حديد بصرها *

وعرفتنى الايام ان ابن آدم ضعيف التركيب * منتقض الترتيب * دواؤه داؤه * وبقاؤه فناؤه * واعضاؤه اعداؤه * كفاه موتا ان يبقى فيهرم * وحسبه داء ان يصح ويسقم * ثم اراد الله تعالى ان يرى عبده رحمته * بعد ما اراه قدرته * فاقامه من صرعته * واستله من مخالب علته * وازال عنه يد المنية بعدما اشتبكت به * فله الحمد ربا عفوا غفورا * رحيما شكورا * يأخذ حكمة وعدلا * ويعفو رحمة وفضلا * ويمرض عبده ليعتبر * ويعافيه ليشكر * ثم لا يغلق عنه باب الدعاء * ولا يحسم مادة الرجاء * ولا يديم مدة البلاء * وصلى الله تعالى على سيدنا محمد خاتم الانبياء * وعلى آله الطاهرين الازكياء * كان ورد على كتاب القاضى فاستظهرته حرفا حرفا * وقبلته الفا الفا * وضممته الى الصدر والنحر * وسجدت له حين رأيته سجدة الشكر * وما اظن سبب تأخره كان عنى الا شدة شوقى اليه * وفرط حرصى عليه * فان الحرص شوم * والحريص محروم * وهذه عادة الدهر معى وقديم صنعه بى فانه اذا علم انى احب امرا ناطه بالعيوق * ووضعه موضع بيض الانوق * وابعده وهو غير بعيد * وشدده وهو غير شديد * وانا بعد اليوم لا اقر للدهر بما اقترحه عليه * واطلبه لديه * فلعلى اخدعه عن طبعه * واختله عن سوء صنعه * ومن ذا يخادع الايام * او يغالط الحظوظ والاقسام * فلان قد ولى قضاء كذا عرفه الله تعالى بركة ولايته * ولا جعل هذا الامر اقصى غايته * وجعل ولايته منفعة * وعزله فراغا ودعة * ولا جعل شغله سخرة * ولا فراغه عطلة آجر الله تعالى القاضى على المصيبة بفلان فلقد كنت بحياته قرير العين * شديد الركن * يؤنسنى ان جمعت بينى وبينه بقعة * ويسرنى ان تضم اسمى الى اسمه صنيعة * وكنت اعده لى جناحا وسلاحا * وفى ظلمات الخطوب مصباحا وصباحا * فغصبنيه دهر طالما غصب فلم يطالب * وسلبنيه قدر طالما سلب فلم يعاتب * ولولا كراهتى للاعتراض على القضايا * والتحكم على المنايا * لقلت أيموت فلان الفلانى * ويعيش فلان الفلانى * خطب منكر * وبدل اعور * وسبحان من له فى كل قضية الطاف نعرفها * فنثبتها فى فضله ونعمته * ونجهلها فنردها الى عدله وحكمته * فانما كان نجما

نجما من نجوم الادب هوى * اوغصنا من غصون العلم ذوى * فانا لله وانا اليه راجعون ثم انا لله ورحم الله المتوفى رحمة تغسل اوضاره * وتحط اوزاره * والحقه بالطيبين الطاهرين * من آل يس * وفرق بينه وبين النواصب والضالين * الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولازال القاضى يعزى عن احبابه * ولا يعزى عنه ولا به * ولا كان عليه طريق للنوائب * ولا على جنبته معبر للمصائب *

﴿ وكتب الى قاضى سجستان حين نكبه اميرها ﴾

اذا ما الدهر جر على اناس * كلاكله اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

اما بعد ايد الله تعالى القاضى فانه لم يحسن الى غيره من اساء الى نفسه * ولم ينصر اصدقاءه * من خذل حوباءه * وانما يحب المرء اخاه بما فضل عن محبته لروحه التى له خيرها * وعليه ضيرها * وكانت محنة القاضى محنة شملت الانام * وخصت الكرام * ووجب على كل من اشتم روائح العقل * وميز بين النقصان والفضل * ان ينفطر لها الما * وان يبكى عندها دما * وخلص الى من ذلك ما اضحك منى الاعداء * وابكى لى الاصدقاء * حتى رحمنى من كان يحسدنى وحتى عجب من جزعى من كان يصبرنى * وحتى غضضت طرفا طالما رفعته * وقبضت بنانا طالما بسطته * وحتى عزيت كما يعزى الثكلان * وسليت كما يسلى اللهفان * وانا بعد ذلك استصغر فعل نفسى وهى جزعة هلعة * واستقل سعى عينى وهى سخينة دمعة * وكان يجب على مقتضى هذه الجملة واساس هذه البنية ان احضر مجلس القاضى فاصابره نهارا واساهره ليلا وتكون المحنة بينى وبينه احملها عنه ويحملها عنى ولكنى علمت ان والينا هذا رجل ينظر الى الذنب الخفى * ويتغابى عن العذر الجلى * وله اذنان واحدة يسمع بها البلاغات وهى كاذبة * واخرى يصم بها عن المعاذير وهى صادقة *

وليس بينه وبين العفو نسب * ولا له الى التثبت طريق ولا مذهب *ولو تعرضت لسخطه * بعدما عرفته من شططه * لتحملت دونه الوزر فى ظلمى * ولكنت مقدمته الى ذمى * ومن قعد تحت الريبة ركبته * ومن تعرض للظنة نالته *

ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل

واقل ما كان ينبعث من حضورى ان يثب هذا الجواد وثبة يصون القاضى عنها * ويبتذلنى لها * فاكون قد ضررت نفسى ولم انفع غيرى فاذا بالمحنة قد تضاعفت على القاضى ضعفين * وتكررت عليه كرتين * يرى بولى من اوليائه * داء لا يقدر على دوائه * ويرى وقودا لايصل الى اطفائه * ويتبين فى حاله متصلة بحاله ثلمة لا يمكن سدها * ومحنة لا يستوى له ردها * فلما مثلت بين تخلفى آمنا * وحضورى خائفا * عدلت بين طرفى الرؤية * و وزنت بين مقدارى المحنة * فرأيت ان اميل مع السلامة * واقنع من العمل بالنية * واغتفر عهدة التفصيل لصحة الجملة * فغبت وكلى غير جسمى شاهد * وتميزت وما انا الا مشاهد * وبعدت وقلبى قريب وباينت وقلبى سهيم واغضيت على عين كلها قذى * وانطويت على صدر كله شجا * وانصرفت بقلب ساقط راض واغمضت بجفن ضاحك باك وقلت

فان تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه فى القبائل

ولقد نسجت فى ذم الظالم حللا لايبلها الماء * ولا يجففها الهواء * ولا تغطى عليها الظلماء * والمغبون من احتقب الاثم والغارم من غرم العرض والرابح من محنته فانية * ومثوبته باقية * ولو انصف الظالم لكان يعزى * ولو انصف المظلوم لكان يهنى * جعل الله تعالى هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مدد * ولا ليومها غد * وجعل العمل بها آخر عهد القاضى بالعسر * وخاتمة اقاته لريب الدهر * ولا حرمه فيما نزل به مثوبة الصابرين * ولا اخلاه فيما بعده من مزيد الشاكرين * برحمته

وكتب

﴿ وكتب الى مسكويه و قد تزوجت امه ﴾

العاقل اعزك الله تعالى لا يرى المحنة اذا تخطت دينه محنة * و لا يرى النعمة اذا تعلقت بذنب خطيئة نعمة * و لا يريد الشرف الا بالتقوى * و لا يرى الضعة الا ما وضع من رتبته فى الدار الاخرى * و بلغنى ما اختارته الوالدة صانها الله تعالى فحمدت الله تعالى الذى رزقك والدا لا يلزمك حق ابوته * و وعدك اخا لا يحملك حمل اخوته * و قد كنت اسأل الله تعالى ان يبارك لك فى حياتها * و الآن اسأله ان يعجل لك بوفاتها * فان القبر اكرم صهر * و ان الموت استر ستر * و لا تذهب نفسك حسرات على ما سبقك عليه الدهر وغلبك عليه الرزق فلا حيلة فيما احل الله * و لا مضايقة من حيث وسع الله * و للانسان اباء و الحمد لله الذى كان العقوق من جهتها * ووقع الجفاء من جنبتها * فانك بررتها صغيرا * و بلغت مرادها كبيرا * فاجتمع لك بران * و وقع لك على الله اجران *

﴿ وكتب الى صديق له على ديوان الخراج ﴾

الايام ايدك الله تعالى بينى و بينك ترجمة لى عن صحة وفائك * و شهود عندى على صدق اخائك * واقل حقوقك على يلزمنى ان لا اشغل لسانى بغير شكرك * و لا قلبى الا بذكرك * و لو تجاوزوا طبقات اهل مودتك فى ميدان المقة * وتنازعوا خصل الانس و الثقة * رجوت ان اكون سابقا ليس له سابق * و لا يذكر معه لاحق * وان تجلى الغاية منى عن محبة مرباة بالوفاء * وعن شكر مرضع بالدعاء * و قد بلغنى خبر سعيك لفلان فى العمل الذى هو دون قدره * وان كان فوق اعمال عصره * فشكرتك عنه و ان كان شكرك اوفى و املا * و بايفائك حقك احق و اولى * و اردت ان اكل شكرك اليه * و لا اتطفل فيه عليه * فكرهت ان تطوى صحيفة الشكر و لم يجر لى فيها اسم * و ان تختم

جريدة المشاركة ولم يكن لى فيها قسم * فذكرته لك و انت له اذكر * و شكرتك عنه وهو لك منى اشكر * على انى ارغب بذلك الحر عن التلطخ باوضار الاعمال * فانها مزالق اقدام الرجال * وضنا به عن تخاليط الايام * و صيانة لمحله عن مدانسة الاوهام * و نعمتك عليه مقسمة بينى و بينه * بل اكثرها لى دونه * فما ظنك بعارفة واحدة تكسبك شكرين * و تستعبد لك حرين * وجدير بمن هطلت عليه سحائب عنايتك * و رفرفت حوله اجنحة رعايتك * ان ينبو عنه سيف الزمان مفلولا و يرجع عن ساحته عسكر الزمان مهزوما و الله عز و جل اسأل ان لا يحرمك نعمة يمد اليك بها عنق ودود * و منة تفقأ عنك عين حسود * اخبرت انك ايدك الله تحدث نفسك بزيارتى وانه ليسرنى ان اخطر ببالك * و يسوءنى ان اصير زيادة فى اشغالك * ولا تجشم نفسك فان خيالك فى كل ليلة نائب عندى عنك * و ان لم يكن فيه ولا فى الدنيا كلها عوض لى منك *

﴿ وكتب الى ابى محمد العلوى ﴾

كتابى عن حضرة الوزير و انا راتع فى فضله * مستذر من الايام بظله * متعرف نعمة الله تعالى على به و قد كنت اشكو الى السيد ما منيت به من ضعف احتمالى لاعباء منن الوزير على * وسوء مجاورتى لاحسانه الى * و كنت اخشى ان اكون سببا لحرمانه غيرى من نزاع الآمال اليه * و وفود الشكر عليه * فيقدر ان كلا منهم يكفر النعمة كفرى * و يستر وجه الصنيعة سترى * و الكفر مخبثة لنفس المنعم * فقصدته هذه الكرة لاقيم عذرى * و اقوم ببعض شكرى * و احط عن رقبتى تلك الاعباء التى قت تحتها طليحا * لا بل قعدت نحوها طريحا * فما هو الا ان وردت حضرته حتى انثال على من عطاياه الغزار * و من نعمه الغرائب و الابكار * ما صير امسى ابغض يومى الى * و يومى اكرمهما على * حتى لم تبق زاوية من زوايا الافضال الا اجال لى منها قدحا و اجرى باسمى عليها سهما و لولا ان بعض الشاكرين يسلف الشكر قبل ان يستحق عليه * و ينتحل البر قبل ان

ان يسدى اليه * و يجعل ذلك استجلاب رزق * و ايجاب حق * و اقامة سوق * لكنت لا اقتصر على هذا المقدار شكرا * و لا اضعافه عشرا * و لكنت لا ارجع عن هذا الميدان الواسع بمقدار هذا الطلق * ولا ارمى هذا الغرض البعيد بمثل هذا الرشق * بل كنت لا انصرف و فى الجفير نبل * ولا انقطع و فى القريحة فضل * ولا ارضى من نفسى الا بان اصبح محسورا * وامسى مبهورا *

فقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

وما ظن السيد برجل ليس لعطائه اسم غير الجزيل * ولا لفعاله نعت الا الجميل * اول لقائه بشر * وآخره بر * ومقدمة فعاله الى زواره بشرى * و ساقتها نعمى * اكثر ما يكون نوالا * اشد ما يكون السائل سوالا * واكثر ما كان الطافا * اكثر ما كان الزائر الحافا * واسهل ما كان حجابا * واطلق ما كان وجها ازحم ما كان شغلا واضيق ما كان وقتا واخصب ما كان نوالا * اجدب ما كان مالا * واعدل ما كان فى القضية * واحكم ما كان بالسوية * اخص ما كان المحكوم عليه وسيلة * وانفذ ما كان حيله * و اوسع ما كان نطاقا * اضيق ما كان الخطب خناقا * واسجح ما كان حلما * اعظم ما كان الجانى جرما * واجرا ما كان مقداما * اهول ما كانت الحروب فحما * والعساكر عظما * واضحك ما كان سنا * اشد ما كان قلبه حزنا * واسمح ما كان بماله * لمن استفاد بحاله * لا يصارف فى عطائه * ولا يحاسب على آلائه * قد تكافأت اقسام فضله * وتناظرت محاسن قوله وفعله * فلم يشغله السخاء عن الشجاعة * ولا صرفه الحلم عن السياسة * ولا ثنى عنانه علم الحديث و الاثر * عن علم الكلام والنظر * ولا قدح فى هيبته * ما اشربته القلوب من محبته * ولا بخس الرئاسة حقها * من حيث و فى العشرة حظها * فهو القوى من غير عنف * واللين من غير ضعف * والشجاع الا انه سخى * والحافظ الا انه ذكى * واللغوى الا انه نحوى * والسلطان الا انه تقى * والسائس الا انه اريحى * يسكت حلما لا حصرا * وينطق علما لا هذرا * ويحلم كرما لا غفلة ويمنع نظرا لا تقتيرا ويقدم شجاعة لا خرقا

ويتوقف حزما لا جبنا كل حسنة من حسناته واقفة على حد ما دونه تفريط ولا وراءه افراط يخرج مكارمه فى اقصد الافعال * ويزن افعاله فى كفة الاعتدال *

لا عيب فيه يعاب الا اننى * امسى عليه من المنون شفيقا

بل عيبه انه فى زمان لا يسعه * وفى عالم لا يستحقه * وبين قوم يفعل ولا يقولون * ويحسن ولا يستحسنون * ويبصر ولا يستبصرون * ويروى ولا يروون * ومنع واجب الاستحسان * قطع لمواد الاحسان * وتضييع حقوق النعمة * داعية من دواعى النقمة * واقل ما عنده ان عطاياه قد صيرت المفحم شاعرا وجعلت العفيف سائلا كالمنهل يقصر رشاؤه * ويعذب ماؤه * فيشرب منه العطشان نهلا * والريان عللا * وكالطعام يحسن فى العين ويطيب فى البطن ويخف على القلب فيأكله الجائع تغذيا والشبعان تفكها والحمد لله الذى ارانى بهذه الحضرة الاغنياء يعملون عمل الفقراء * والملوك يحترفون حرفة الشعراء * وما رأيت حضرة اكثر منها داخلا راجيا * ولا خارجا راضيا ولا اجمع فيها بين وجهين مختلفين من بلدين متباعدين قد فرق بينهما الاصل والنسب * وجمع بينهما القصد والطلب * فوردا وهما اعرى من الحية وصدرا وهما اكسى من الكعبة * ودخلا وهما اخلى من الراحة وخرجا وهما اغنى من الشمسة * حتى لقد صارت مجمع الرجال ومثابة العطاء * وملقى الرحال وموسم الشعراء * وقرارة ينصب اليها العلم والادب * وقبلة يهوى اليها العجم والعرب * وما فيهم الا من يود لو اصبحت جوارحه السنة تشكر * وقلوبا تحفظ وتذكر * هذا وفى شواهد احواله * ما يغنى عن استماع اقواله * وشاهد العيان * اقوى من شاهد البيان * ودليل البصر * اوضح من دليل الخبر * وناوس كسرى امدح من شعر زهير بن ابى سلمى * ولو جحدوا كذبتهم العواقب * ولو سكتوا اثنت عليه الحقائب * جمع طبقات اهل الفضل رجلان اما اليه ظاعن * واما

بحضرته

بحضرته قاطن * فالظاعن يحسد القاطن * والقاطن يستبطئ الظاعن * فقد نفضت اليه البلاد رجالها * وابرزت له جمالها * والقت له الارض افلاذ كبدها * وحسبك بالغلاء جالبا * وبالاحسان جاذبا * ومن صادف ثمرة الغراب لم يفارقها ابدا * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا * ولقد اصلحنى هذا السيد بل افسدنى * وقربنى الى الناس بل ابعدنى * لانى بعده لا استام الا العظيم * ولا ارعى الا الجميم * ولا استكرم الكريم * ولا الوم اللئيم * لان الناس كلهم فى عينى بعده لئام * فكيف اعيب ما اجتمع عليه الانام * ومن احمد مراده * وصادف من الماء والكلا مراده * لم يشرب الا من عفوه * ولم ينل الا من صفوه * ولم يلق دلوه الا فى جمه * ولم يرتع الا بين غدير وروضه * فها انا اصبح وامسى بين السرور والجذل * واتقلب بين العل والنهل * واردد الطرف بين الخيل والخول * قد استوفيت على الايام حواصلى وبقاياى * وضممت على مطالبى منها يمناى ويسراى * واصبح اعدائى وهم بالحاجة الى اوليائى * كما اصبح اصدقائى وهم بالحسد لى اعدائى * فلا طريق الى للفقر * ولا منفذ فى لسهام الدهر * والى الله تعالى المعذرة من اسانى العيى * وخاطرى البكى * وقد اسأت مجاورة هذه النعمة بكفرها * وسودت وجه هذه العارفة بقلة شكرها * وسوء الشكر * اول منازل الكفر * وقلة التهدى للنشر والاذاعة * اول طبقات الجحد والاضاعة * وقد رأيت بهذه الحضرة اقواما كنت شاهدتهم على باب سيف الدولة ومنهل الصبا عذب * وعود الشباب رطب * وذكرت بهم مآرب هنالك واياما سلبتها سلبا * ونزعت من يدى غصبا * ودهرا كأنى كنت اقطعه وثبا * فلما رأيتهم قد هاجروا الى هذه الحضرة * وجعلوها من بين الدنيا هجرة * علمت ان الكرم يتوارث بين الكرام وانه انحدر الى اصفهان من الشام * وان العلم والادب يتيمان ليس عليهما غيره وصى * وان المروءة والسيادة ايمان ما لهما سواه ولى * وان المغرب لسيف الدولة رحمه الله * والمشرق لحضرة الوزير ايده الله *

ارض مصردة وارض تثجم * منها التى رزقت واخرى تحرم
واذا نظرت الى البلاد رأيتها * تثرى كما تثرى الرجال وتعدم

فاما آل ابى طالب فانهم ينزلون منه على سيف التشيع و سنانه * و على يد الحق و لسانه * و ما ضرهم مع حياته ان لايعيش لهم الاشتر * وماضرهم مع عطائه ان لاترد عليهم فدك و خيبر * غيرة منـه على الشرف ان لا يصان عن الابتذال رحله * و ان لايحفظ فيه و له اهله * ذهابا بنفسه عن اتباع الانام * و تقليد الايام * فى اهانة الكرام * و اكرام اللئام *

ان الكريمة ينصر الكرم ابنها * و ابن اللئيمة للئام نصور

فلا جرم ان الايام تتطفل عليـه من السعود بما لم يقترحه عليها * و تخرج له من خبـايا الصنع الجميل ما لم يقدره لديها * لمـا رأته يخرج زكاة نعم الله تعـالى عليه * و يستظهر باحراز ودائع الله تعـالى لديه * فعنـده فى كل يوم نعمة تصغر النعم * و تتعب فى اداء شـكرها اليد و الفم *

و ما بلغت آمالنا منـه رتبة * نراها رضا فى قدره المتجدد

و قد علم السـيد انه ليس من فرق الاسلام فرقة الا و قد هبت لاهلها ريحة و دالت لها دولة كما اتفق المختار بن ابى عبيد للكيسانية * و يزيد بن الوليـد للغيلانية * و ابراهيم بن عبيد الله للزيدية و المـأمون لسـائر الشيعة و المعتصم والواثق للمعتزلة و المتوكل للنواصب و الحشوية و ما بلغنا ان احدا من اصحاب تلك الدول * زاد فى عدد تلك النحل * و لقد قتل المختار اهل الكوفة و بعث كتبه و رسله الى اهل البصرة فما قدر ان يزيد جمجمة و احدة فى عدد جماجم الشيعة و لقد رفع المعتصم سوطه و وضع سيفه و صلب * و صادر و سلب * ووعد و اوعد فنبا عنه الدهر بحاجته * و قامت العوائق عليه فى وجه بغيته * و هذا الرجل لم يزل يستدعى بقوله و فعله * و يستعين على عمارة المذهب بجاهه و ماله * و يجرد لسانه و السيف مغمد * و يغمد لسانه و السيف مجرد * حتى اذا علم الله صدق نيته * و مضاء عزيمته * ورآه لايريد الا رضاه * و لا يسلك الا طريق هداه * جمع عليـه القلوب المتعادية * و الف له الاهواء المتباينة * فدخل الجميع دين الله افواجا * و تقاطروا على استجابة الدعوة فرادى و ازواجا * فلم يبق فى نواحى سلطانه احد من النواصب الا وقد غاصت عليه الرحمة وخلصت

له

له الدعوة فهو مبتدئ بالدرس قد نبـغ * اومتوجه فى العلم قد بلغ * و ان احدهم ليدخل فى الحق تحسنا * فيجد بركة الدين حتى يعتقده تدينا * و الناس بالزمان و الزمان بالسلطـان * و اذا اراد الله امرا كان * و ما اقرب البعيـد اذا صادف اسـبابا * و وافق دعاء مستجابا * و ما اسهل الصعب اذا حضره التسديد * و اكتنفته العصمة و التأييد * و ان رجـلا يحيل طباع الزمان * وينقض بنية البلدان * ويفطم الناس عن عادة المنشا والف الاخوان و الآبا ويصير حدا بين النار والجنة * و برزخا بين البدعة والسنة * لعظيم حجم الهمة * واسـع ذرع البسطة بعيد مضرب العزم و النية ثابت مناكب الحول و القوة سالك فى طريقة لم يسلكها من قبله ولن يسلكها من بعده وشتان بين من يصطاد وحش الفلا * و بين من يصطاد قلوب الورى * و ما ابعد ما بين من يبنى البنيان * و من يبنى المقالات والاديان * واين من يعمر الرساتيق والامصار * ممن يعمر الجنة ويخرب النـار * لا بل اين من يفترع عذارى الجوارى * ممن يفترع عذارى المعالى * ولـكن كل قوم على مقاديرهم يدركون * وكل حزب بما لديهم فرحون * هذه ايد الله السيد شهادة ما اقمتها حتى اعددت لتعديلى فيها مزكيين وهما السودد والكرم * و نصبت لقبولها منى قاضيين وهما النعم والنقم * و كتبت بها سجلا حررته بيد الصدق * وطبعته بخاتم الحق * وحضرته من توفيق الله تعـالى اذن تسمع وعين ترى فمن رضى بقولى فانما مدح نفسه * وزكى حسـه * واشرف من الحق من قبله * واحسن من الحسن من فعله * ومن غضب فلا ارضاه الله * فانما سخط من الحق ما يرضاه الله * وباب الاحسان مفتوح فمن شاء دخله * وحمى الجميل مباح فمن اشتهى فعـله * وليس على المكارم حجاب * ولا يغلق دونها باب *

اذا اعجبتك خصال امرئ * فكنه تكن مثل ما يعجبك
فليس على المجد من حاجب * اذا جئته زائرا يحجبك

* *
*

وكتب الى تلميذ له وقد استعار نسخة رسائله ينسخها فتمادى

انت مشغول بنسخ ما استعرته من الرسائل * ولا يسع القلب الواحد لكل هذه الشواغل * وغيرك من اصحابنا حريص على نسخها ولو كان القلم يمينه * والقرطاس جبينه * والثمن دنياه ودينه * فاعرهم اعزك الله تعالى فانى ان تفرغ لها * قد فرغ غيرك منها * وحصل اليوم شكر المعير * وغدا فائدة المستعير * فاذا انت قد افدت واستفدت * وابدأت فى الربح واعدت * واجعل تعجيل ردها الينا * كفارة لما جنيته من حبسها علينا *

وكتب الى خوارزم شاه

بعدما كان الامير وسمنى من تقريبه لى * وتحفيه بى * سمة طار فى الناس ذكرها * وفاح بين العالم نشرها * وتوجهت الى المطالب * وقصدنى الراغب والراهب * وصرت مثابة من مثابات الوسائل * وصار بابى سوقا من اسواق الحاجات والمسائل * نزغ بيننا الشيطان * ودب الينا الحدثان * وكسدت عند الامير تلك السوق التى لم اشكره فى نفاقها * ولم اعاتبه على كسادها * والامير بكرمه يقيم لى فى الظاهر رسم الانعام * ويعظم قدرتوفره على نصيبى من الاعظام * والناس يحسبون ان حظى من قلبه * حظى من ظاهر قربه * وان محلى من ضميره فى المحبة * كفاء محلى من ظاهره فى الرتبة * فلست اعدم كل يوم مستشفعابى اليه * ولا يعلم هو انى عليه * ومستعينا بجاهى عنده * ولا يشعر انى اقوى اسباب الخيبة له * فان رددتهم ظنوا بى الظنون * ولامونى وهم لا يعلمون * وان اجبتهم * ظلمت الامير وظلمتهم * اما ظلمى للامير فتعريضه لرد الرسائل * واقامته مقام المانع الباخل * واما ظلمى لهم فبيعى المغشوش منهم * وتشرفى بما ليس عندى عليهم * وانى لابغض الظلم من نوع فكيف من نوعين * واكره ان اكون مسيئا الى واحد فكيف الى اثنين * وحاجتى الى الامير ان ينزلنى من لقائه وبشره * منزلتى من مكنون

صدره

صدره * وان يسمنى مع ابعادى عنه * كما يسمنى بتقريبى منه * وان يجعل هذه الاخرى سبيلا لسلامتى * كما جعل تلك الاولى سببا لغنيمتى * فانى شاكره على هذا الجفاء * كما شكرته على ذلك البر والاحتفاء * فان كل اللسان * او تعذر على خاطرى الاحسان * سرقت من كلام الامير ثم رددته عليه فاكون قد بعت منه بزه واهديت اليه ملكه واصير عيالا عليه فى مقاله * كما طالما كنت عيالا عليه فى ماله *

وكتب الى كاتب صاحب الجيش جوابا عن رسالة مدحه وعاتبه فيها

فهمت كتابك الذى هو اشرف كتاب الى * قد رصع باظرف عتاب على * وما كان احوجك الى ان تجعل كلامك بمائه * وتحلى ظرفك الناصع ببهائه * فلا تشوبه بالعتاب * ولا تكدره بمر الخطاب * فتكون قد ادبتنا بصمتك * وعاقبتنا بعفوك * فكفاك سلاحا لك قراع الحلم دونك فلربما بلغ الاحسان من العقوبة ما لا تبلغه الاساءة * ودخلت المسرة مداخل تنبو عنها المساءة على انى ما اجهل منفعة العتاب * ولا انكر مرافقه بين الاحباب * ولا اشك فى انه يطرى خلق الود * ويجلو غبرة العهد * ويداوى ادواء القلوب * ويترجم عن خفيات الغيوب * وانه الانموذج بين الاولياء والاعداء * والجسر بين المدح والهجاء * والمصلح للعشرة الفاسدة * والمقرب بين الديار المتباعدة * ولهذا اشتقت لفظة العتبى وهى الرجوع الى الرضا ولكن اذا كان مصدره عن شكاية * ومنبعه عن جناية * ووقع عن فترة فى الود عرضت * او ثلمة فى الانصاف حدثت * جمع الشمل * وجدد الوصل * وصقل ما صدئ من العشرة * وازال ما وقع من الفترة * واذا كان مصدره عن تجرم وتجن كان مفتاحا لباب العربدة * ومكدرا لصفو المودة * وترجمانا عن لسان القطيعة وانما هو دواء اذا لم يصادف داء استحال داء * واذا صادفه كان شفاء * وقد كانت هذه الواحدة منك فلتة وقاك الله شرها فمن عاد الى مثلها قتلناه بسم القطيعة وهو اشد الحتوف * وضربناه بسيف الهجر وهو امضى السيوف * ولولا

انى لا استخير مقابلتك * ولا ارعى معارضتك * لزعمت انك الظالم المتظلم * والمجرم المتجرم * و انك لما عرفت جرمك * و تذكرت ظلمك * وعلمت ما وجب عليك من العتاب * الذي هو ابلغ العقاب * و رأيت انك قد ارتكبت من القطيعة جريرة قد احلت عرضك الالسنة الواقعة فيك * واهدفت جانبك للظنون المظنونة بك * اخذت اخاك قبل ان يأخذك * و شكوته قبل ان يشكوك * و برزت هاربا فى زى طالب * و خرجت جانيا فى معرض عاتب * و تكلمت بجراءة المنصف و تحتها جور الظالم * و ادليت بحجة البرئ و انت عين الجارم * حتى لقد كدت ان تشككنى فى نفسى و تغلبنى على علمى * و تجعل لوهمى سلطانا على فهمى * اولا يقينى بباطلك و معرفتى ان الاساءة فى شقك والله تعالى المستعان على صديق نحن منه بين اثنتين اذا صار منا اذاقنا مرارة صده * و سامنا بشاعة فقده * وصفرت بيننا وبينه وطاب اللقاء * و اقفرت بيننا و بينه معاهد الاخاء * و دبت لنا و له عقارب القطيعة * و هبت علينا و عليه رياح الجفوة الفجيعة * و اذا صالحنا نسب الينا المظالم * و تجرم علينا الجرائم * و على ذلك فصلحه احب الينا من حربه * و بعده اثقل علينا من قربه *

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

ذكرت انك مترجح منى بين وصل واعراض * ومرتبك من عشرتى بين انبساط وانقباض * ولقد صدقت فى الاولى * و لا اقول كذبت فى الاخرى * سقى الله ايامنا التى عاشرتنا فيها عشرة قصرت عن تناولها يد الدهر * و طرفت عن ملاحظتها عين القطيعة والهجر * وجلت عن ان تثلمها انياب السعاة * ونبت عن ان تمضى فيها معاول الوشاة حتى لقد دخلنا من الانس مداخل لا تطردها الحشمة * و فتلنا من الوصل مرائر البين و الغيبة * حتى اذا امنت عليك الدهر الذى لا يؤمن * وائتمنت عليك العيش الذى لا يؤتمن * خالفتنى الى الود فهدمت منه ما بنيته * وسبقتنى الى الوصل فعوجت من اطرافه ما سويته * وابرزت مصون الوفاء للغدر * ووضعت ربقة الاخوة فى يد الدهر * وسلطت على ما زرعته يد الوفاء * حاصدا من الجفاء * و ذكرت

بعد

بعد هذا كله انى استاذك فى الهجران و الصد * و تلميذك فى الوفاء و حسن العهد * وانك عرفتنى ثم انكرتنى * و استلنت مسى ثم استوعرتنى * و هذه دعوى قد سلمت اولها * وانكرت آخرها * وانا فيما عرفته لك * واست فيما انكرته عليك * فان العمر اقصر مدة * والزمان اصغر مسافة * من ان اخترمها معك بالعتب والعتاب * واستهلك نفسى منهما و منك من تكليف الابتداء و اقتضاء الجواب * فان المودة اذا كانت لا تنبعث الا بالاستبطاء * ولا يمشى امرها الا بالعتب والاشتكاء * كانت كالعلق النفيس يحتوى غصبا * و يؤخذ سلبا * وكان المطالب فيها كالمصادر على قلبه * وكالمستنزل كرها عن حبه * و انا بعد هذا ابرأ اليك من عهدة خاطرى العليل * ولسانى الكليل * وكيف ينبعثان لى فى عتابك و هما مقصران فى مدحك * وكيف يسرعان فى حربك وهما بطيئان فى صلحك * هذا وطريق مدحك نهج قصد و طريق عتابك وعث وعر و جانب صلحك مورق مشرق * وجانب حربك مهول غلق * وانى لآخذ القلم لاكتب به عتابك فيتشظى على * ويسقط من يدى * وكيف تساعدنى بنانى * على ما يخالفنى فيه جنانى * وكيف يطيعنى بعضى فيما يعصينى فيه كلى و لو كنت احمد بن يوسف فى البلاغة * وعبد الحميد بن يحيى فى اتساع الكتابة * و جعفر بن يحيى فى الاختصار * وابا الربيع فى التوسع و الاكثار * وابا العيناء فى العارضة وابا العتاهية فى البديهة و ابن المعتز فى التشبيهات * وابا نواس فى الخمريات و الطرديات * والعتابى فى المعاتبات * والنابغة فى الاعتذارات * وصريع الغوانى فى الاستعارات * و الفرزدق فى الفخريات * وجريرا فى المهاجاة وغلبت فى المخاطبة صعصعة بن صوحان * وقمت فى الفصاحة خالد بن صفوان * ونطقت بيتيمة ابن المقفع مرتجلا و اتيت بعجوز آل رقية مبتدعا وبعذراء آل خارجة مقتضيا و ضرب بى المثل فى المقامات لا بسحبان وائل * وبوهى به فى العى عندى لا بباقل * وحفظت حفظ الشعبى وحاضرت محاضرة ابن القرية النمرى وابدعت ابداع ابى تمام الطائى ووعظت عظة الحسن البصرى وجادلت جدل النظام فى الكلام وصنفت تصنيف الجاحظ فى الجد

والهزل * واربيت على اياس بن معاوية فى الذهن والعقل * وبهرجت الاصمعى رواية * وزيفت ابا عبيدة حفظا ودراية * وعلمت امير المؤمنين عليه السلام الحلال والحرام * ولقنت شريحا القضاء والاحكام * وصرت الذى زاده الله بسطة فى العلم والجسم * ووفقت توفيق سليمان فى الحكم * واخذ عنى بطلميوس علم الهيئة وارسطاطاليس علم الفلسفة وبلنياس باب الطلسم والحيلة وقرأ على سيبويه نحو البصريين * والفراء نحو الكوفيين * واختلفت الى الهند فى تعليم الحساب * ودرس على ابو عثمان المازنى علم التصريف والاعراب * واقتبس منى الخليل عروض الشعر * وكان هاروت وماروت تلميذى فى السحر * وضرب على قالب خطى خط ابن مقلة وتوارث الكتابة اهل بيتى كما توارثها بنو ثوابة * وامليت على ابن الكلبى شجرة النسب * وعلى ابى عمرو بن العلاء ايام العرب * واوتيت الحكمة وفصل الخطاب * وكنت الذى عنده علم من الكتاب * وعددت فى الراسخين فى العلم عدا * وقال لى موسى هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا * ثم حملت بعد هذا كله على ان يمضى بى فى عتاب الاخوان لسانى * او يجرى فيه بنانى * لقصر عن ذلك عنانى * ولارتبك فيه عقلى وبيانى * ولعييت والحق معى * وانقطعت والحجة لى * وما اعتذر الى احد من عيبين بليت بهما * وخلقين ركبت منهما * جبنى عن الاصدقاء * وجرأتى على الاعداء * رأيتك ايدك الله تعالى قد تواضعت لى فيما تجليته من الفضل الذى لو صح لى لكنت فيه جنيبتك * ولسلكت فيه طريقتك * وانت بحمد الله تحسن ان تأخذ ما فوقك مما تحتك * وان تمدح نفسك بما تمدح به غيرك * وان تتواضع وانت ترتفع * من حيث يرتفع غيرك وهو يتضع * وان يخصك فى المراتب الكبر * من خص غيرك الكبر * ولست اقول انك صادق فادعى لنفسى فضلا * ولا انك كاذب فاناقض لك قولا * ولكنى اضع بيننا قول الاول

وعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المعايبا

ولولا انى اكره ان ننسب جميعا الى التقارض فى الثناء * وان نقعد تحت قولهم من ضيق الصدر سرعة الجزاء * لو صفتك ببعض ما فيك من المحاسن

المحاسن التى انت فيها عريق صريح وغيرك فيها دخيل دعى وانت لها نسيب قريب وغيرك عنها اجنبى بعيد وبعد فانا والله معتد للايام بنصيبى منك * متحمل لها شكر العارفة فيك * منافس فى نعم الله تعالى على بك لا افتح عينى على احب منك الى * ولا اضم جناحى على اعز منك على * ولا اقرأ لك كتابا الا يهون على ما قبله * ويزهدنى فيما بعده *

﴿ وكتب الى رئيس دامغان ﴾

انا اغار لما بينى وبينك ايدك الله تعالى من ذل التملق * ومن عشق التشوق * واقشر لك عصا العتاب * واتسرع لك بخشونة الجواب * اذ كانت الحال بيننا مبنية على اساس الصدق * ومصونة بحمد الله تعالى عن شوائب المذق * وليس بعد العتاب الا التقدم الى الصلة او النكوص الى القطيعة وانما هو جسر عن يمينه العتبى والرجعى * وعن يساره النوى والشكوى * فلا تفتح من التجوز بابا اغلقته يد الوفاء * ولا تبح من الحفاظ جانبا حمته قضية الود والاخاء * ولا يحتج فى الباطل بحجج هى اضعف من قلب العاشق * واوهى من دين المنافق * وارق من امانة الفاسق * واعلم ان كلام من ينصر الباطل لا يولد الا مخدجا * ولسانه لا يكون الا ملجلجا * واقصر ما يكون بنانه * اذا طال لسانه * وانزر ما تجده عقلا * اغزر ما تجده قولا * فان الباطل يصغر من حيث يكبر * ويقل من حيث يكثر * وليس طلاقة اللسان بغير الحق الا اذى للسامع وحجة على القائل * وسلاحا لكل جاهل * وجناية على كل عاقل * وكل قليل سد ثلمة الحاجة فهو كثير * وكل كثير وقع دون الكفاية فهو قليل يسير * وشبكة المحال اوهى من ان يتشبث بها رجل محق * وكيد الباطل اضعف من ان ينفذ فى حق * وحسب الكاذب بفعله شتما * وبقلبه خصما * وبالسكوت عنه ذما * وقد خرقت فيك حجاب المجاملة ولبست لك ثوب المكاشفة فان ادبك ذلك فمؤدب الحر العاقل اخوانه * ومرآته زمانه * وسوط

الفرس الجواد عنانه * وان ابيت فما انا باخع نفسى على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا

﴿ وكتب الى خوارزم شاه ﴾

كتبت الى صاحبى بتلك الناحية يعرفنى انتشار ما لى بها * وتمرد شركائى فيها * وما كنت اظن بقعة يجوز فيها للامير ختم * او ينفذ له فيها حكم * تعلو بها للباطل راية * او يكون بها للظلم على العدل ولاية * ومن العجائب ان اكتسب الدرهم فى بقاع لم انبت فيها * ولم اخرج منها * ثم يؤخذ منى فى عشى الذى فيه درجت * وبيتى الذى منه خرجت * وان احمله فاقطع به لجج البحار * وفيافى القفار * ويسقط منى على باب الدار * هذا وقد علم الامير ان والدى رحمه الله تعالى خلف على ما او خلفه على اهل بلد لكفاهم * ولو فرقه على فقراء الدنيا لاغناهم * فما زالت صروف الدهر بخوارزم تقاتلنى جهرا * وتخاتلنى سرا * حتى خرجت منها اعرى من حية بعد ما كنت اكسى من بصلة وافقر من الحجر بعدما كنت اغنى من الكعبة واعطل من المحرم بعد ما كنت احلى من الشمسة قد كسرت كسر الجوز * وقشرت قشر اللوز * وجرى على فى مسقط رأسى ومجمع اسرتى * ومقطع سرتى * من الغرم الثقيل ما كان من الثقل اثقل * ومن الذل الطويل ما كان من الطول اطول * ومر على رأسى ما لو مر على رأس الشاب لشاب * ولو نزل بالحديد لذاب * على انى حيثما كنت تاج على خوارزم معقود * وشرف لها معدود * ومشهد فيها مشهود * ومقام من مقاماتها محمود * وكل من رآنى مدح بلدا كنت من اهله * وفدى والدا انا من نسله * وعهدى بمثلى يغنم * فصرت اليوم اغنم * فسبحان من جعل القصر المشيد بئرا معطلة وجعل الغانم غنيمة وصير السالب سلبا وحول الراكب مركبا وادار الفلك فيما يدل على اضطرابه * ويترجم عن خرقه وانقلابه * ومثلى ايدك الله تعالى اذا ابتذل استوحش * واذا استوحش اوحش * ومن وطئ العقرب اوجعته وان اوجعها * ولسعته وان لذعها * ومن فل السيف برأسه انكسر

منه

منه اكثر مما كسر * وخسر اكثر مما خسر * وان من باعنى لقليل البصيرة بالبيع والشراء * ردئ المعرفة بابواب الاخذ والعطاء * مستريح مما تعبت له نفوس الكرماء * نائم عما لم تزل تسهر له عيون العقلاء * والسلام

﴿ وكتب الى ابى سعيد احمد بن شبيب لما شارف نيسابور ﴾

مرحبا بالقمر الطا * لع فى جنح الظلام
مرحبا بالاسد الور * د وبالجيش اللهام
مرحبا بابن شبيب * وايادیه الجسام
مرحبا بالرجل الاو * حد من بين الانام
مرحبا بالكاتب الجز * ل وبالحبر الهمام
قد نجونا منك يا بيـ * ـن فودع بسلام

سبقنى ايد الله صاحب الجيش فلم املك عنانه * وجمح بى خاطرى فلم اضبط زمامه * فكتبت هذه الابيات وجلتى بيد الطرب * وتماسكى فى قبضة العجب والعجب * وخرجت من ربقة الوحشة * وهى شبكة الغم والدهشة * حتى لاحت لى رايات اللقاء * وفاحت روائح الالتقاء * وعلمت انى قد رزقت على الدهر دولة واعطيت على الغم كرة وورد البشارة التى جعلتها تاريخ احسان الدهر * وغرة وجه العمر * ودرياق القلب والصدر * وعلمت ان الله تعالى لم يسر هذه القدمة * ولم ينلنى هذه العزمة * الا وقد اراد بى خيرا * واعتمد لى احسانا وبرا * وقدر ان يثلج صدرى ويشد بها ازرى * ويقوى ظهرى * وينتصف لى من دهرى * ويهزم عساكر الزمان عنى * ويفرق شمل الحدثان دونى * ويرزقنى النظر الى وجه من صنعنى * وخرجنى واصطنعنى * فتعلمت الترسل من نثره * واصبحت شاعرا برواية شعره * ووطئت بساط الملوك بعنايته اولا وراضعتهم الكاس بجميل نظره ثانيا هذا من دقاق آثاره لدى * ومنسى صنائعه الى * وانما ذكرت قلا من كثر * واشرت بلمحة الى بدر * فالآن حين اجر ذيل

الفرح * واتسربل الجذل والمرح * وارى اهل نيسابور خاصة * واهل المشرق عامة * ان خوارزم بيت الرجال * ومعدن الكمال * ومنبت الفضل والافضال * وان فى الزوايا خبايا * وفى الرجال بقايا * وان البقاع متساهمة فى الفضل * ومتفاوتة بمقادير الاهل * و وددت ان صاحب الجيش يركب النجم السيار * ويمتطى الفلك الدوار * ويطوى المنازل طى الرداء * ويصل الغداة بالعشاء * بل وددت ان الريح تحمله * او ان البراق ينقله * وان الخضر يصحبه خليلا * وسليمان بن داود عليهما السلام يرافقه زميلا * ليصغر حجم الانتظار * وتقل مدة بعد الدار *

ولا اعتد فى الدنيا بيوم * يمر ولا اراك ولا ترانى

وها انا ابد الله تعالى صاحب الجيش سيف طرير * وسنان شهير * ولسان على الاعداء مسلول * وسلاح على حساد النعمة مصقول * اذا ورد ايده الله تعالى لزمت بابه * وصحبت ركابه * وكنت بوابه * وقد اعلمت من سالنى عن صاحب الجيش انه رجل طلع به النجم مرة ودار به الفلك فلتة و ولدته امه غلطة وسعد به الزمان خلسة * فهو فى الرجال علم وفى الكمال عالم وفى الزمان واهله غريبة * و بين الدنيا وبنيها يتيمة * قد كنت سألت صاحب الجيش حاجة صغرت عن ان تلحظها اجفانه * او يجرى بقضائها لسانه * ولكن الحاجة على قدر السائل * لا على قدر الباذل * والهبة تصغر وتكبر فى وزان الطالب * لا فى وزان الواهب * والصغير اذا احتيج اليه كبير * كما ان الكبير اذا استغنى عنه صغير * ولو تبارى اهل الشكر فى رهان * وجروا نحو الغاية فى ميدان * لبرزت فى الحلبة الاول * وكنت فيما بينهم الاغر المحجل *

ولو ان للشكر شخصا يبين * اذا ما تأمله الناظر
لصورته لك حتى تراه * فتعلم انى امرؤ شاكر

وصلت الجارية فقبلتها بالطاعة * ورددتها بالدالة عليه فى الساعة * لان فلانا صديق قد ملكها وانا اكره ان اعاشر رجلا له فى دارى غلاف * وان تكون عندى مضربة لها غيرى لحاف * فما اقبح بالحر ان ينادم من شركه فى

حرمته

حرمته * وسبقه الى باكورته * فيجلس خلان على لبد * ويجتمع سيفان فى غمد *

﴿ وكتب الى صاحب جيش خوارزم وورد عليه كتابه بخبر علته يعتذر اليه من ترك العيادة ويتوجع له من العلة ﴾

هذا كتابى اطال الله تعالى بقاء صاحب الجيش عن سلامة الا من الاهتمام لعلته * ومن التذمم لترك عيادته * ومن العتب على الايام الجارية الراكدة الفاترة * الظالمة الجائرة * فيما دهمت به الكرم واهله * والفضل وشمله * والحمد لله تعالى لا على انه حمد مستزيد فيما نابه * مستمد بالشكر لما اصابه * ولكن اقامة لرسم العبودية * وسلوكا فى نهج البشرية * وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله خير البرية ورد على كتاب الشيخ صاحب الجيش بعد قرم هزنى * وتطلع طويل اوروده اقلقنى واستفزنى * وبعد انى حاسبت لتأخره عنى نفسى على ذنوبى واستدركت عليها عيوبى * وجلت فى زوايا جناياتى عليه * واساآتى اليه * انظر بايتها استحققت ان اطوى فى ادراج الجفوة * واجلس على قافية التغير والنبوة * اذ كنت اعلم ان صاحب الجيش اعرق فى الكلام نفسا * واصدق فى الفضل حسا * من ان يعاتب وفى الصبر فضلة * او يؤاخذ وللاحتمال جهة * فلما كاد الكرب ان يستحوذ على خاطرى * ويستوعب حساب صدرى وصبرى * طلعت على النعمى * فى اثناء البشرى * وانفرجت لى ضبابة التخمين * عن نور اليقين * ووصلت الى السعادة * تكتنفها الزيادة * وفضضت الكتاب الكريم عن كل ما اجذل النفس وسرها * وبرد العين واقرها * حتى وصلت منه الى خبر العلة فدارت بى الارض وهى ساكنة واظلمت على السماء وهى مسفرة وضاقت على الدنيا وهى واسعة فقلت قبح الله تعالى الدهر فانه على ذوى الكرم الب * وعلى الفضل واهله حرب * وللؤم واللئام حزب * وللادب ورهطه عدو معاند * وللجهل وذويه ولى

معاضد * ثم رجعت الى ادب الله تعالى ذكره فوجدت ساحة الصبر اوسع و مطية الدعاء اجل فقلت اللهم ارفع عن مهجة المكارم اذاها * و ادفع للمجد عن تلك النفس النفيسة و الروح الاريحية ما يبيح حماها * و تصدق علينا و عليه بهذا الواحد الذى بقاؤه جسر بين دولة الفضل * و كرة الجهل * و برزخ بين مد الجود وجزر البخل * ثم انشدت

ما حال من كان له واحد * يمرض عنه ذلك الواحد

و انا اتوقع كتاب صاحب الجيش بخبر العافية فان تأخر كنت جنيبه فى العلة و ان ورد عمرت المساجد صلاه * و ملأت الفقراء و المساكين زكاه * و صمت حتى تعاتبنى بطنى سغبا * وقمت حتى تخاصمنى رجلاى تعبا * و صليت صلاة امامية * و عبدت عبادة علوية * ولم افعل مافعله ابن نوفل حيث قال فى ابى شبرمة

فغزوان حر وام الوليد * ان الله عافى ابا شبرمه
جزاء لمعروفه عندنا * و ما عتق عبد لنا او امه

فسأله جار له عن غزوان و ام الوليد فقال سنوران فى الدار فاعتد بعتق رقبتين و هو يعتق سنورين * و لكن افعل ما فعل قيس بن معاذ مجنون بنى عامر حيث يقول

انا جهلنا فخلناك اعتللت و لا * و الله ما اعتل الا الظرف و الادب

و اذا اتصل بى خبر العافية الذى هو عندى عافية الدين و الادب * و الفضل والحسب * قلت

و ما اخصك فى برء بتهنئة * اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

اردت ان اركض الى حضرة صاحب الجيش ركضا يتقدم الايغال * و يقتل الخيل و البغال * حتى اصل السير بالسرى * و اجمع بين العصر والاولى * فاشاهد نعمة الله تعالى عليه و علينا به فى افراقه من علته * و اكتسائه ثوب عافيته * ثم تطيرت لنفسى من ان انظر الى ولى نعمتى وبه آثار الصفرة * و الى جسمه وبه

وبه بقايا الفترة * هذا بعد ان جمعت منتشر اسبابى * و وضعت رجلى فى ركابى * و رفعت عصا السفر * و سلمت نفسى الى القضاء و القدر * و انشدت قول الفرزدق

و نعود سيدنا و سيد غيرنا * ليت التشكى كان بالعواد

ثم اتبعته قول ابى الطيب المتنبى

حق الكواكب ان تعودك من عل * و تعودك الآساد فى غاباتها

و لقد جنت الايام على الاحرار جرما عظيما * واتت الى الكرام فعلا ذميما * و ترجم الدهر بانه لئيم لا يحب كريما * جعل الله تعالى هذه العلة آخر علل الكرام * و خاتمة جنايات الايام * و لا ارانى الله بعدها فى صاحب الجيش الا ما يضحك منه العلى * ويطلق وجه الغنى * و لا فجع بسلامته الدين و الدنيا *

﴿ وكتب الى ابى الحسن المعروف بالبديهى الشاعر زعم يعبث به ﴾

لست اعاتبك عافاك الله تعالى لان العتاب يصلح منك * او يعمل فيك * او لان جهلك جهل يعالج بالعذل * او يداوى داؤه بالقول * كلا عافاك الله تعالى جهل الناس عرض وجهلك جسم لا يزول الا بالفعل * و لا يقع دواؤه الا من الكف والنعل * ولكنى انما اردت بهذه الرسالة ان تتوجه عليك الحجة * وان تنقطع عنك العلاقة و العلة * وان كانت ترد منك على عين عمياء * واذن صماء * و قلب لا يعرف النقصان الا فى ماله * ولا يحس بالالم الا فى جسمه * ولا يجد للنقص مسا ولا للعيب وقعا ولقد عققت هذا الكلام بك * وضيعته فيك * ووجهته منك الى من نزه عنه العتب لغباوته * والشتم لحقارته * ولو قدر الكلام على عقوبة من صنعه * وتوصل الى تضييع من ضيعه * لعاقبنى بان يطيل هجرانى * ويكون هذا آخر عهده بلسانى و بنانى * فها انا المظلوم الظالم * و المخاصم المخاصم * ظلمتنى بلؤمك * فظلمت الكلام بلومك * وخاصمتك فى جهلك * فخاصمنى العقل فى عذلك * فيا من جمع على مصيبتين * ووضعنى

على طريق الظلم من جانبين * ويا من ابت العجائب فيه ان تردنى الا من طرق شتى * وان تقع الا مثنى مثنى * وليس محنتى فيك باعظم من محنة الحق الذى لم تزل تعبث به حتى لو تجسم نفسا لسعيت فى ذمها * او تمثل دارا لجهدت فى هدمها * كأنك لم تخلق الا لتطمس عين النور * وتقلب اعيان الامور * فتجعل الضوء ظلمة وتعكس البدعة سنة حتى كأن سوفسطا استخلفك على جحد مايدرك عيانا * ويعرف ايقانا * فانت وارثه فى الباطل * وناصر جهله على كل عاقل * وحتى كأن الله انزل عليك قرآن ضلالة * وبعث اليك رسول جهالة * وقال لك خالف الاجماع وانت على السنة * وعاد الصواب وانت فى الجنة * واوحش الاحرار وانت اصل الحرية * وباين الناس ومنك منبع الانسانية * وانصر اللؤم وانت الكريم * وناقض الحكماء وانت الحكيم * لو علق القبيح بالثريا لصعدت اليه * ولو دفن المحال فى تخوم الارض السابعة لغصت عليه * الجميل عدو لك تحاربه * والسداد ضد من اضدادك لا تقاربه ولا تناسبه * فانت العكس الا انه يمشى على رجلين * والجور الا انه ينطق بلسان وشفتين * والجهل الا انه مخاطب * والعى الا انه مثاب معاقب * لو سئلت عن يحيى بن زكريا لذكرت انه زنى * ولو ذوكرت فى القائم ادعيت انه مضى ولو استخبرت عن ابليس ذكرت انه سجد لآدم * ولو نوظرت فى عيسى نفيته عن مريم * ولو انشدت شعر امرئ القيس لنسبته الى الافحام * ولو ذكر ابو جهل حكمت له بالاسلام * ولو استحسن كلام مزبد قلت انه ميت الخواطر * فاتر النوادر * ولو سمعت خطب امير المؤمنين على عليه السلام استعييت بيانه * ولو مررت بايوان كسرى استقللت بنيانه * ولو رأيت بناء ارم ذات العماد استصغرت شانه * ولو اجرى حديث الحسين بن على عليهما السلام صوبت رأى قاتله * وعذرت فعل جادله * ولو حكى قول فرعون انا ربكم الاعلى قلت ما اخطا ولا تعدى ولو سمى ابن عباس نفيت عنه علم التأويل * وتحلته الجهل بمتن التنزيل * ولو خوطبت فى التراويح اخذت بابتداعها الشيعة * ولو عد الاجبار والتشبيه الزمت دينهما المعتزلة ولو انشدت * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * ما رضيت نظمها * ولو اسمعت * لا يذهب العرف بين الله والناس * ما استحليت طعمها *

ولو

ولو حلم الاحنف بن قيس استخففت عقله * واستعظمت جهله * ولو استفتيت فى فريضة ادعيت فيها اجماع الامة * واتفاق الائمة * ولو اعيد حديث ذى القرنين واستيلاؤه على الخافقين احتقرت سعيه * ولو تعجب الناس من بناء الهرمين اخذت تذكر انتقاصه ووهنه * ولو استبدعوا صنعة الخليل العروض اخذت تزعم انه ما احدث امرا * ولا افترع بكرا * ولو استحسنوا وضع كليلة ودمنة وصفت ان امثالها غثة * وان حكمها رثة * ولو فضل التوحيد افردت به النصارى ولو عيب الثنوية برأت من عيوبهم مانى ولو غنيت بالحان ابن شريح ومعبد قضيت عليهما بانهما من بابة التوبة والعبادة * ومن شريطة النسك والزهادة * ولو مدحت العافية اسهبت فى ذمها * كما لو فضلت السعادة اكثرت فى شتمها * ولو شاهدت الهند عبتهم فى ضعف العزيمة كما لو دخلت بلاد الصين لمتهم فى رداءة الصنعة ولو عاينت العرب رميتهم بضيق البيان واللغة وقلة العارضة والبديهة ولو قرأت سيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه زدت فيها سن المتعة ولو عثرت بحديث يزيد بن معاوية عددت فى فضائله يوم كربلا والحرة ولو قرئ بين يديك القرآن عارضته بنوادر ابى العبر وبكلام يحبب الغلط ولو لحظت السماء قلت ما اسوأ ما دحيت ولو درست ايام الفرس هجوتهم بقلة السياسة وضعف التهدى للعمارة ولو خوفت بيوم القيامة ذكرت انه يوم قصير صغير * وان الخطب فيه يسير حقير * ولو فوتحت فى حديث العنقاء حلفت انها باضت وفرخت فى بيتك * ودرجت فى وكرك * وانك طالما سقيتها واطعمتها * وطالما اسرجتها والجمتها * ولو عظم امر التنين * وحكى الخلاف فى اثباته بين المصدقين والمكذبين * اقسمت انك اصطدته من البحر بشبكتك * ورميت به فى السحاب بقوتك * ولو عدت انساب العرب شهدت ان الشرف فى سلول وجرهم * وفى عدى وتيم * وان هاشما فى قريش اذناب * كما ان دارما فى تميم اوشاب * غايتك ان تزعم ان هشام بن الحكم ناصبى وان ابا الهذيل العلاف نابتى وان ابا بكر الاصم شيعى وان واصل بن عطاء حشوى وان سليمان الاعمش خارجى وان عبد الحميد بن يحيى امى وان رؤبة بن العجاج اعجمى وان اياس بن معاوية

عامى وان معاوية اول من احيا السنة وامات البدعة كما ان الحجاج اول من سن الرحمة ونسخ القسوة وان النابغة الذبيانى لم يحسن الاعتذار * كما ان ابا نواس لم يصف الخمر ولا الخمار * وكما أن ابا بكر الصنوبرى لم ير الانوار ولا الازهار * وان طفيلا الغنوى ما ركب * كما ان اعشى قيس ما شرب * وان العفاف هندى كما ان السخاء رومى وان الوفاء تركى كما ان العقل صقلى وان التشيع شامى كما ان النصب كوفى وان التجار اقل خلق الله كذبا كما ان الملوك اصغر الناس همما وانه ليس شئ اقل تخالفا وتناقضا من روايات المحدثين * ولا كلام اقل سخفا وهجرا من اشعار المناقضين * وان ابليس اصاب فى تفضيل النار على الطين * فلذلك جعل من المنظرين الى يوم الدين * وان هاروت وماروت قد احسنا فى عصيان الرب * ومواقعة الذنب * فلذلك صارا فى السحر امامين * وللخلق معلمين * وان الدين لعبة لاعب * كما ان التوحيد كذبة كاذب * وان الوحى اساطير الاولين * وان السنة ارجاف المكلفين * وان العالم يركب متن عمياء * وان الموحد يخبط خبط عشواء * وانك من بينهم الذى خص بالعلم القديم * واخبر بالنبأ العظيم * ولو انك زهير لانفت من ان تقول

واعلم ما فى اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عمى

وكذلك لو كنت زيادة بن زيد ما قلت

اذا ما انتهى علمى تناهيت عنده * اطال فاملى ام تناهى فاقصرا

وانك لو سمعت عليا يقول سلونى قبل ان تفقدونى * سألته حتى يقول دعونى فقد افحمتمونى * وانك لو امدت بك الملائكة ما قالت سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وان اباك آدم لو اعين بك ما لعب ابليس به * ولا انف من السجود له * وان عمك قابيل * لو رآك ما اقدم على اخيه هابيل * وان امك حواء لو رأتك نشزت على ابيك * عشقا لك ورغبة فيك * وان العجم عرب اذا كنت فيهم * كما ان العرب عجم اذا بنت عنهم * وان الرياض انما اكتسبت طيب ريح لانها تستمد من نكهتك * وان النجوم انما اعطت ضوءها من ضوء غرتك * وان الخيل ما اختالت فى مشيها الا لانها حملتك * وان الطير انما لحنت اصواتها

اصواتها لانها عشقتك * وان البحار انما ماجت وزخرت هيبة لك * وان الجن انما توحشت وخفيت لانها حسدتك * وان الشمس انما جعلت مبصرة والقمر انما جعل آية ممحوة لان الشمس تواضعت لك بالتأنيث والقمر نازعك فى التذكير وان عدى بن الرقاع تحول فى هيكلك ونطق على لسانك حيث قال

وعلمت حتى ما اسائل واحدا * عن حرف واحدة لكى ازدادها

وان هذا البيت معه طفيلى وفيما بين شعره دعى وانت احق به * واملك له منه * وانك نظرت الى عيب كل ذى صناعة من وراء ستر صفيق حتى عرفت مخاريق المنجمين بكذبهم فى الاحكام * وغلطهم فى حوادث الايام * وعرفت اختلاف النحويين * بتخالف الكوفيين والبصريين * وانهم لو ابصروا الرميه خرج السهم سديدا ولو عرفوا الطريقه كان المقصد قريبا وان الخلاف دليل على ركوب المحال * وان ليس بعد الحق الا الضلال * وعرفت ابطال الاطباء بمناقضة الرومى الهندى وتكذيب الفارسى اليونانى وان عيش البدوى فيما فيه موت الحضرى وان الذى يموت على ايديهم من المرضى اضعاف من يعيش ويبقى وعرفت تخبط اللغويين بافتنان لغات القبائل * وتباين السن اهل المياه والمنازل * فلغة عدنان غير لغة قحطان * ولغة خندف غير لغة قيس عيلان * والمعدى يقول ان هذين لساحران * والحارثى يقول ان هذان لساحران * وعرفت عناد الفلاسفة بادعائهم قدم الطينة وانكارهم ما يعاينونه فى انفسهم من الدلالة وقلت كيف يعرف غيره من انكر نفسه وكيف يستنبط الغائب ما لا يرى الحاضر وعرفت جهل المهندسين بجهلهم جذر العشرة وهى اس العد * واول منازل العقد * وقلت كيف يعرف الكثير من لم يعرف القليل وانى يحكم الفرع من لم يحكم الاصل وكما لا يجهل الواحد من عرف العشرة فكذلك لا يجهل العشرة من عرف المائة وعرفت حيرة المحدثين بتناقض رواياتهم * واختلاف كلماتهم * وان احدهم يثبت الرواية ثم ينفيها * ويجلد بالكبيرة ثم يرخص فيها * ويحل الشئ ثم يحرمه * ويصغر الاثم ثم يعظمه * وعرفت شك المفسرين * بان احدهم يسمع قول

الله تعالى بلسان عربي مبين * و قوله و ما ارسلنا من رسـول الا بلسان قومه ثم يقول استبرق فارسية و سجيل اعجمية و سندس عبرانية و ناشـئة الليل سريانية و ان هذان لساحران حارثية ثم عطفت بعد هـذا كله على نفسك فقلت انا الطبيب الذى لا يموت من شـفاه * ولا يمرض من داواه * و النحوى الذى لا تختلف علتاه * و لا تنقض باولى قوله اخراه * والمحدث الذى لا تتنـاقض روايتاه * و لا يثبت ما نفاه * والفيلسوف الذى لا يحمل طبيعة على شريعة و لا يختص بعلم عقل دون علم رياضة و المهندس الذى يعرف الجـذر الاصم * و يهون العقد الاشـد و المنجم * الذى قلبه كتابة * و عينه اسطرلابة * قد سمعنا دعواك ايها الراضى عن نفسه و الغضبان على غيره و العاشق لفعله و المبغض لافعال دهره فلا جزاك الله خيرا لا عن الحق عدوك * و لا عن الباطل صديقك * اما الحق فلأنك هدمت مناره * وطمست آثاره * و اما البـاطل فلأنك ابرزته فى معرض الفضيحة حتى هتكت استاره * و كشفت عواره * و نشرته حتى ظهر مضمره * ونصبته حتى ظهر زهوه * و انما يقبل الناس من البطل ما يشبه الحق * و يأخذون من الكـذب ما يحاكى الصدق * فاما الباطل الذى تبصره العين العمياء * و تسمعه الاذن الصماء * و يستوى فى ابراز شخصه النور و الظلماء * فانه ينهى عن نفســه * و ينذر الابصار والبصائر بعينه * و ينادى بنقص من نطق به فيا من لا يقبله الباطل و لا الحق و لا يناسبه الجور و لا العدل الى ما ذا انسبك بعدهما * و الى اين اذهب بك عنهما * رحمك الله تعالى

و هذا دعاء لو سكت كفيته * فانى سألت الله فيك و قد فعل

فلو قسم الله تعالى من الرحمة جزءا لا يتجزأ لما جبلك كما جبلك * و لا خذلك كما خذلك * و انى لاعلم ان دعائى هذا اول خائب * و ان سهمى فيه غير صائب * و لكنى اصانعك به * واسخر منك فيه * فاقول رحمك الله تعـالى انا لو سلمت لك انك انسان نفيت عن نفسى الانسانية * و صححت عليهـا البهيمية * اعلى منك فى النقص حكمة * واعظم منك فى الجهل طبقة * فشر من الجهل نصرة الجهـال * واسوأ من الضلالة الاحتجـاج للضلال * لا ترضى ان تصير

فى

فى صناعتك ذنبا و قد كنت فيها اصلا ولا بان تكون تلميذا و قد كنت قديما فيها استاذا تواضع بنا رحمك الله تعالى فان التواضع خلق من اخلاق السلف * و شبكة من شباك الشرف * و تصدق علينا ببشرك فان الله يجزى المتصدقين* و احسن فان الله يحب المحسنين * و لاين اخوانك فى فعلك و قولك * فلو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك * ولو لا انى رحمك الله تعـالى لا اقول بالرجعة ولا اذهب مذهب التناسخية لظننت ان جميع ما انطوى من العالم تحول فى هيكلك * وانحصرت محاسنهم فى شخصك * و لظننت انك يونس بن فروة الذى قيل فيه

اتى ابن فروة يونس و كـأنه * فى كـبره اير الحمار القائم
ما الناس عندك غير نفسك وحدها * فالناس عندك ما خلاك بهائم

فلقد اعجبت بنفسك الخسيسة التى لا تستحق العجب * واحببت منها ما لا يساوى الحب * حتى كأن كسرى انوشروان حامل غاشيتك * و كأن قارون وكيـل نفقتك * و كأن بلقيس ذات العرش العظيم دايتك * و كأن مريم البتول امتك * و حتى كأن ريح عاد هبت من غضبك * و حتى كان العود و جميع الملاهى وضعت اطربك * و حتى كأن المريخ يستقى من صولتك و مضائك * و عطارد يستمد من لطفك وذكائك * و حتى كأن زرقاء اليمامة لم تنظر الا بمقلتك * و كان لقمـان لم ينطق بغير حكمتك * وكأنك بنيت منارة الاسكندريه من آجر دارك ووسعت ملعب سليمان عليه السلام من بقايا ملعب صحنك وكأنك علمت زيادا السياسه * وافدت عبد الحميد الكتابه * ولقنت يحيى بن خالد الفصاحه والقيت على الحسـن البصرى المحبه وعلى الحجاج بن يوسف الثقفى الهيبه وحتى كأنك زرعت غوطه دمشق وشققت انهار البصرة وهندست كنيسة الرها ووضعت قنطرة سنجة وحتى كأن سد ياجوج وماجوج بيديك * والامر فى خروجهم موكول اليك * وليس بين الامة وبين ان ينسفوا زرعهم وضرعهم * ويجوسوا برهم وبحرهم * الا لفظة من الفاظك * ولحظة من الحاظك * وحتى كأن فضائل امير المؤمنين على عليه السلام من فضائلك مسترقة * وعجائب بنى اسرائيل من

عجائب صنعك ملتقطة * وغرائبهم من غرائب فعلك مستنبطة * وحتى كأنك جعلت صخرة موسى عليه السلام عتبة بابك * وحتى كأن الحان داود عليه السلام بعض ما يسمع فى محرابك * وحتى كأنك جعلت من مائدة عيسى بن مريم غداءك * ومن كبش اسحق عشاءك * وحتى كأنك امرت شداد بن عاد ببناء ارم ذات العماد * التى لم يخلق مثلها فى البلاد * وحتى كأن خالد ابن الوليد قاتل تحت رايتك * وقتيبه بن مسلم فتح البلاد ببركه دعوتك * وحتى كأنك وضعت التقويم لآدم بن يحيى وحللت الزيج الاول وعدلت الطبائع الاربع وحتى كأنك كشفت لبطليوس الفلك حتى نظر اليه * ومثلت لجالينوس تركيب الجسد حتى وقف عليه * وحتى كأنك اورثت بنى اسد العيافة * وبنى مدلج القيافة * وعلمت شقا وسطيحا الكهانه * وحتى كانك علمت حاتم بن عبد الله السخاء * والسموأل بن عاديا الوفاء * وقيس بن زهير المكر والدهاء * واياس ابن معاوية الفطنه والذكاء * واخذ عنك سيف بن ذى يزن اخذ الثار * والادراك بالاوتار * وحتى كأنك دعوت لبنى اسرائيل حتى جعل الله فيهم انبياء وملوكا وآتاهم ما لم يؤت احدا من العالمين ثم دعوت عليهم حتى ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله وحتى كأن خاتم الخلافة فى خنصرك * وحساب الدنيا دخلها وخرجها فى بنصرك * وحتى كأن الشمس تطلع من جبينك * والغمام يندى من يمينك * وكأن البحر يمد اذا امرته * ويجزر اذا زجرته * وحتى كأن كسرى انوشروان صاحب نفقة اصطبلك * ونمرود بن كنعان قهرمانك على ولدك واهلك * وحتى كأن تكريت محل دارك * والدرة اليتيمة اخس سوارك * وحتى كأن رستم بن دستان عجز عن مد قوسك * واسفنديار ابن كرستاسب ضعف عن حمل سيفك وترسك * وحتى كأنك فى ملك وملك يصغر بينهما ملك سليمان بن داود عليهما السلام ويقصر معهما قصر غمدان * ويضيع فيهما تاج كسرى بن ساسان * ويتضع عنهما جبرية فرعون وهامان * وحتى كأنك لا احد اعلم منك فاضربه مثلا ولا اعلى منك فاجعله غاية وامدا ومن شبهك به فقد رد الوصف اليك * ووفره عليك * والقرد لايشبه بغيره * والراجح لا يوصف بمن تقاصر عن رجحان قدره * واذا

اردت

اردت ان تعلم انى فى ذمك جاد وفى مدحك لاعب * وانى فى الشهادة عليك صادق وفى الشهادة لك كاذب * فانظر الى تهافت قولى اذ لايتك وجاملتك * والى اصابتى الغرض وحزى المفصل اذ كاشفتك وصدقتك * وذلك ان الصادق معان وماخوذ بيديه * والكاذب مخذول مغضوب عليه * وما كان الله تعالى ليوفقنى لفصل الخطاب وانا اجامل من لا يعرف قط اجمالا ولا تجملا * وافاضل من لم يناسب مذ كان افضالا ولا تفضلا * والفصول التى قصرتها على مدابحتك * ولينت فيها مس القول لك * فانما هى عوذة عوذت بها هذه الرسالة * وطلسم حسن صنت بفتحه هذه المقالة * فعوذت احسن الاشياء باقبح الاشياء * وسترت بنقصان المدح كمال الهجاء * على انى قد غالطت اسماع الناس وابصارهم * وسحرت بهذا البيان خواطرهم وافكارهم * فهم يحسبون انى اجدت وانما الصدق اجاد ويقدرون انى احسنت واصبت وانما قصدى الحق احسن واصاب فلو شتمتك بالترهات صارت قوارع ولو نلت من عرضك بنصف لسان و لم كان كلامى قلائد وخير المدح والهجاء ما كان له راو من نفسه ومصدق من ذاته

وان احسن بيت انت قائله * بيت يقال اذا انشدته صدقا

يا غداة الفراق * وكتاب الطلاق * يا موت الحبيب * وطلعة الرقيب * يا يوم الاربعا فى آخر صفر * ويالقاء الكابوس فى وقت السحر * يا خراجا بلا غلة * ودواء بلا علة * يا اثقل من المكتب على الصبيان * ومن كراء الدار على السكان * يا ابغض من لم ولم * ومن لا بعد نعم * يابغله ابى دلامه وحار طياب وطيلسان ابن حرب * وضرطه وهب * يا قدح اللبلاب فى كف المريض * يا نظرة الذل الى البغيض * يا كنيف السجن فى الصيف * ياشرب الخمر على الحشف * يا وجه المستخرج يوم السبت * يا افطار الصائم على الخبز البحت * يا جشاء من اكل فجليه * وفساء من اكل قنبيطيه * يا وكف البيت الشتوى فى كانون * وعلى الكانون يا فراش الجرب المبطون * يا ليل العزبه * ووقت العشق والافلاس والغربه * يا خجل الضرطه *

وجواب الغلطه * يا كمد المقمور * و دهشه المصبور * يا اقذر من ذباب على جعر رطب * و يا اذل من قراد فى است كلب * يا اشأم من دم نبى يا انتن من بول خصى ياشرب الترنجبين على الريق فى تموز يا عقب التخمة على اثر الحجامه فى غرفة بغير كوة يا طلعة ملك الموت فى عين الكافر * وقد ختم عمره بالكبائر * يا دخول الطفيلى بيت المروزى يا نظرة العنين الى البكر وقد عجز عنها * واستشعر مخايل الغضب منها * ياقرع الغريم الباب * ومعه جريدة الحساب * ياحوض دكاكين الدباغين * ومنبج حوانيت القصابين * يامغيض ماء الحمام * يا كوز حانوت الحجام * يا وجه المانع وقفا المحروم * يا شخص الظالم فى عين المظلوم * يا الأم من اللؤم * واشأم من الشؤم * واقل من المعدوم * واوخم من غم المبرسم المحموم * يا غم الدين * ووجع العين * ويوم البين * يا اوحش من زوال النعمة بعد كفرها * واقبح من ارتجاع الصنيعة بعد شكرها * يافم من اكل السمك فى الشمس ولم يغسل يده * وخمار من تقيأ ولم يغسل فمه * يا ابرد من كافورة فى الثلج مدفونة فى يوم شمالى قرة * وفى وقت بكرة * فى جبل من جبال ارمينية ياثقل من جبل رومى تحت ثلج حولى فوقه عساكر فى وسطه قوافل لا بل يا اثقل من منادمة طفيلى على الندماء * مقترح فى الغداء والعشاء * محمش للساقى قاطع على المغنى * يوائب و يزنى * لا بل يا اثقل من الحق عليك * و ابغض من الانصاف اليك * يا جواب الحجاب * وعبوس البواب * يا مهاجرة الصديق * يا نظرا الى زوج الام على الريق * يا سوء القضاء * وجهد البلاء * ودرك الشقاء * يا شماته الاعداء * وحسد الاقرباء * و طوارق الارض والسماء * وملازمة الغرماء * وعربدة الجلساء * وخيانة الشركاء * و غش الاصدقاء * وملاحظة الثقلاء * ومسئله البخلاء * ومحادثة البغضاء * ومشاتمة السفهاء * ونصرة الضعفاء * وعداوة الامراء * ومزاحمة السعداء * يا كرب الدواء * يا من لو كان اللؤم يلد كان اباه * ولو كان يولد كان اخاه * ولو شارك شريكا ما عداه * يا بيع المتاع الكاسد * وجوار الجار الحاسد * وسماع المغنى البارد * يا مطبوخ الافيثمون * وحب الاسطيفون * يا ليله المسافر * فى كانون الآخر * على

اكناف

اكناف بانس * تحت مطر و برد قارس * يا من لو نظرت اليه السماء وهى تمطر اقلعت * و لو طلعت الشمس بوجهه ما طلعت * يا خيبة من رأى السراب فظنه شرابا * وندامة من نظر الى الخطا فتوهمه صوابا * يا من هو دليل على ان الله تعالى جواد حيث اطعم مثله ورزقه * يا من هو حجة الملحد على الموحد فى قوله الذى احسن كل شئ خلقه * يا من احتماله اصعب من عد الرمل * ومن عدد النمل * ومن رأى شعرة سوداء بالليل * والصبر عليه اشق من الصعود الى السماء على سلم من زبد * وحبال من شهد * والنظر اليه ابشع من النظر الى ذبح الانبياء عليهم السلام و نبش قبور الشهداء و الاولياء جعلت فداءك من الخير لا من الشر هذا كله مصانعة لك * ورفق بك * وذلك لانى شبهتك باشياء تنقص فى باب الذم عنك * وتأنف والله منك * ولقد ظلمتها بك * اذ كان قد تفرق فيها من المعايب ما اجتمع فيك * ومن لى بشئ يوازيك * وشبيه يضاهيك * ومن اين اجد اللؤم منتظما * والقبح مجتمعا * والجهل مجتمرا والشؤم محتفلا والنقص محتشدا فى هيكل واحد وفى شخص ماثل وانما يجد الواصف ما يسمع وما يرى * ويحيل المشبه على ما كان او يكون فى الورى * قد شبه الله تعالى نوره بنور المصباح و المشكاة والزجاجة وان كانت الثلاثة قاصرة عنه فى الصفة رحمك الله تعالى دع لليونانية من الحكمة ما تنفق به سوقهم * واترك لبنى العباس من التملك ما تمشى به امورهم * وابق للشمس و القمر من الحسن بمقدار ما يطلعان به * و يلوحان فيه * وهب للريح العاصف * والرعد القاصف * من الصولة قدر ما يسمع به صوتهما * ويصح به اسمهما و نعتهما * وارفق بالارض من خطواتك * وارحم الجبار من شدة سلطانك * وانظر الى النساء من وراء حجاب ومن خلف برقع والا خرجن عن عشقك من ستر الله * وقطعن ايديهن وقلن حاش لله * فلا تعرض اماء الله لسخط الله * ولا تفرق بينهن وبين عباد الله * ولا تحمل الحرائر على خشونة الطلاق * ولا تذق المماليك مرارة الاعتاق * ولا تزد فى شغل الكرام الكاتبين ولا تسود صحف العالمين * ولا تشمت ابليس بنا * ولا تعطه مراده فينا * ولا تمش فى الارض مرحا

انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا لى رحمك الله حوايج فان قضيتها كنت قد تسلفت شكرى ورضاى * وان رددتنى عنها فقد رأيت انموذج سخطى وشكواى * قد اتفق الناس على ضياع النسخة الاولى من كتاب العين فامله علينا * واجمعوا على ذهاب قراءة ابى بن كعب و عبد الله بن مسعود فاخرجهما الينا * وتخالف الناس فى المهدى و شكوا فى السفيانى * وفى الاصفر القحطانى * فعرفنا متى يخرجون * فانى اعلم انهم اليك يختلفون * وفى امرك ونهيك مترددون * وبمشورتك يغيبون ويحضرون * والكيمياء فقد علمت انه انفقت فيه الاموال * وتعب له الرجال * ثم لم يحصل لهم منه الا امانى مسوفة * ومواعيد مزخرفة * فما عليك لو علمتناه واغنيت الفقراء وزدت الاغنياء وارحت الناس من الضرب فى البلاد * ومن الكد والاجتهاد * ومن ان يخدم الفقير غنيا * ويتخذ بعضهم بعضا سخريا * والزيج الاكبر فقد انقطع وانقرض اهله وهو من مفاخر الروم علينا * ومن محاسنهم دوننا * فاعمل فى اصلاحه ولا تدع النصارى يفضلون المسلمين فى ابداعه ومسجد دمشق فهو حسنة يباهى بها اهل المغرب اهل المشرق فابن لنا مثله * ولا تثبت علينا فضله * فانما هى ساعة من هندستك * وجزء تستعمله من اجزاء حكمتك * وقد زدت عليه * وبنيت ضعفيه * وآل ابى طالب قد علمت انهم مسلوبون حقهم * ومغصوبون ارثهم * فتقدم الى غلامك الدهر بان يرفع رايتهم * ويرد اليهم ولايتهم * والفلك قد زعموا انه خرف فاردد شبابه * واعد عليه من الشبيبة ثيابه * وقد سمعت قول ابن عباد من نكد الدنيا منفعة الاهليلج * ومضرة اللوزينج * وتجعل فى اللوزينج منفعة الاهليلج * فاذا بك قد جعلت الناقص كاملا * واضفت الى العاجل آجلا * وليس يخفى عليك تطاول العراق بعبد الله بن هلال الهجرى صديق ابليس فارنا رحمك الله تعالى من عجائب صنعتك * ولطائف فكرتك * ما يكسد به سعرهم * ويهدم به فخرهم * فان ابليس تلميذلك تعلم منك * واخذ عنك * وشتان بين من يدعى ان ابليس من اخوانه * وبين من يعتقد انه من غلمانه * وهل استنظر ابليس الى الوقت المعلوم الا ليدرك زمانك * ويرى برهانك * وهل حسد آدم

آدم الا عليك * وهل عاداه الا فيك * ولعلك تنكر قولى خرف الفلك ولولا خرفه ما كان القمر سماويا وانت ارضى * ولا كانت الملائكة روحانية وانت بشرى * ولا كانت السماء تظل * والارض تقل * وانت اكبر منها قدرا * واكرم منها نجرا * ولا كانت الدنيا تنضم عليك وانت الدنيا ولا كنت عند الناس بعض الورى وانت الورى * ولا كنا نسميك ونكنيك ذهابا بك وبقدرك عن الاسامى والكنى * انى وفقدك فلا شئ اعز على منه * ولا احسن منه * ما سمعت قول على بن جبلة فى ابى دلف

انما الدنيا ابودلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى ابودلف * ولت الدنيا على اثره

الا غضبت عنك عليه واعتقدت انه سرق صنعتك * واغار ابا دلف مدحتك * ولا سمعت قوله

انما الدنيا حميد * وايادیه الجسام
فاذا ولى حميد * فعلى الدنيا السلام

الا تمنيت لو عرفت قبره فرجمته * او عرفت بيته فهدمته * ولا سمعت قول ليلى

فتى كان احيى من فتاة حيية * واشجع من ليث بخفان خادر

الا قلت فكيف لو رأت ليلى اخانا * فنعلم اين دعواها من دعوانا * ولا انشدت قول ابن ابى السعلاقى الرشيد

أغيثا تحمل الناقة ام تحمل هرونا
ام الشمس ام البدر * ام الدنيا ام الدينا

الا رحمته مما قطع عليك طريق استحقاقك * ومدح غيرك بمحاسن اخلاقك * واما قول الطائى

تسود اقوام وليسوا بسادة * بل السيد المقدام سلم بن نوفل

فلا شك ان الشيطان تكلم به على لسانه * حتى ابرز وصفك فى غير اوانه * ولو رآك علم ان سلم بن نوفل لا يسود وانت حى واما قول زهير

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المنور ليلة القدر

فانى والله اعجب منه كيف قاله فى غيرك ولم ترمه جهنم بشرارها * ولم ترجمه الملائكة باحجارها * واعجب منه قول من قال فى معن بن زائدة

مسحت معد وجه معن سابقا * لماجرى وجرى ذوو الاحساب

كيف يسبق غيرك فى حلبة انت فى عدادها * وكيف يكون غيرك سابق جيادها * انت رحمك الله تعالى من ايدى هؤلاء الشعراء الكذابين مرحوم * وفيما بينهم مظلوم * سلبوك علاك وهى حلاك * ونحلوها قوما سواك * والمدح الكاذب ذم * والبناء على غير اساس هدم * والكلام يرجع الى مظنته * والمدح ينصب الى قرارته * كما قال ابو الطيب المتنبى

واذا الفتى طرح الكلام معرضا * فى مجلس اخذ الكلام اللذعنى

وكفاك بفضلك مادحا لك * وحسبك بانفرادك مقارعا دونك * هذه رحمك الله هدية اهديتها اليك * بل هدى من العرائس جلوتها عليك * وما مهرها الا فقدك * ولا ثمنها الا بعدك * فاذا وهبتهما فقد وفيت المهر * وارضيت العروس والصهر * فسبحان من ارانيك ولك صهر مثلى * وانت ختن لى * وعهدى بالناس يخطبون الكرائم بالكرم * ويطلبونها بحسن الاخلاق والشيم * وانت خطبت هذه الكريمة بلؤم نجرك * وصغر قدرك * وعهدى بهم يحتملون المهور فى اموالهم وانت جعلت مهر هذه من عرضك الخلق * اللبيس الممزق * واعجب مافيها انك اذا طلقتها لم تطلقك * واذا اطلقتها من حبالك لم تطلقك * فخذها مباركا لك فيها * فبئست العروس وزوجها شر منها *

* * *

وكتب

وكتب فى نكبة نيسابور وواليها حسام الدولة ابى بكر بن عبدوس بعض عدول نيسابور

وصلت الرسالة التى كل الرسائل دونها فى الكتبة * كما ان كل كاتب دون كاتبها فى الرتبة * ووافقت منى قلبا معمورا بل خربا بالهم * وجسما معضلا بل مكدودا بالسقم * فشفت القلب حتى نسى همه * والجسم حتى طلق سقمه * واذا صدرت الموعظة من قلب سليم * ولسان حكيم * وردت على اذن واعية * وعين كالئة * واذا عرف الطبيب الداء * عرف الدواء * ولئن كانت الايام سلبتنى من المال علقا خطيرا * لقد ابقت لى منك عوضا كبيرا * ولئن كانت صادرتنى على ثوب يبلى * ودرهم يسلى * لقد وهبت لى من مودتك ما لا يبلى اذا استعمل * ولا يصدأ اذا اهمل * ولا يفنى اذا بذل * ولا يخلق اذا ابتذل * على انى قد تعودت ضربات الزمان حتى صارت لا توجعنى * والفت صواعقه ورواعده حتى صارت وان قربت منى لا تسمعنى * ونكبت حتى ما ابكى لنكبة * وفرحت حتى ما اضحك لفرحة * ولقد

رمانى الدهر بالارزاء حتى * فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتنى سهام * تكسرت النصال على النصال

فها انا الجريح المقطع * والفود المرقع * والغرض الذى رمى حتى دمى وضرب حتى نقب واصابته السهام حتى لا يتوجع لها * ولا يحس بها * وطالما ارادت الايام ان تحركنى فوجدت بحمد الله ضجة راجحة ونفسا متماسكة وقلبا لا تقلبه السراء ولا الضراء * ولا يغيره الدواء ولا الداء * ولقد اقبلت الايام على فما استقبلتها فرحا ومرحا * وادبرت عنى فما شيعتها جزعا ولا هلعا * ولبست لكل حال لبوسا * اما نعيما واما بوسا * ومما احمد الله تعالى عليه ان هذه الواقعة لم تثلم قدرى * وان كانت ثلمت وفرى * ولا حلت عقد صبرى وعزائى * وان كانت حلت عقد ملكى وثرائى * وانى اصبحت يوم اجتماع جيشها على * وزحوف عساكرها الى * والوجه طلق * واللسان ذرب

ذلق * و اللون مضئ مشرق * و القلب متماسك متمالك * و مذد الصبر متقاطر متدارك * لم الاحظ الفائت بعين تدمع * و لم اقابل النازل بنفس تهلع * و لا عثر لسانى و لا قلبى فى ميدان كلام * و لا قصر همى و لا همتى عن غرض فى مرام * ذكرت ايدك الله سلفى رحمهم الله تعالى و انك بقيتى منهم * و مذكرى بهم * و مسلى قلبى عنهم * و صديق الوالد والد و ان لم يلد * و ترب الولد ولد و ان لم يولد * و من صادق اخا و لم يصادق اباه فانما اخذه ابتر الذنب * مجهول الاصل و النسب * و من صادقه قبله سلفه فقد ضم على الحبل يديه * من كلا طرفيه * وعرف صديقه من جانبيه * رحم الله تعالى اولئك القوم الذين

ورثت سيوفهم و بقيت فردا * وما نفع السيوف بلا رجال

فلقد فجعت منهم بخير سلف * و ورثتهم خير خلف * اطال الله تعالى بقاءك على حالة ارضاها لك و ارضاك فيها * ولا استزيدك عليها * و هذا الدعاء محال فانى لو رأيتك امتطيت السماكين و انتعلت الفرقدين * و ملكت الخافقين و استعبدت الثقلين * و تناولت الشمس و القمر بيدين * و وطئت الفلك برجلين * ما بلغت ما اريد * وكنت استزيد و استعيد *

﴿ وكتب الى ابى الحسن بن عبد العزيز قاضى جرجان و قد خرج منها ﴾

فان اك قد ودعت نجدا و اهله * فما عهد نجد عندنا بذميم

جميع ما حصل لى بهذه الحضرة من تنزيل و انزال * و من اقبال على و انثيال * و من قول جميل و فعال * فانما فعل بى * و اتفق لى * لاحسان الوزير كان الى * و توفره كان على * و بذله لى الرغائب التى لا تسمح بها الانفس مثله و لا تزل الا عن مثل يده فهو الذى قومنى قيمة صارت لى بين الملوك قيمة عدل * و قضى لى بشهادة اصبحت فى العباد و البلاد قضاء فصل * و نظر الى اهل هذه الحضرة بعينه * و وزنونى بمثل وزنه * و وضعونى فى الكفة التى وضعنى فيها * و اهلونى للمرتبة التى اهلنى لها * و علموا انه الحاكم الذى لا تنقض حكومته

حكومته * والشاهد الذى لا تجرح شهادته * والرجل الذى لا خيار مع قوله و لا نظر مع امره * و لا خلاف عليه * و لا رجوع الا اليه * و انه لا يشترى من المتاع الا ما يخرج من نار الاختبار صريحا صحيحا * و لا يرضى من القداح الا ما يخرج من كف المجيل معلى لا منيحا * فضربوا على سبيكته * و سلكوا فى طريقته * ونسجوا على منواله * و حذوا على مثاله * فوصل الى نواله * و ان كان لم يصل الى ماله * و حصل لى بره * و ان لم يخرج به امره * و شيعتنى بركات حضرته بعيدا عنها * كما كانت تستقبلنى و تكتنفنى قريبا منها * فكل جميل اطرفته فمنسوب اليه * و كل خير رزقته فمن آثار لسانه و يديه *

ان تبوأت غير دنياى دارا * و اتانى نيل فانت المنيل

و انما الملوك شعراء يتناقضون فعلا لا قولا * و فرسان يتسابقون انفسا لا خيلا * فالحمد لله الذى جعلنى افارق تلك الحضرة فلا تفارقنى عوائد فضلها * و لا ينحسر عنى نصيبى من ظلها * و اياه اسأل ان يطيل بقاء الوزير على حالة ارضاها له فوالله ما ارضى له الارض خطة * و لا السماء ظلة * و لا الدنيا خزانة و لا الشمس طلعة و لا الدهر خادما و لا الفلك حاجبا و لا السعد رسولا و لا السيف قلما و ان يحرس على الدين جماله * و يبلغه فى الدارين آماله *

﴿ و كتب الى بعض اصدقائه ﴾

كتابى و قد كنت احب ان ينظر سيدى الى و قد لبست جمال هذه الدولة و تشربت حالى ماء هذه الحضرة و رفعت طرفا طالما غضضته * و بسطت باعا طالما قبضته * فيعلم سيدى ان غراسه قد اثمر * و مراده قد تيسر * و ان علاجه حالى قد هزم الداء * و جلب الشفاء * بعدما اعيا الاطباء * و غلب الدواء * فان فرح الطبيب بعافية المريض اشد من فرح كل اخ قريب * و كل حميم و حبيب * الآن حين انقطعت عن الملوك و ابوابهم فقد كان لى عذر فى ورود النهر * قبل ورود البحر * و فى الاجتزاء بالتيمم قبل وجود الماء

الطهر * وعهد سيدى بى و انا ارتاد غير ارضى * و ارتع فى غير روضى * و اطلب الرزق خارجا من دارى فالآن قد نزعنا تلك الثياب * و اغلقنا ذلك الباب * ونسخنا ذلك الكتاب *

وكنت زبيريا فاصبحت شيعة * لمروان و ارتد الهوى لابن بحدل

هـذا و قد انثال على من الخير بهذه الحضرة ما ترك بيـانى حسيرا * و اسانى قصيرا * و النعمة اذا زادت على الوظيفة مسكتة * و السرور اذا افرط مقطعة و مسكتة * و الناطق اذا تحير ابكم * و الشاعر اذا خرج عن مقدار استحقاقه مفحم * فلا زال السيد يبتدع برا * و يقصد بقوله و فعله خيرا * و يكفيـه شرا * و نصره الله تعـالى على دهره * فانه لئيم ظفره * قبيح فى الاحرار اثره *

وكتب بعد محنته ورجوعه الى خراسان الى كاتب خوارزم شاه وقد نكب

كتابى و انا بين محنة قد ادبرت * ونعمة قد اقبلت * و ولى قد ملك * و عدو قد هلك * والحمد لله الذى ابتلى ثم ابلى فانعم و صلى الله على سيدنا محمد و على آله الاكرمين ورد كتابك و لست اقول غمنى و اهمنى * بل اقول اعمانى و اصمنى * تذكر انك امتحنت وانت برئ * ونكبت و انت محسن لا مسئ * و اى ذنب اعظم من ان تشكر بالفضل اهل النقص و اى جرم اشنع من ان تنزل بالفهم فيما بين طبقات اهل الجهل و ما للطائر الكبير و القفص الصغير و ما بال الدرة اليتيمة ترضى بالصدفة اللئيمة * و انما الادب جنـاح فهلا طرت به من الوكر الصغير * الى الوكر الكبير * و هلا اذ كملت آلتك * انتجعت بها مكانا تكمل فيه حالتك * و ما نزلت بك هذه النازلة الا ليقلعك بهـا السعد من يد النحس من تلك البقعة الناقصة اهلا * المنبتة جهلا * فابشر ولاتتهم الله تعـالى فى مصالح خلقه * و لا تقنط من رزقه * فانه انمـا يرتاب المبطلون * و لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * و اياك ان تقل هذه الحادثة غربك * او تكسر حدك *

او

او تضرع خدك * او تثلم ركنك * او تسئ بالله تعالى ظنك * فانما كانت صاعقة احرقت ثوبك * ومست بعضك * وسلم الله وله الحمد منها روحك * و صان فيهـا لسانك وقلبك * ووراءك الدهر الطويل * وخلفك صنع الله الجميل * ووعده بجميل صنعه كفيل * وقد خرجت الى الدهر * من نوبة العسر * فهو غريمك الآن فى اليسر * واذا رأى جلادتك على وقع سهامه * و صلابتك على تصريف ايامه * جاءك معتذرا * وهرب اليك مستترا * واسا باليمنى ماجرح باليسرى * ووزن عليـك بالسنجة الكبرى * ما اتزن منك بالسنجة الصغرى * فانتظر الفرج فانه منتظر * واصبر فان الدهر لا يصبر *

وكـتب الى ابى محمد عبد الرحمن بن احمد من نيسابور

كتبت الى الشيخ من داره التى طالما تصرفت بها على امره ونهيه * و تقلبت فيها بين افضاله وفضله * وحالى ببركته تعلقنى بذيل الدولة السـامية * و انتمائى الى الحضرة العالية * عن يمينى السلامة و عن يسارى العافية * ولا تزال كتبى ترد على الشيخ بكلام ان لم تكن فى ادنى طبقات الجودة * كانت فى اولى طبقات الرداءة * وانما يروى النـاس احد الكلامين * ويتمسكون فى الرواية باحد الطرفين * فاما حسن جيد معجب * واما ردئ معجب * ولقد اولانى الشيخ من الصنع العميم * ومن الاحسـان الحادث و القديم * ما تركنى اهذى بمدحه * واحتلم بوجهه * واتصبح باسمه واتفاءل بذكره * واحتلب ضرع الشعر بذكر بره * ولن استعين على شـكر تلك النعمة * ولا امسك بيدى طرف تلك الخدمة * بمثل الاعتراف بالتقصير عن الواجب * والقصور عن اداء المواجب * وانما النعمة مطية شرود ولن ترتبط بمثل الشـكر * ولن تنفر بمثل الكفر * وانما الشيخ اب بر واهل الادب ابناؤه * وسمسار كبير وطبقات اهل العلم والفضل حرفاؤه * فمن احسن الى احدهم فانما احسن اليه * وافضل عليه * واستحق المكافاة من لسانه ويديه * وليشـكر عنا اهل الصنعة اذا احسن بنا * و ليعلم انه قد حصل له ما حصل لنا * وقد احسن الى فلان فى كذا و الشيخ هو الذى مهد لى عنده موضعى * و سهل لى مسلكى * و وطأ لى فى تلك الحضرة لسانا * واقام لى بها ميزانا *

لا زال الشيخ راكبا كاهل الدهر * محكما فى الخير والشر * تخدمه الانام بل الايام * وترجوه الكرام كما تخافه اللئام * وتعشقه السلامة والسلام *

﴿ وكتب الى ابى منصور كثير بن احمد ﴾

كتبت الى الشيخ من داره التى ما ينغصها على الا بعده عنها * وخلوها منه وقد كثرت كتبى اليه كثرة نعمه على * وتواترت تواتر اياديه الى * وعهدى بتفضل الشيخ يسلك طريق الابتداء والطريق محرم فكيف صار الآن لا يسلك طريق المكافاة والطريق معبد قد سمع الشيخ اخبارى بالحضرة وانى اكتلت بالصاع الاوفى واتزنت بالسنجة الكبرى * ضعف ما كنت وزنت بالسنجة الصغرى * واسترجعت باليمنى ما كنت اعطيت باليسرى * وفلان قد وصلت الى بركات اتصالى به وانا فى غير حضرته * واخذت ماله وان لم يخرج من خزانته * واستغفر الله من حظى الدنيا كلها حضرته * والناس باجمعهم رعيته * والملوك باسرهم شيعته * والاحرار عياله وحاشيته * فاما اعداؤه فمحرومون من الم الحسد * ومقتولون بسيف الغم والكمد * سكوته افصح من كلامهم * ومنعه اندى من نوالهم * وحجابه احلى من لقائهم * وعبوسه احسن من ابتسامهم * وغضبه انفع من رضاهم * ويسراه اسد من يمناهم * وبخله افضل من عطاياهم *

﴿ وكتب الى ابى القاسم المزنى وقد صالح اخاه ﴾

كتابى وانما الشيخ باز عتيق كان طار عن اهله * وفرع عميم كان انقطع من اصله * فردته ايام السعادة الى بيته * وضمت اتفاقات الاقبال بعضه الى بعضه * ونعم المعلم الدولة ونعم الدليل السعد والسعادة وانا اعرف الشيخ معرفة يقين وغيرى يعرفه معرفة ظن * وانظر اليه بعينين وسواى ينظر اليه بعين * والرجال كثير ولكنهم قليل * والدهر باشخاصهم جواد وبحقائقهم بخيل * وقد كنت احسب انى اذا هربت من نعمته على * وانهزمت من عساكر احسانه الى خفت رقبتى من طوق صنائعه * وخلت يدى من بعض ودائعه * وتنفست الى الفراغ

مدة

مدة واسترحت من تواتر الاعباء * وتناسق النعماء * ولو ساعة واحدة * فاذا نعمته لى بمرصد حيث كنت * وعلى مدرجتى اينما قطنت او ظعنت * اهرب منها وتتبعنى * وارحل عنها وتشيعنى * فمنها الطلب * ومنى الهرب * فلا عدمتها طالبا * ولا زلت منها هاربا * ولا زال الشيخ يستقبل باحسانه كل نازل * ويشيع به كل راحل * واطال الله بقاءه على حالة ترضينى له وفيه فوالله ما ارضى له الا بالرضى * ولا ازل فيه الاوراء الغاية القصوى * ولا استعظم له ملك الدنيا ولا ملك الورى * ولا تزال كتب الشيخ ترد بما يحيى ميت مالى * بل ميت آمالى * وتطرى خلق حالى * وترد الماء فيما نضب من جمالى * ولسان العناية ناطق ووسم الاحسان على الاحوال لائح * وطريق الجميل نهج واضح * وللشيخ صنائع فى الناس ارجو ان لا اكون اعياهم لسانا * ولا اقصرهم بالشكر بيانا * ولا اسواهم لنعمته جوارا ولا اقلهم باعبائها نهوضا ومن كبر الانسان كبر شكره * ومن شرف الكلام شرف من رواه ونشره * وانما السيد بطاعة عشيرته * والامير بصلاح رعيته * والممدوح بالسنة شيعته *

﴿ وكتب رحمه الله ﴾

طالت محنة فلان حتى كأن حبسه الابد * الذى ليس له امد * وكأن عطبه يوم القيامة الذى ليس له غد * وانى اكره للسيد ان يكون زحلى خطوة العفو جمادى حركة الصفح لا يحل عقده * ولا تتحامى عن فريسته يده * فان ذلك يقوى عزم عدوه على مقارعته * ويثلم رجاء وليه لمراجعته * ولعمرى ان الاسير لكبير واكبر من الاسير من اسره ثم اعتقه * واشجع من الاسد من قيده ثم اطلقه *

﴿ وكتب ايضا ﴾

تركى مكاتبة الشيخ وهى معترضة لى غم وحسرة واقدامى عليها قبل استطلاع رأيه فيها خرق وعجلة ولما اكتنفنى الحالان سلكت طريقة بينهما * متوسطة لهما * فاقتصرت من الكتاب على الرقعة ومن التفصيل على الجملة فان اكن

قد احسنت فالقليل من الاحسان يقبل * و ان اكن اسأت فالقليل من الاساءة امثل * موصل الرقعة فلان وهو تام فى آلته * ناقص فى حالته * جديد ثوب الجمال * خلق ثوب الحال * حال من الادب * عاطل من النشب * وسبيله ان يوزن فى كفة كماله * لا فى كفة حاله *

وكتب ايضا

تأخر كتابك ياسيدى فطرق لسوء الظن طريقا الى وفائك * وفتح للتهمة بابا الى اخائك * و انى لاكره الود يعمره التلاقى * ويخربه التنائى * و ابغض الصديق يضع مقاليد البغض و الحب * فى يدى البعد والقرب * و انا الذى اصاب عهدك بعينه * و افسدك بحسن ظنه * ويا عجبا للدهر كيف فطن لمحلك من قلبى * وكيف اطلع على غيبى * و ما زال الدهر يقرطس سهمه فى كل شئ احببته * ويعارضنى فى طريق كل مراد طلبته * حتى لو احببت الموت لابقانى * و لو اردت الحرمان لاعطانى * ولو آثرت الفقر لاغنانى * ولو عاديت الباطل لوالاه وعادانى * و لقد

عجبت للدهر فى تصرفه * و كل افعال دهرنا عجب
يباين الدهر كل ذى ادب * كأنما نالك امه الادب

وكتب الى ابى القاسم الحسن بن على

انقطع كتابى عن الشيخ لتصاريف الاحوال اليه * و تكون الاسفار والاطوار عليه * لانه كان مشغولا بكتائب الاعداء * عن كتب الاولياء * وبمقارعة الامراء * عن مطالعة الادباء * والسيف اصدق انباء من الكتب * فلا جرم انه قد اسفرت آماله عن المساعى الغر * وعن الآثار الزهر * وعن الفتح والنصر * فافترع مملكة طالما خطبت فما نكحت * وطلبت فما وجدت *

بكر فما افترعتها كف حادثة * ولا ترقت اليها همة النوب
وبرزة الوجه قد اعيت رياضتها * كسرى وصدت صدودا عن ابى كرب

وعلى قدر الهمة تكون مقادير الآثار * وفى دون القيمة يكون افتراع الابكار * وشتان

وشتان بين من افتض عذارى الجوارى * و بين من افتض عذارى النواحى * لا بل شتان بين من صارع مملوكه تحت اللحاف * وبين من صارع مملكة تحت الرماح و الاسياف * لا بل شتان بين من افعاله ثيبة و طريقه مسلوكة قد سبق اليها * وشورك فيها * و بين من

ترفع عن عون المكارم قدره * فما يفعل الفعلات الا عذاريا

والشيخ ادام الله عزه على قضية فعله * وشريطة فضله * ذو الكفاية للسبق فى الحلبتين * والتحلى بالحليتين * فهو فارس القلم و اللسان * ثم رب السيف و السنان *

قد كان يوم ندى بجودك باهرا * حتى اضفت اليه يوم ضراب
وبديهة انت ابتدأت طريقها * اولاك لم تكتب على الكتاب

والحمد لله تعالى الذى الحق زماننا بالازمان * وان فضل الزمان راجع الى فضل اهل الزمان * وعلى مقادير الايام * تكون محاسن الانام * و ان ذكر اهل العراق فى رجالهم الفضل بن سهل ذا الرياستين * وعلى بن سعيد ذا القلمين * واسحق بن كنداج ذا السيفين * و صاعد بن مخلد ذا الوزارتين * وقبلهم طاهر بن الحسين ذا اليمينين * ذكرنا ذا الكفايتين * وزدنا عليهم للواحد اثنين * لان اولئك انما ضربوا باسيافهم و الدنيا شابة و الخلافة مقبلة و الايام مساعدة و السعود قائمة * و النحوس نائمة * ونحن دفعنا الى زمان هرمت فيه الدولة و فترت الدعوة وكسدت السلعة و بطلت الصنعة و ضاقت المملكة و كل القلم * و قل الدينار والدرهم * و انشدنا

اتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم واتيناه على الهرم

و انما الناس بالاحسان * والاحسان بالسلطان * و السلطان بالزمان * والزمان بالامكان * و الامكان على قدر الكيان *

و انت عبيد الله اكبر همة * واكرم من فضل ويحيى وخالد
اولئك جادوا و الزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

هناه الله تعالى بما اولاه * وبارك له فيما اعطاه * واراه فى اولاه و اخراه * وفين والاه وعاداه * ما يريد ويهواه * وآتاه مما يسمعه ويراه ما يقترحه

کتابخانه مرکزی آستان قدس رضوی

و يمناه * و ارانى فيه ما يرضاه و ارضاه * حتى ارى الدهر و هو عبده و مولاه *
و السيف يتبع مراده و هواه * و الاقبال و هو يمسك طريق خطاه * و الموت
و هو سلاحه و يداه * يفنى من افناه * و يبقى من ابقاه * و يرى فى الآمال
و الآجال ما يراه * و اطال بقاءه * و جعلنى فداءه *
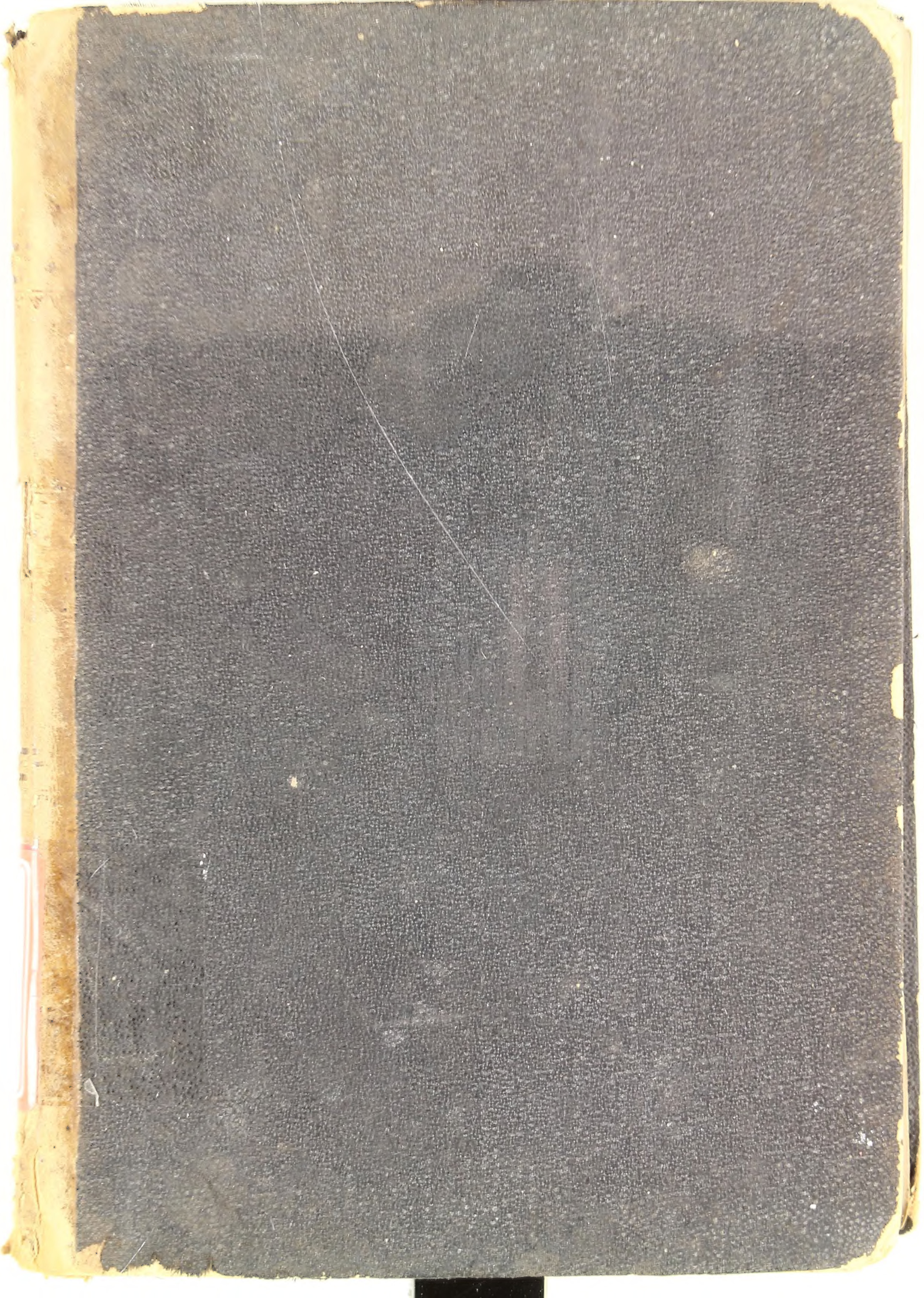
* هذا و قد تناهى طبع هذه الرسائل * التى لم يبلغ شأوها فى الفصاحة *
* سحبان وائل * بل هو عندها ادنى من باقل * و لو ظهرت فى ايامه لمد اليها *
* كف مستمد سائل * و لو كانت فى عصر قس بن ساعدة الايادى * لكان *
* لها عليه جميل الايادى * فلعمرى انها نسخت ما تركت الاوائل *
* كلمة لقائل * و احكمت كم ترك الاول للآخر * و الماضى للغابر *
* فليكن الاديب لها نعم الآخذ * و ليعض عليها بالنواجذ *
* فانه يبلغ بها فى صناعته اشده * و تكون له فى الانشاء *
* اوفر عده * و كان طبعها على هذا الوجه الحسن *
* و تمثيلها فى هذا القالب المستحسن * فى مطبعة *
* الجوائب البهية فى القسطنطينية العلية *
* وقد تم طبعها * و عم نشرها * فى *
* اوائل شهر شوال من سنة *
* ١٢٩٧ هجرية على *
* صاحبها افضل *
* الصلاة و ازكى *
* السلام *